

دراسات في تاريخ مصر والشرق
الأدنى القديم

(١)

في
تاريخ مصر القديمة

دكتور

محمد علي سعد الله

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم المساعد

جامعة الزقازيق

٢٠٠١

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة - الأزاريطة

ت ٤٨٤٦٥٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»

صدق الله العظيم

إهداء

إلى زوجتي وأبنائي

تامر وداليا ودينا

أهدي إليهم هذا الكتاب

تقديم

يسرنى ان أقدم لابنائى الطلاب كتابى : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم، الجزء الاول، مصر الفرعونية، وحسبى أن يرى فيه تلاميذى والقراء من المحبين لتراث مصر الحبيبة بعض النفع والفائدة، وقد تناولت الحديث عن مصادر التاريخ الفرعونى، ووجود ما يسمى بعلم المصريات وجهود الرواد الأوائل من العلماء المصريين والأجانب الذين ساهموا فى إثراء المكتبة التاريخية وزيادة الاهتمام بالتراث المصرى القديم، وكان من الضرورى أن نتناول فى الفصول الأولى من هذه الدراسة عصور ما قبل التاريخ فى مصر القديمة لكى يتيسر لنا فهم تراث الاسلاف وجهودهم الرائعة فى السيطرة على البيئة وظهور حضارة مصرية أصيلة متعددة المراحل ليس بينها انقطاع يرغم ما فيها من تطور ، ونشاط الإنسان المصرى القديم الذى مارس الجمع والصيد والتحكم فى النيل والاستفادة من خيراته، وأستمرت هذه المجهودات خلال ما قبل الأسرات والعصر التاريخى، وبالتأكيد كان هذا باعثا إلى التعاون والاتحاد وإلى مجتمع منظم انتهى بتحقيق الوحدة السياسية بين شطرى مصر على يد ملوك الأسرة الأولى .

ثم تطرقت إلى عصر بداية الأسرات ومحاولات ملوك هذا العصر لتدعيم الوحدة بين الشمال والجنوب وما اتبعوه من خطوات تحسب لملوك هذا العصر الذين نجحوا فى إزالة عوامل الانقسام وهو ما فشلت فيه مجتمعات أخرى ظلت تعاني الفقرة بين الشمال والجنوب لفترات طويلة، ولعل مما شجع ملوك هذا العصر تضافر العوامل الطبيعية بشكل عام ونهر النيل بوجه خاص على تدعيم هذا الاتجاه، وزيادة الوعي لدى الإنسان المصرى القديم بنعمة الاتحاد ونتائجه المثمرة للجميع ، كذلك فإنه من المفيد القول أن مصر فى تلك المرحلة من تاريخها لم تكن بمعزل عن العالم من حولها ، فلقد كانت العلاقات بين مصر وجيرانها وخاصة فلسطين وسورية منذ عصور ما قبل التاريخ يسودها التبادل التجارى فى المقام الأول، حيث تبادلت مصر المنتجات مع جيرانها وعثر على منتجات مصرية فى تلك البلاد، ومنذ بداية عصر الأسرات ازداد التبادل التجارى، وهو ما أكدته الأدلة الأثرية حيث عثر على فخار مصرى فى تل الشيخ جنوب فلسطين وبيبلوس على الساحل السورى .

فى خلال عصر الدولة القديمة أصبحت مصر من أعظم الحضارات القديمة، ثم هى بحكم موقعها واحدة من أعظم القوى إن لم يكن أعظمها على الإطلاق، حيث وصلت مصر فى تلك الفترة إلى القمة فى المجالات المتعددة: عمارة، نحت ، فلک، طب، علوم

رياضية وهندسية الخ، وقد ارتبطت رفاهية مصر وثرواتها القديمة بالنجاح في شؤون الزراعة والرى وفي وجود إدارة ناجحة تتولى الإشراف والمتابعة في كافة المجالات .

وعلى الرغم من اتفاق المؤرخين عن غموض الأسباب التي أدت إلى انهيار حكومة الدولة القديمة بانتهاء حكم الأسرة السادسة، إلا أن هذه هي النهاية المنطقية للتطور في التداعي الذي بدأ في نهاية الأسرة الخامسة واستمر في الأسرة السادسة، وتمثل في إدارة مضطربة وعوامل اقتصادية واجتماعية تضافرت جميعها لتمر البلاد بأظلم فترة سياسية في تاريخها وهي الفترة المتوسطة الأولى وتضم الأسرات من السابعة حتى العاشرة وجزء من الأسرة الحادية عشرة، وبرغم مما حفلت به تلك الفترة من أحداث واضطرابات كان لها أثرها في هبوط الفن من عمارة ونحت وتصوير - باستثناء بعض الأعمال - فإن ما نود التأكيد عليه أن تلك الفترة كانت سببا في ظهور بعض القيم الجديدة مثل تنمية الروح الحربية، وتقدير الكفاءة، وأهمية العدالة الاجتماعية، والمحافظة على العقائد والتقاليد الموروثة، وربما كانت هذه الأفكار العديدة سبباً في رخاء البلاد في الفترة التالية، خلال عصر الدولة الوسطى، وهو ما سجلته نصوص تلك الفترة، والتي رجعت إليها للاستشهاد من خلال كتابي «تطور المثل العليا في مصر القديمة» .

ولا أريد في هذا التقديم أن أخوض في فصول هذا الكتاب تفصيلاً، وإنما أود أن أوضح حقيقة هامة وهي أن مصر كانت دائماً أقوى من المحن تجدد نفسها وشبابها كما يتجدد النيل مع كل فيضان جديد، ولذلك خرجت من محنة الغزو الهكسوسى بفضل عزيمة شعبها وقوة رجالها أقوى وأشد تماسكاً من ذي قبل، وبدأت عصر الدولة الحديثة واضحة استراتيجية جديدة مكنتها أن تصبح أعظم دولة وأكبر إمبراطورية في الشرق الأدنى القديم .

ولقد هدفت أن أقدم للقارئ ولابنائى الطلاب لمحبات من تاريخ مصر الحبيبة بما فيه من تراث عريق وانتصارات وتحديات استطاع الأجداد التغلب عليها لتبقى مصر على الدوام قلعة من قلاع الحق والعدل والحرية والحضارة، ولعلنا نستلهم من تاريخنا القديم الدروس والعبر .

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع والفائدة .

وعلى الله قصد السبيل

د . محمد سعد الله

الاسكندرية في ١ / ١ / ١٩٩٨م

الموافق ٢ من رمضان سنة ١٤١٨هـ

الفصل الأول

مصادر التاريخ الفرعوني

الفصل الأول

مصادر التاريخ الفرعوني

تعتمد دراستنا لتاريخ مصر القديمة على مصادر رئيسية هامة منها :-
الآثار المصرية، كتابات الرحالة والمؤرخين القدماء، المصادر التاريخية
المعاصرة في الشرق الأدنى القديم، ثم ما جاء في الكتب السماوية المقدسة .

أولا : الآثار المصرية :

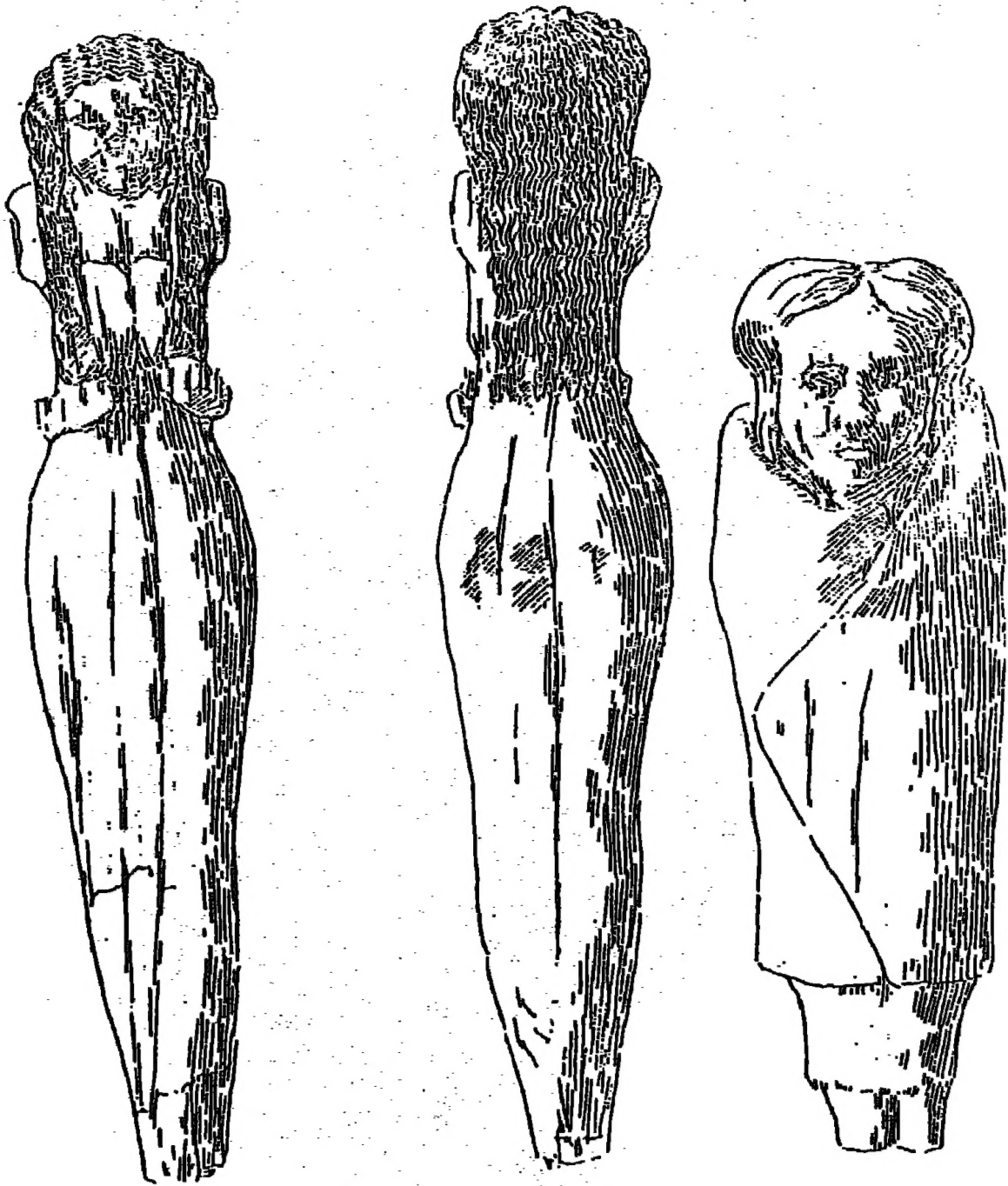
تعد الآثار المصرية سواء ما عثر عليه ينتمى إلى الدهور الحجرية القديمة
أو إلى العصور التاريخية اللاحقة، من أهم المصادر التى تعين المؤرخ على
دراسة تاريخ مصر القديم وعلى تصوير مختلف أوجه الحياة المصرية القديمة
سواء فى المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، وهى مرآة صادقة
لأحوال مصر القديمة فى مختلف الجوانب الحياتية والدينية، كما تتميز هذه
المصادر بأنها معاصرة للأحداث ، وتشمل هذه الآثار الثابتة والمنقولة
المخلفات الإنسانية من أدوات يومية استخدمها الإنسان المصرى القديم،
ومعابد وأهرامات ومقابر وتمائيل ولوحات وكل ما تركه الإنسان فى مصر
القديمة بقصد وبدون قصد ، مع الوضع فى الاعتبار عدة ملاحظات منها :

أن معظم هذه الآثار قد تم صنعها بتعليمات من ملوك مصر القديمة
ويجب مراعاة الحذر والابتعاد عن المبالغة سواء بقصد أو بدون قصد، كذلك
فإن كثير من آثار الدلتا لازال مطموراً تحت الرمال وفى حاجة إلى كثير من
الجهد والامكانيات ، أيضا تدل الآثار العديدة التى تم العثور عليها أنها تنتمى
إلى صعيد مصر، التى ساعد جفاف مناخها على حفظها حتى وصلت إلينا، أيضا
هناك بعض الصعوبات تتمثل فى ندرة الآثار التى ترجع إلى بعض الفترات مثل
عصر الانتقال الأول والثانى مما يتحتم معه الاستعانة بمصادر أخرى .

ولعل أهم ما عثرنا عليه بين تلك الآثار من الناحية التاريخية ما يسمى بقوائم الملوك أو الحوليات الملكية وهى قوائم أرخت لتاريخ مصر فى عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، وسجلت أهم أحداث هؤلاء الملوك وأهم أعمالهم، والمعروف أن التاريخ المصرى القديم قد بدأ باستعمال بطاقات صغيرة من الخشب أو العاج (شكل ١) ثم استخدم الإنسان المصرى اللوحات الحجرية والبردى وجدران المعابد والقصور والمقابر ، وربما قصد الملوك الفراعنة القدامى عند التاريخ لملوك فجر التاريخ هو تأكيد انتمائهم إلى عالم الآلهة القدامى ووراثتهم العرش عن هؤلاء الآلهة الذين حكموا مصر فى العصور القديمة، ومن القوائم الملكية التى اهتمت بتسجيل اسماء الملوك وأعمالهم : حجم بالرمو، وقوائم الكرنك وايبيدوس وصقارة، وبردية تورين، وما تركه المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » .

١ - حجر بالرمو :

موجود حاليا بمتحف بالرمو بجزيرة صقلية بإيطاليا، وهو عبارة عن لوحة من حجر الديورايت الأسود ، وغير معروف مكان العثور عليه، وهو مهشم إلى عدة أجزاء، جزء موجود بالمتحف المصرى بالقاهرة، وجزء فى مجموعة « فلنדרزيتري » بلندن، وجزء أكبر بمتحف بالرمو فى صقلية، وقد نقش عليه قائمة باسماء ملوك مصر منذ بدء عصر التوحيد وحتى عصر الأسرة الخامسة، وقبلهم حكام الدلتا أصحاب التاج الأحمر، وحكام مصر العليا وهم من أصحاب التاج الأبيض ، اشارة إلى حكام مصر من ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى الذين حكموا المملكتين المنفصلتين قبل توحيدهما، وأطلق عليهم اسم « اتباع حورس » حيث عبد الإله « حور » فى المملكتين (شكل ٢) .



(شكل ١) : بطاقات صغيرة من العاج



(شكل ٢) : حجر بالرمو منقوش عليه بعض تاريخ الملوك الأقدمين

٢- قائمة الكرنك

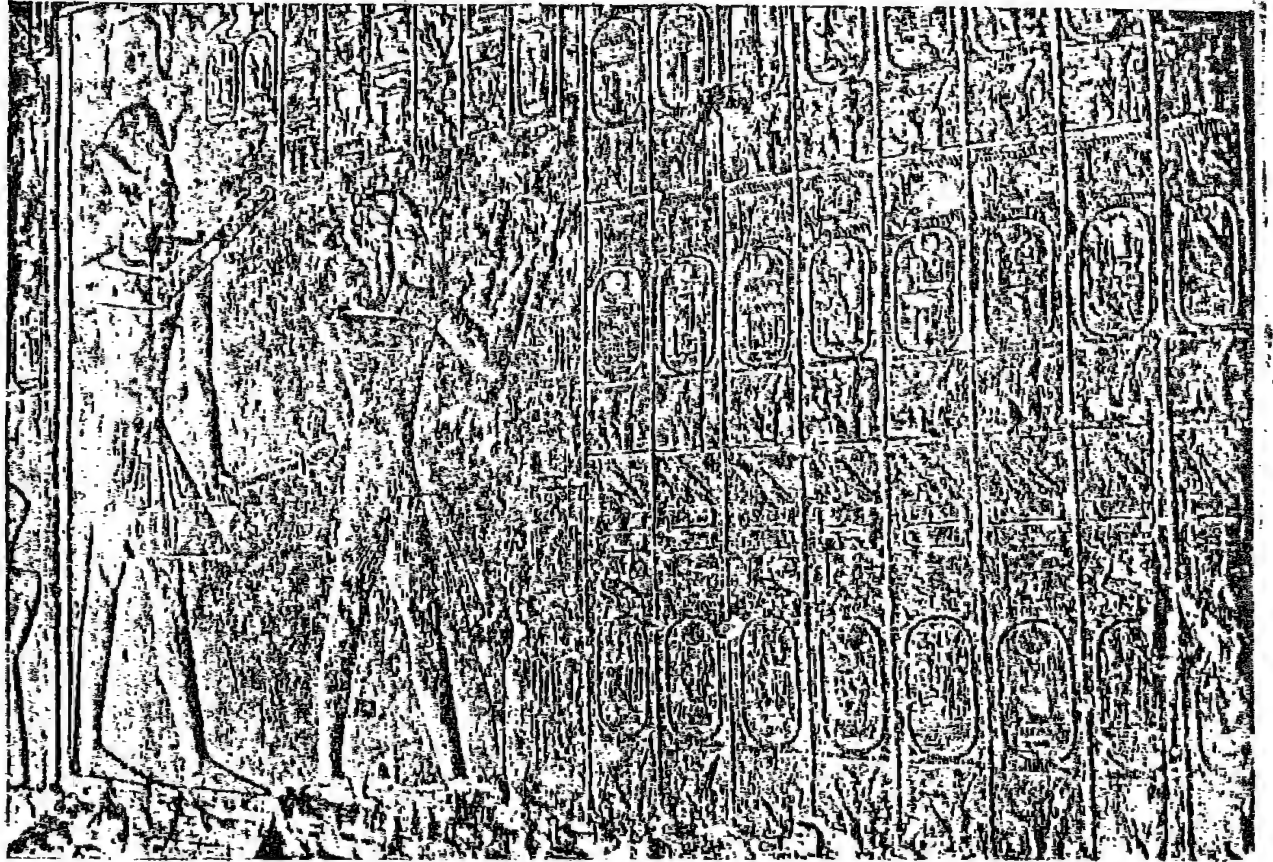
دونت هذه القائمة فى عهد الفرعون « تحوتمس الثالث » على جدران حجرة الأجداد بمعبد الكرنك وموجود حالياً بمتحف اللوفر، وتحتوى على أسماء اثنين وستون ملكاً من الأسرة الأولى وحتى الأسرة الثامنة عشرة، وبداية القائمة مهشم حتى بداية الأسرة الرابعة الملك « سنقرو » .

٣- قائمة أبيدوس :

تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م. (حوالى ١٣٠٠ ق.م.)، نقش في عهد الفرعون « سبتى الأول » (الأسرة التاسعة عشرة) على جدران معبده بأبيدوس (العراية المدفونة) ودون أسماء ستة وسبعين من الملوك الفرعنة ، حيث يصور سبتى الأول وولده رعمسيس الثانى وهما يتوجهان بالدعاء إلى أسماء أسلافهما . (شكل ٣) ، وتبدأ القائمة بالملك « منى » وتستمر حتى ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وأغفلت القائمة أسماء بعض الملوك مثل : ، وحتشبسوت ، أخناتون ، سمنخ كارع، وتوت عنخ آمون، وملوك الهكسوس .

٤- قائمة سقارة :

سجلت على جدران مقبرة أحد الكهنة ويدعى « ثونرى » كان أحد المشرفين على الأعياد فى عهد « رعمسيس الثانى » وموجودة حالياً بالمتحف المصرى وتحتوى أسماء سبعة وأربعين ملكاً، ولكنه لم يتقيد بالترتيب التاريخى، ولم يبدأ كاتب القائمة الأسرة الأولى بالملك « منى » وإنما بدأ بسادس ملوكها الملك عديج إيب ، وانتهى بالملك رعمسيس الثانى ، وأغفل عدد من الملوك منهم ملوك عصر الانتقال الأول، وملوك الهكسوس، وأخناتون .



(شكل ٣) : قائمة أبيدوس

٥- بردية تورين :

تختلف عن غيرها من القوائم الملكية أنها قد كتبت على ورق البردى وبالخط الهيراطيقى، كما تمتاز بأنها أوردت بعض الأسماء الملكية التي لم تذكرها الحوليات الأخرى، وبأنها عمدت إلى التوبيخ التاريخي حين قسمت الملوك إلى مجموعات، وتبدأ القائمة بما يسمى «الملوك الآلهة» وأنصاف الآلهة، وملوك الأسرة الأولى بدءاً من منى وحتى عهد «رعمسيس الثانى» الأسرة التاسعة عشرة (١).

٥- المؤرخ المصرى مانيتون :

من أعظم المؤرخين المصريين القدامى عاش فى سمنود، ويحتمل أن يكون أحد أعظم المتعلمين فى الكليات الكهنوتية، محل ميلاده موضع جدل فتقول بعض الأساطير أن له علاقة بمتنديس، وأساطير أخرى تجعل له علاقة بمعبد أون (هليوبوليس)، واسمه مصرى، ملما بالهيراوغليقية وبالديانة المصرية، وكان يعرف الإغريقية أيضاً، وقد ألف الكتب التى شهرته بهذه اللغة، ومن أشهر مؤلفاته «تاريخ مصر» الذى كتبه حوالى ٢٨٠ ق.م. فى عهد «بطليموس الثانى»، ولكن لسوء الحظ ضاع كتابه فى حريق مكتبة الاسكندرية، وليس لدينا منه إلا بعض كسر نقلها المؤرخون اليهود مثل يوسفوس فى القرن الأول الميلادى ويوليوس أفريكانوس فى حوالى ٢٢٠م، ويوسيبوس فى حوالى ٣٢٠م، ويمكن تكوين صورة عن مؤلف مانيتون الأسمى من هذه التراجم، ويتألف معظمه من قوائم بأسماء الملوك مرتبة حسب الأسرات مع تقدير بمدة

(١) Vercoutter, J., The Near East, London , 1967, p.p. 259-260.

وكذا : محمد جمال مختار : مصادر التاريخ الفرعونى، مجلد الحضارة المصرية، ص ٨١-٨٤. عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها، ج١، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٣٥.

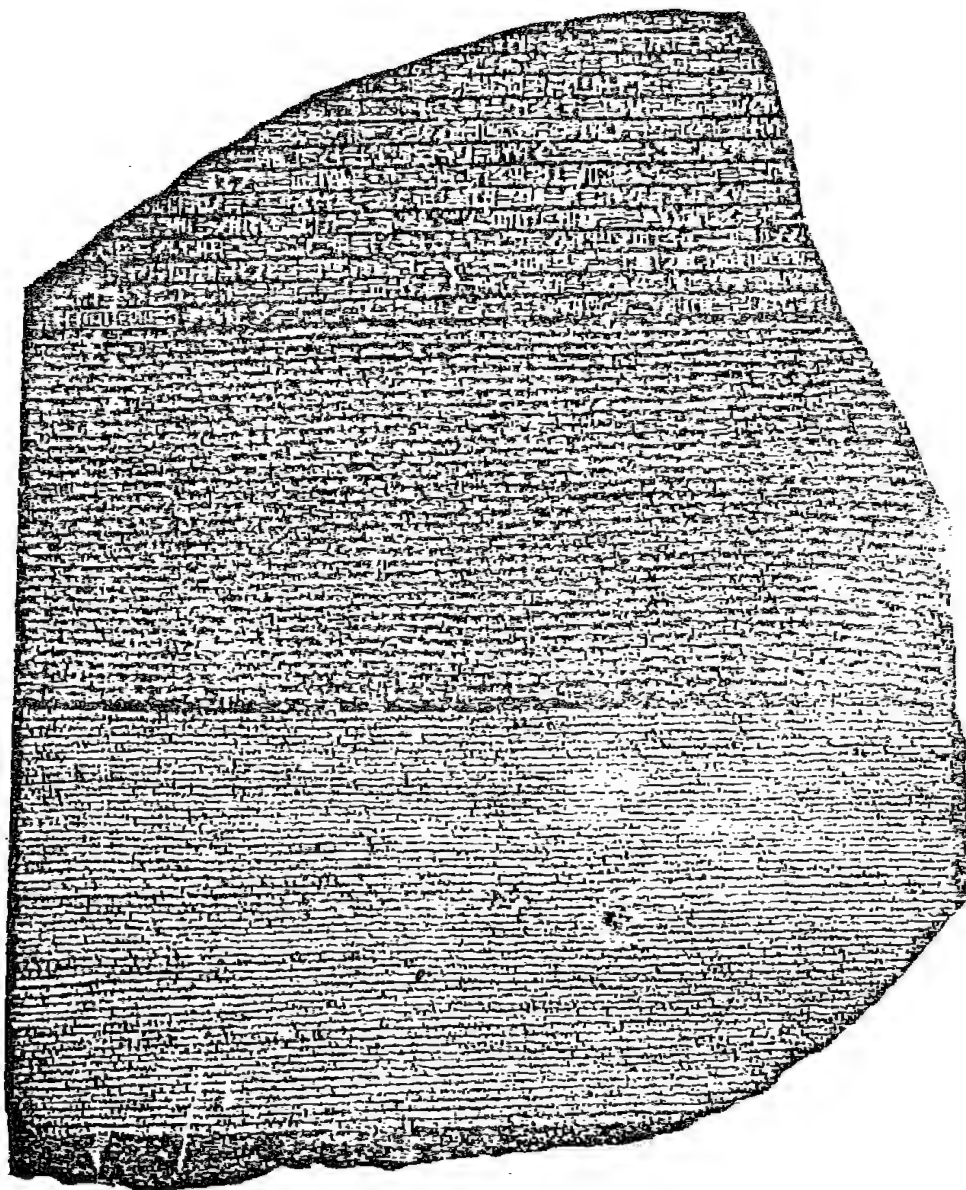
حكم كل ملك ، ومؤلفه يقسم الأسرات إلى ٣١ أسرة. (١)

وقبل أن نختم الحديث عن مصادر التاريخ المصرى من الآثار المصرية لابد من الإشارة إلى وجود ما يسمى بعلم المصريات الذى استفاد من جهود السابقين أمثال «هيرودوت» الذى زار مصر فى القرن الخامس ق. م. ليشاهد آثارها ويدون تاريخها، وتبعه فى ذلك عدد من المؤرخين والجغرافيين . أمثال «سترابو» و «ديودور» وغيرهم، وهناك أيضا «أثناسيوس كيرشر Kircher» فى القرن السابع عشر الذى أحيا دراسة اللغة القبطية وحاول عبثا حل طلاسم الهيروغليفية ، ثم كانت حملة نابليون على مصر (سنة ١٧٩٨) التى نبهت للدراسة العلمية بوضع مؤلف «وصف مصر» ، ثم اكتشاف شامبليون لمفتاح قراءة النقوش الهيروغليفية (سنة ١٨٢٢) (٢)، ذلك الاكتشاف الذى كان دفعه كبيرة لعلم المصريات وتفاصيل ذلك بشئ من الإيجاز أنه فى عام ١٧٩٩ اكتشف أحد العسكريين فى الحملة الفرنسية ويدعى «بوشار» على حجر يعرف اليوم باسم «حجر رشيد» (شكل ٤) عثر عليه بمدينة رشيد وبموجب معاهدة الإسكندرية وصل الحجر إلى إنجلترا سنة ١٨٠٢، والحجر مسجل عليه ثلاثة أنواع من الكتابة هيروغليفية وديموطيقية ويونانية، وتتابع جهود العلماء لمحاولة حل شفرة الكتابة الهيروغليفية والديموطيقية بدءا من السويدي أكريال، والانجليزى توماس يونج «حتى نجح» فرانسوا شامبليون» (١٧٩٠ - ١٨٣٢) فى الاهتداء إلى أسرار الكتابة الهيروغليفية حيث تمكن إضافة إلى اسمى بطليموس وكليوباترا من إعطاء أسماء أكثر من سبعين ملكا قديما

(١) جورج بوزنر وآخرون : معجم الحضارة المصرية القديمة ، مانيتون ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٢٧ .

وكذا : Vercoutter , J. , Op. Cit. , P. 260.

(٢) عن مزيد من المعلومات أنظر : علم المصريات ، معجم الحضارة المصرية، ص ١٨٠ .



(شکل ۴) : حجر رشید

مستخدما الأبجدية والرموز الهيروغليفية (١).

ثم تابعت البعثات العلمية العديدة للكشف عن خبايا الحضارة المصرية القديمة، بعثة شامبليون وروسلينى (١٨٢٨ - ١٨٢٩) ، بعثة ليبسيوس (١٨٤٢ - ١٨٤٥) ، والعديد من مجهودات العلماء الأجانب أمثال : مارييت الذى يرجع إليه الفضل فى إنشاء المتحف المصرى، وإدارة الآثار المصرية ، والذى قام بالعديد من عمليات البحث والتنقيب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، دى روجية ، بروجش ، فنلدرزيتري، نافيل ، كويل وغيرهم، بالإضافة إلى عدد من المخلصين والعلماء المصريين الذين ساهموا فى إثراء المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات وساهموا فى زيادة الاهتمام بالتراث المصرى القديم .

ثانيا : كتابات المؤرخين والرحالة الأجانب :

تميزت مصر منذ قديم الأزمنة بموقع ممتاز، فأرضها تقع فى قارتين من أقدم قارات الدنيا، أفريقيا وآسيا، فى الأولى خير ما تحمل الأرض من طيبات الرزق، وفى الثانية خير ما تمخضت عنه عقول البشر، كما أنها مهبط الرسائل السماوية المقدسة، وهى ملتقى بحرين من أهم بحار العالم القديم وهما البحر الأحمر بما يمثله من أطلاله على الشرق والمحيط الهندى والبحر المتوسط بما يعنيه من ربط مصر بأوروبا وشرق المتوسط، فهى إذن بمثابة القلب من العالم القديم، وهى أداة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، والنافذة الحضارية على العالم أجمع، وفوق ذلك فلقد حباها الله عدداً من النعم فى المناخ والأرض والنيل والموارد الطبيعية والبشرية ، ولهذا كان تاريخ مصر منذ (١) جيمس ، ج. هـ : كنوز القراءة ، ترجمة د. أحمد زهير، مراجعة د. محمود ماهر ، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧٦ - ٧٧ .

وكذا : Seele, K. , When Egypt Ruled The East , Chicago, 1971, P. 3.

أقدم العصور وحتى اليوم مفعم بالحياة والتجدد شأن النيل المتجدد كل عام،
فالتمس الإقامة فيها كل طالب رزق من كل فج على مر العصور، كذلك طمع
فيها كل من وجد في نفسه قوة أو طمع لكنها ودائما تنتصر على الطامعين
والغزاه بفضل حيويتها وروح الحمية الموجودة في رجالها وتعودهم على حب
أرضهم ونضالهم المستمر.

ومع بزوغ عصر الأسرة السادسة والعشرين حوالي ٦٦٤ ق.م. ازدهرت
الحياة السياسية والاقتصادية بشكل ملحوظ، وبدأت مصر إحياء للتهضة
القديمة أيام الدولتين القديمة والوسطى، ووفدت على مصر أعداد من
المهاجرين الأجانب الذين عملوا كجنود مرتزقة أو في التجارة، وتطور الأمر
لوجود مدن للجاليات الأغريقية في مصر كما هو الحال في مدينة نوقراطيس
(تقع على الجانب الغربي من الفرع الكانوبي وتقوم على انقاضها نقرش وكوم
جعيف قرب محافظة الاسكندرية)، وفي تلك الفترة أو بعدها بقليل بدأت
أعداد من المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان بزيارة مصر وبعض بلدان
الشرق الأدنى القديم وكتبوا عنها الكثير من المؤلفات والكتب في مختلف
جوانب الحياة، مما يجعل ما كتبوه مصدر هام أيضا عن تاريخ مصر وخاصة في
الفترات من الأسرة السادسة والعشرين وحتى نهاية العصور الفرعونية مع الأخذ
في الاعتبار أن هؤلاء المؤرخون قد حوت كتاباتهم الغث والسمين بسبب جهلهم
بلفات البلاد وتعصب البعض منهم ضد أصحاب البلاد، وأعتما د عدد منهم
على أبناء عموماتهم والنقل عنهم بدون روية أو تمحيص فجاءت مؤلفاتهم أحيانا
بعيدة عن الحقيقة وغير ملمة بالأحوال الاجتماعية في كثير من الأمور، ومعبرة
عن وجهة نظرهم وتفسيرهم تبعا لعاداتهم هم وليس أهل مصر .

ومن أشهر هؤلاء المؤرخين والجغرافيين الذين زاروا مصر وذكروها في
مؤلفاتهم هيرودوت، هيكاته المليتى، ديودور الصقلى، وبلوتارخ، وسترالو،
وكلوديوس بطليموس وغيرهم .

هيكاتيوس الميلى :

الشهير بالميليتى (نسبة إلى ميلتيوس فى آسيا الصغرى) من أشهر جغرافى زمانه ، سبق هيرودوت فى كتابة التاريخ ويعد أول اسلافه فى هذا المجال، زار كثيرا من بقاع الدنيا المعروفة فى أيامه ، وسجل كل مشاهداته وبخاصة وصف تلك البقاع فى مؤلف أطلق عليه « رحلة حول البحر » كما زار مصر، وقد ضاعت مؤلفاته كلها ولم يبق منها إلا ما تحدث عنها من نقلوا عنه، ومن الآخرين عرفنا أنه تحدث عن الدلتا وفيضانات النيل، واحتمال أنه أول من قال « مصر هبة النيل » أو « هبة النهر » ثم ردد العبارة هيرودوت من بعده (١).

هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م.)

اسمه من الاسماء المركبة ويعنى « هدية هيرا » أو « عطاء هيرا » ولد « هردوت » فى هاليكارناسوسى فى الركن الجنوبى الغربى من آسيه الصغرى ويختلف الباحثون فى تاريخ مولده وأيضا فى تاريخ وفاته، حيث تتفق المراجع أن هردوت حين أنهى من أسفاره توجه إلى مدينة « ثورى » الواقعة جنوب إيطاليا حتى ادركه الموت ومات فيها ولشدة حبه لتلك المدينة نسبة بعض المؤرخين إليها أحيانا فأطلقوا عليه « هردوت الثورى » تعددت رحلات هيرودوت إلى كثير من البلاد ومنها بابل ومصر، ووضح من تاريخ هيرودوت أنه زار كثيرا من أقاليم الدنيا فى آسيه وأفريقية وأوربا، وهناك صعوبة فى ترتيب رحلاته ترتيبا تتابعيا، كتبه التسعة ظلت موضع جدل طويل بين العلماء بين فريق له وفريق عليه، ومع هذا فهو يوصف بأنه « أبو التاريخ » وكتابه الثانى اختص به مصر، وبداه بالحديث عن حملة قمبيز الفارسى عليها، ثم خلس من ذلك إلى الحديث عن أرض مصر وسكانها وتقاليدهم وعاداتهم، وأضاف إلى ذلك ما زعم

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

أنه راه وسمعه ولاحظه فى البلاد أثناء إقامته فيها، وحرص هيرودوت أن يعبر عن إعجابه الشديد بالمصريين وامتداح فضائلهم ويذكر لهم الفضل فى الكشف عن كثير من العلوم والمعارف التى أقادت الإنسانية عامة والأغريق خاصة، مما أوغر صدر بلوتارخ ورفاقه من المؤرخين الأغريق .

ويوجه الكثير من النقاد النقد لهيرودوت فمنهم من يرى أن « هردوت » لم تزد إقامته فى مصر عن أرض الدلتا وواحة الفيوم ، ولم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور، وأنه لم يصل إلى ما وراء أسوان كما يزعم، كذلك اعتمد هيرودوت على بنى عمومته فى وصف مشاهد مصر ومعالمها وآثارها العمرانية ونقل أخبارها التاريخية، وهؤلاء الناس من بنى قومه لم يكن فى وسعهم أن يبلغوا بثقافتهم فهم الحياة المصرية العريقة وأصولها المليئة بالأسرار والعظات .

أيضا ما رواه « هيرودوت » فى القسم الأول من تاريخ الملوك لا يتفق مع ما كان معروفا من مصادر التاريخ القرعونى وخاصة أنه قد جهل ترتيب المشاهير من أولئك الملوك وتتابع عهودهم، ولم يذكر شيئا عن الهكسوس وطردهم من مصر وهو تراث معروف لكل مصرى .

ومهما يكن من شئ فإن فى كتاب « هردوت » عن مصر ما يدل على أنه بذل من الجهد فى إخراجه ما يدفعنا إلى النظر فيه ولكن فى كثير من الحيلة والحذر والحرص على تحرى الحقيقة المجردة (١) .

ديودور الصقلى Diodorus Siculus (٨٠ - ٣٠ ق.م)

الف ديودور الصقلى كتاب فى التاريخ العام "General History" أطلق

(١) أحمد بدوى ، محمد صقر خفاجة : هردوت يتحدث عن مصر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٧-٣٣ .

Waddell, W.G., Herodotus , London , 1939 .

وكذا :

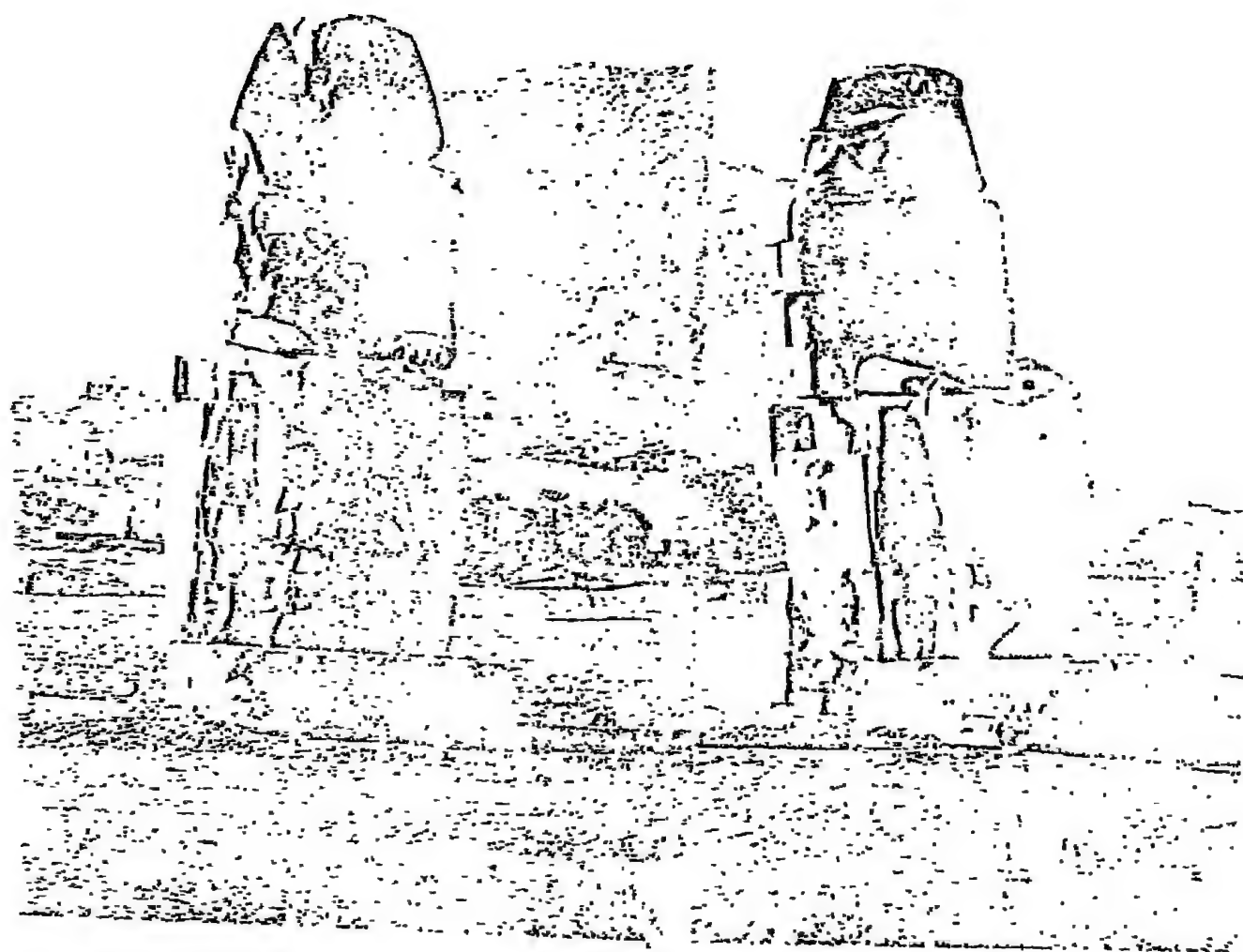
عليه « المكتبة التاريخية » تناول فيه تاريخ العالم منذ العصور السحيقة حتى عام ٦٠ ق.م.

قام بزيارة مصر لمدى قصير فى عام ٥٩ ق.م. ، اعتمد على من سبقوه من المؤرخين أمثال هيكتايوس ، وهيرودوت ، كما تناول العقيدة المصرية وبصفة خاصة الإله أوزير ، وذكر بعض تفصيلات عن أرض مصر ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية ، وتناول التاريخ المصرى القديم ، وعدد من المدن المصرية القديمة كمكف وطيبة ؛ لكن روايته الطويلة عن التاريخ المصرى بعيدة عن التتابع والموضوعية حينما جعل من تأسيس منف تاليا لتأسيس طيبة (١).

سترابو : Strabo (٦٣ ق.م. - ٢١ ق.م.)

من مواطنى « بونتوس » على البحر الأسود ، يتحدث اليونانية ، أقام فى الإسكندرية لبضع سنوات ، صحب الحملة الرومانية مع صديقه حاكم مصر الرومانى « اليوس جالوس » إلى الجندل الأول حوالى عام ٢٥ - ٢٤ ق.م. وكتاب سترابو عن مصر قصير نسبيا ، أهتم بجغرافية مصر بوجه عام والدلتا بوجه خاص ، كما تحدث عن الإسكندرية والأقليم المتاخم لها شرقا بالتفصيل وأمدنا بمعلومات قيمة عنها ، وبالإضافة للمعلومات الجغرافية والتاريخية فهو يعطينا بعض المعلومات الشيقة عن المباني والعبادات ، وهو أول من أشار إلى تمثالى « أمنحوتب الثالث » فى غرب طيبة (تمثالا ممنون) (شكل ٥) التمثالين الضخمين الجالسين شاهدين على مكان معبده القديم إذ كانا قائمين أمام مدخل صرحه الأول ، كما يحدثنا سترابو عن مقياس النيل فى الفتين وهو نموذج من القياس تسجل على جدرانها سنويا ارتفاعات منسوب فيضان النيل

(١) Gardiner , A., Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1974, pp. 5 - 7.



(شكل ٥) : تمثالا ممتون

كما ذكر عدد من المدن الحدودية الجنوبية يمكن تحديد مواقع معظمها بدرجة جيدة

وهنا عدد من المؤرخين والجغرافيين تناولوا تاريخ مصر وجغرافيتها منهم « بليني الأكبر Pliny The Elder » (٢٣-٧٩) وله موسوعة لقدامى المؤلفين ، ونالت مصر نصيبها الوافى من اهتمامه ، وكتابات الجغرافية عن مصر هامة لكنه لا يصل إلى مستوى « سترابو » أو « كلوديوس بطليموس » الذى أخرج كتابه « الجغرافيا » حوالى عام ١٥٠م ، كذلك لابد من الإشارة إلى ذلك المؤلف الذى كتبه « بلوتارخ الخيرونى Plutarch of Chaeronea » (٥٠-١٢٠م) :

عن « أوزير وأيزه » وهى قصة مستوحاة من الأدب المصرى القديم سبق ورواها قبله « ديودور » وقد ركز فيها على الصراع بين الخير والشر وانتصار الخير فى نهاية المطاف ، فهو يصور أوزير بالرطوبة المنتجة كما يرى فى أيزه (ايزيس) الأرض وفى ابنهما حور (حورس) البلل الطقسى وأحيانا المطر الذى ينتصر على الجفاف ، وهى كلها صور تمثل انتصار الخير فى نهاية الأسطورة^(١).

ثالثا : المصادر المعاصرة فى الشرق الأدنى القديم :

تنوعت علاقات مصر بدول العالم القديم بين العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على مر العصور ، ولذا يمكن الاعتماد على مصادر تلك الدول سواء كانت مصادر أثرية أو نصية عن علاقاتها بمصر منذ عصور الدولة القديمة والوسطى والدولة الحديثة ، والعصر المتأخر الأخير ، وهى فترات طويلة تراوحت تطلعات هذه الدول أو الدويلات ، بين الاستفادة الحضارية والاقتصادية من مصر ، وبين الخضوع لمصر فى عصر الامبراطورية ، أو السيادة

Ibid , pp. 8 - 9 .

(١)

والصراع معها فى فترات الضعف السياسى منذ نهاية العصور الفرعونية ، وهو ما عبرت عنه وثائق ورسائل حكام هذه الدول التى تراوحت بين الود والخضوع ، والتقرب والحفاء .

كذلك يمكن استيضاح الكثير من المعلومات التى دونها ملوك طوال التاريخ المصرى القديم بعمل نوع من الدراسة المقارنة مع مثيلاتها بما يعاصرها فى بلدان الشرق الأدنى القديم لاستخلاص الحقائق التاريخية .

رابعاً : الكتب المقدسة :

يمكن الاعتماد على ما جاء فى الكتب المقدسة التوراة والقرآن الكريم ، والتى روت الكثير عن القصص التى حدثت فى العصور القديمة بغرض العظة والعبرة من تلك القصص ، التى ذكرت الكثير من بلدان العالم القديم ، والأنبياء الأطهار ، وبعض هذه القصص ارتبطت بمصر وعصورها القديمة ، كقصة إبراهيم عليه السلام ويوسف وموسى عليهما السلام ، ومن خلال هذه القصص الكريمة يمكن الوقوف على كثير من المعلومات عن عقائد مصر والحياة الاجتماعية والاقتصادية والكثير من الجوانب الأخرى فيها ، مع مراعاة توخى الحذر فيما كتبه كتبة التوراة ، وما يعتمدون عليه من إسرائيليّات .

الفصل الثانى

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الثانى

عصور ما قبل التاريخ

اتفق العلماء على تسمية الدهور القديمة التى سبقت معرفة الكتابة بتسميات عدة منها عصور ما قبل التاريخ، وعصور ما قبل المدنية، وحضارات عصور ما قبل التاريخ، والدهور الحجرية وغيرها من المنسحيات، مع ملاحظة أنه لكى نعى ونفهم الحضارات التاريخية ونشأتها وتطورها ، لابد لنا من فهم تراث الاسلاف تلك الدهور الطويلة المسماة بعصر ما قبل التاريخ الذى يقسمه عدد من الباحثين إلى مراحل لتسهيل دراسته :

- ١- العصر الحجري القديم (بإقسامه الثلاثة الأسفل والأوسط والأعلى)
Palaeolithic .
- ٢- العصر الحجري الوسيط Mesolithic .
- ٣- العصر الحجري الحديث Neolithic .
- ٤- عصر النحاس والحجر Chalcolithic .

وقد يضيف البعض إلى هذا التقسيم مراحل أخرى حيث يبدأ ما يسمى « الفجر الحجري » Eolithie إشارة للدهر الإبولينى ، ويختتم العصر بعدة مراحل تسبق العصور التاريخية والتى تختلف فى بدايتها من مكان لآخر حسب التوصل إلى معرفة الكتابة وبداية الفترات التى تلى الدهور الحجرية الطويلة والتى تعرف بعصور ما قبل التاريخ والمتفق عليه الآن أن ظهور الإنسان كان فى أوائل الزمن الرابع Pleistocene (البلايستوسين)^(١) ، وربما ظهر فى العصر الذى سبقه وهو البليوسين (Pliocene)^(٢) ، ومعنى ذلك أن الإنسان عاصر الأحداث المناخية الكبرى فى عصر البليوستوسين ، وشاهد خلاله تقدم وتراجع الجليد (المعروف

(١) مصطفى عامر : حضارات عصر ما قبل التاريخ ، ص ٢٧ .

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٥٣ .

إن هناك عصور جليدية أربعة شهدتها العالم القديم جنز، مندل، رس ، فرم ، مع اختلاف الجغرافيين وعلماء الاجناس فى المكان الذى ظهر فيه الإنسان) .

ولقد اخذ العلماء ببقايا المخلفات الإنسانية من آلات ومعدات واسلحة حجرية استخدمها الإنسان الأول فى شتونه المختلفة وكانت أفضل من غيرها من الأشياء الأخرى التى قاومت الزمن ووضح فيها مدى جهد الإنسان فى تطويرها، مع عدم الإقلال من البقايا الأخرى من نبات وحيوان وعظام ومواقد ومخازن ومقابر، وهناك نوعان من المصادر منها المصادر الأثرية ، ثم النصوص المسجلة بواسطة الإنسان المصرى، وعلى أساس هذه وتلك يمكن تقسيم حضارات عصر ما قبل التاريخ فى مصر إلى الأقسام الآتية :

١- حضارات العصر الحجري القديم (١) .

٢- العصر الحجري الوسيط (من حوالى ٨٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ ق.م. تقريبا) .

٣- العصر الحجري الحديث (من حوالى ٥٠٠٠ إلى ٣٨٠٠ ق.م. تقريبا) .

٤- فترة ما قبل الأسرات (من حوالى ٣٨٠٠ إلى ٣١٥٠ ق.م. تقريبا) .

حضارات العصر الحجري القديم :

تعد هذه المرحلة الحضارية أطول وأقدم المراحل فى تاريخ الإنسانية، وفى هذه المرحلة الطويلة من عمر البشرية خضع الإنسان لسلطان الطبيعة وتعرض لخطر أخيه الإنسان وايضا لخطر التعامل مع الحيوانات التى كانت موجودة فى بيئته كالغزلان والظباء والتماتل والفيلة والأغنام الوحشية ، بالإضافة إلى بعض

(١) ظهر الإنسان الأول - أغلب الظن - فى الزمن الرابع من تاريخ القشرة الأرضية (من حوالى

٦٠٠,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ ق.م.) خلال عصر البليستوسين الذى شمل العصر الحجري القديم

بأقسامه ، مع مراعاة صعوبة تحديد الفترة التى شغلها الزمن الرابع من تاريخ القشرة الأرضية ،

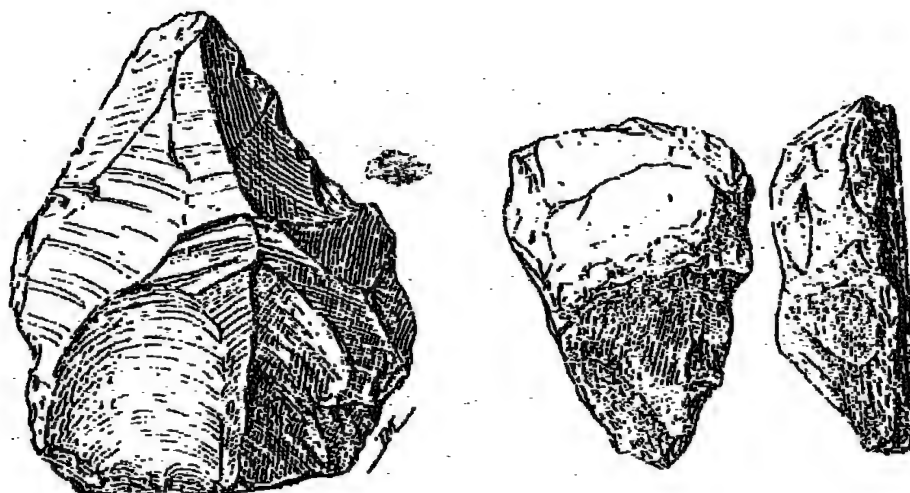
ولهذا ترجع إلى الفروض المعقولة للعلماء ، أنظر :

سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤ .

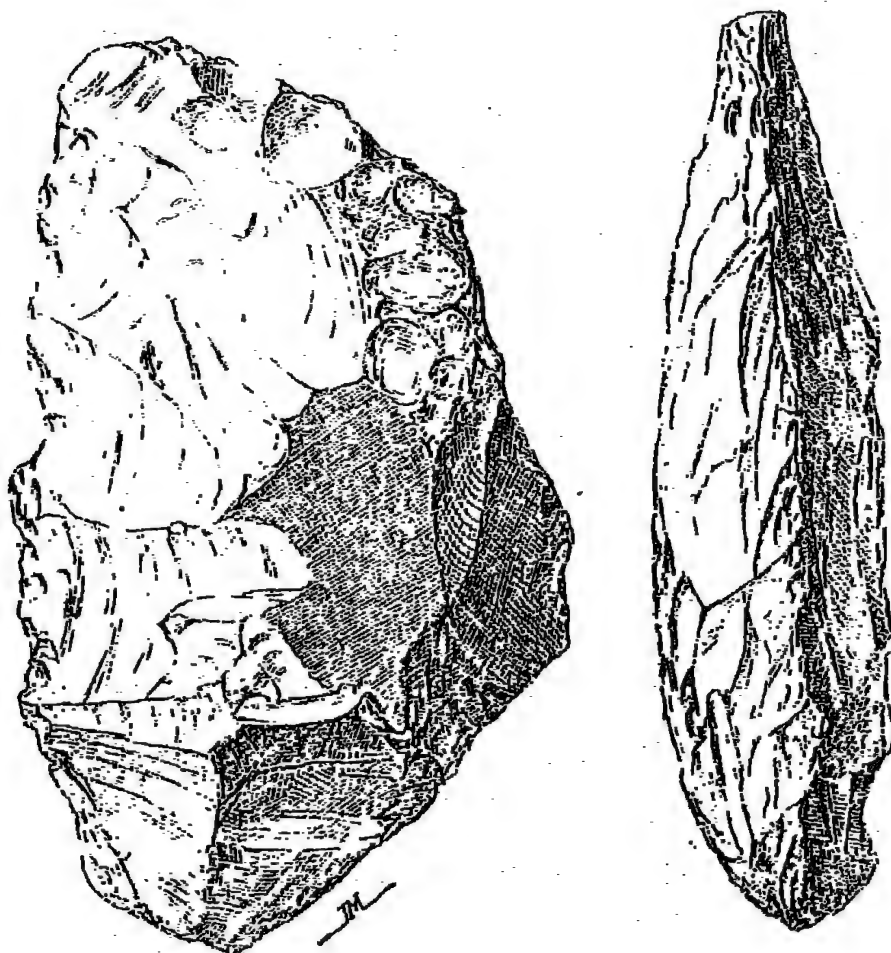
الحيوانات الكاسرة كالأسد والضبع والذئب والزواحف وما تمثله من خطر داهم عليه أن يتجنبه، وكان الصيد بأنواعه هو المصدر الرئيسي لقوت الإنسان وغذائه بالإضافة إلى ما يقوم بجمعه من ثمار وبذور النبات والفواكه، ولمدة طويلة خلال هذا العصر كانت الأمطار تنزل بغزارة في شمالي إفريقيا وغربي آسيا وتشير الأدلة على أنه كان في مصر في ذلك الوقت عصران مطيران ، وكان مستوى الماء في النيل في ذلك الوقت عاليا ، ثم جاء بعد ذلك عصر ساد فيه الجفاف وانحسبت الأمطار وسادت الأحوال الصحراوية وخاصة في المرحلة الأخيرة من هذا العصر .

استخدم الإنسان في مرحلة العصر الحجري القديم ما هو متاح في بيئته من اغصان الأشجار والحجر وخاصة حجر الطران (الصوان) الموجود بوفرة في كل مكان ، وقد قسم العلماء العصر الحجري القديم إلى عدة مراحل (أسفل، أوسط ، أعلى) على أساس مدى التقدم في أدوات العصر الحجري، التي تشابهت خصائصها في أغلب بقاع العالم القديم، ولذلك حملت الأدوات الحجرية مسميات أوربية مثل الحضارة السابقة للشيلية "Prechellian" ، والشيلية (نسبة إلى مكان يسمى Chelles بالقرب من باريس) ومن أهم مخلفات هذه المرحلة «قبضة اليد Coup de Poing» أو البلطة اليدوية ، تلك الزلطة التي كان الإنسان يتخيرها بما يمكنه من مسكها ووضعها أعلى قبضة يده واستخدامها في الدفاع عن نفسه كسلاح يوفر له نوع من الحماية ، ويستطيع استخدامه في بعض أموره الحياتية ، (شكل رقم ٦ ، ٧) .

ونتيجة للتطور في أدوات الإنسان من حيث جعل الحجارة أكثر صلاحية لقبضة يد الإنسان ، أو تناولها بالتهذيب وتبعا للحاجة البشرية ، ظهرت مراحل أخرى مثل الصناعة الأبيقيلية (نسبة إلى مكان يسمى Abbeville في شمال فرنسا)، والموستيرية (نسبة إلى كهف موستية Moustier بفرنسا)، وظهر الجهد الإنساني في صناعة الشظايا ، والمحركات والمكاشط ، والمدى ، والمثاقب، والحراش .



(شكل ٦) : نماذج حجرية لبعض البلط الحجرية (فأس يدوية)



(شكل ٧) : قبضة يد شيلية

نقلا عن : De Morgan, La Pre' Histoire Orientale P. 6.

وتوجد آثار حضارات العصر الحجري القديم فى أماكن متعددة فى مدرجات وادى النيل والدلتا والوديان الصحراوية، فى منطقة العباسية ، والفيوم، وحول المنابيع والعيون القديمة فى الواحات وبخاصة فى الواحات الخارجة والهضبتين الشرقية والغربية ، فى أجزاء عديدة من مصر العليا وخصوصا حول طيبة .

ولعل من المفيد القول أنه ابتداء من العصر الحجري القديم الأوسط أصبح لمصر طابع خاص وبدأ الرجال فى مصر فى تطوير أدوات حضارية من إنتاجهم الخاص، حيث ظهرت الأدوات الليفلوازية المصرية فى محاجر الجبل الأحمر فى نجع حمادى ، كما يمكن تلمسه فى الصناعة السبيلية (نسبة إلى قرية السبيل بالقرب من كوم أمبو الحالية) (١).

وفى نهاية العصر تسود الصناعة الميكروليثية (الدقيقة) ، كما تظهر الازاميل، وأحجار للطحن ، وأخرى عليها أثر المغرة الحمراء ، كما تظهر بعض المواقع، مما يشير إلى توصل إنسان العصر القديم الأعلى إلى معرفة سرياقاد النار وما مثله ذلك من نقله كبيرة فى حياة إنسان العصر الحجري القديم الأعلى.

العصر الحجري الوسيط (حوالى ٨٠٠٠ ق.م. إلى ٥٠٠٠ ق.م. تقريبا) شغل حوالى ثلاثة آلاف عام تقريبا، أدواته قليلة فى مصر، ومن مواقع كوم أمبو، ووادى العنجبية جنوب طريق القاهرة - السويس)، حلوان، وجدت أدوات الصيد (الحريون) لصيد الحيتان، رؤوس سهام من الظران للصيد ومناجل يدوية (٢).

(١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 234 .

وكذا :

Ibid, P. 234 , 237 .

(٢)

وهناك عدد من الباحثين لا يعترفون بوجود العصر الحجري الوسيط في مصر على أساس اعتبار صناعاته امتداداً للصناعات القزمية في عين حلوان وغيرها من مناطق أطراف الدلتا^(١). وهناك عند الجندل الثانى للنيل اكتشف موقع ينتمى إلى العصر الحجري الوسيط وصناعاته حوالى ٧٥٠٠ ق.م. وسوف تاتى الاكتشافات الحديثة عن هذا الموقع عن مزيد من التفاصيل عن هذه الفترة.

ومن أهم المواقع التى تنتمى حضارتها إلى الفترة الواقعة بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث، مواقع الحضارة الناطوفية فى فلسطين (نسبة إلى وادى النطوف غربى القدس) وقد عثر فى طبقات هذا الموقع على آثار تشمل مرحلة جمع الطعام من ناحية أى آثار الصيد، وآثار بداية الانتقال نحو الاستقرار من ناحية أخرى، فهناك الأدوات الحجرية ورؤوس السهام والمناجل والأجران، وقد جمعت الحضارة الناطوفية فى مواقعها بين الكهوف والساحات الممتدة أمامها وبصفة خاصة فى نواحي جبل الكرمل، وفى وادى نهر الأردن^(٢).

- العصر الحجري الحديث :

مع العصر الحجري الحديث حوالى الألف الخامس ق.م.، والفترة التى سبقتة التى شهدت تغيير المناخ فى مصر، نظراً لازدياد الجفاف، واختفاء مساحات النباتات المزروعة، واضطر الإنسان فى مصر وشمال افريقيا وغربى آسيا البحث من وسائل جديدة للرزق، دون أن يتخلوا عن نشاط اسلافهم فى الجمع وصيد الحيوان والاسماك، وفى الوقت الذى كانت فيه الأمطار فى أقصى شمال

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الاول، بيروت، ١٩٦٨، ص ١١٤

النهر قد أخذت تقل، كان وصول مياه الحبشة ومعه المياه الاستوائية بمثابة إنقاذ لنهر النيل، ولولا ذلك لتحول النيل الشمالى بالتدريج إلى واحد من تلك الأودية الجافة التى نراها الآن بالصحراء الشرقية أو فى بلاد النوبة وشرق السودان ولكن مياه الحبشة جاءت غزيرة وفيرة الطمى تجرى على الخصوص فى فصل الفيضان ، وتساعد بما تحمل من رواسب على تمهيد مجرى النيل الأعظم وإزالة العقبات منه لاشيما فى مناطق الجنادل ، أما مياه الهضبة الاستوائية فقد كانت قليلة نسبيا وقليلة الرواسب، ولكن لها ميزة خاصة، هى أنها دائمة الجريان على مدار العام وبذلك ضمنت للنيل الأدنى أن يكون نهراً دائماً الجريان .

وقد كان لوصول مياه المنبعين فى وقت بدأت فيه الصحارى تجف تدريجيا أثر كبير فى تركيز حياة الإنسان فى وادى النيل، وخاصة حينما بدأت أحوال المطر إلى التحسن قليلا خلال ما أسميناه الدور الممطر فى العصر الحجري الحديث^(١) .

ذلك العصر الذى ظهرت فيه الزراعة وصناعة الفخار والنسيج ، واستئناس الحيوان، وبذلك كله أصبح الإنسان يعيش بطريقة إنتاجية بعد أن كان يعيش بطريقة استهلاكية واصبح الإنسان يستدر خير الأرض والبيئة، بعد أن كان يعيش تحت رحمة الطبيعة وما تجود به عليه، وظهرت علامات الاستقرار والتطور التى قادت مصر من مجتمع إنسانى صغير جداً، على شكل جماعات موجودة فى أماكن متفرقة على ضفتى النيل، وبحيره الفيوم ، وفى الواحات ، إلى أعظم ملكية مركزية صنعت الإنجازات والمعجزات .

وإلى العصر الحجري الحديث أيضا تعود أول المجهودات الأولى للتحكم فى النيل لقائدة الإنسان، واستمرت هذه المجهودات خلال ما قبل الأسرات والعصر التاريخى ، وبالتأكيد هذا هو الذى حول قبائل العصر الحجري الوسيط

(١) سليمان حزين، حضارة مصر أرض الكنانة، القاهرة، ١٩٩١، ص ٥٦ - ٥٧ .

وبدايات العصر الجرى الحديث إلى التعاون والاتحاد وإلى مجتمع منظم ، وهذا القول يحتاج إلى قليل من التفصيل ، ففيضان نهر النيل - أحيانا - كان مصدر خطر مشترك يهدد حياة السكان جميعا في وادى النيل أو على جوانب النهر وفي دلتاه ، فكان من الضروري أن تقام الجسور ، ومثل هذا العمل يحتاج إلى توحيد للجهود ، وإلى جهود جبارة ومنظمة فى الوقت نفسه ، وكذلك إقامة القرى فى مأمن من غائلة الفيضان وخطاره تلك الاخطار التى علمت سكان وادى النيل الوحدة كما علمتهم فى الوقت نفسه حسن النظام وأحكام التنظيم^(١).

أيضا ظهرت سلسلة من القرى القديمة عشر على بقاياها بالقرب من مناطق الحواف للمضفة القديمة للنيل منها : حضارة الفيوم^١ (بالقرب من بحيرة الشط) . وفى الجزء الجنوبي الغربى للدلتا موقع مرمدة بنى سلامة ، وفى الجزء الجنوبي للدلتا ، ليس بعيدا عن القاهرة بالقرب من موقع حلوان الذى ينتمى للعصر الحجري الوسيط ، يأتى موقع العصر الحجري الحديث « حلوان العمرى » . وفى مصر العليا عرف مركز حضارة « دير تاسا » فى مقابل اسيوط واتفقت هذه الحضارات وغيرها من المراكز التى عشر عليها فى التوصل إلى الزراعة والاستقرار ، وفى الاعتقاد فى البحث والخلود ، مع الاختلاف فى بعض التفاصيل بكل حضارة من هذه الحضارات .

وبفضل كريبون ١٤ المشع استطعنا أن نسلسل تقويم هذه المواقع ، وحضارة (الفيوم ١) هى الأقدم حوالى ٤٤٠٠ ق.م. ± ١٨٠ سنة ، حضارة مرمدة بنى سلامة تاتى بعدها بقليل ، ثم « حلوان العمرى » ، مركز حضارة ديرتاسا^(٢).

فى قرية « الفيوم ١ » ومرمدة بنى سلامة ، تدل البقايا الأثرية أن سكانها اهتموا بالزراعة حيث عثرنا على مناجل حصد الغلال مصنوعة من الظران ، وعثر

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٦١ .

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 235 .

وكذا :

Ibid ., P. 236 .

(٢)

على زبابيل وجران فى حفر اسطوانية محفورة فى الأرض سلات من الخوص والحبال المجدولة لتخزين الحبوب ، حيث عرف الرجال القمح والشعير والكتان، وبقايا التخزين عديدة ، عظام ماشية، غزال، خنازير ، أيضا وجدت كلاب فى المواقع ربما لاستخدامها فى الصيد، وأيضا فى الحراسة بالنسبة للزراعة، بقايا نسيج ، مغازل حلزونية ، ملابس صوفية، كما وجد فى الفيوم ، ومرمدة بنى سلامة بقايا جلود ، أدوات حجرية ومحركات ، وفخار استخدم أهل الفيوم المغرة الحمراء فى تلوينه، ويلاحظ أن فخار الفيوم لم يصل إلى فخار الحضارات الأخرى ولكنه كان شائعا .

فى « مرمدة بنى سلامة » كما فى قرى « الفيوم ١ » كانوا يدفنون موتاهم بين مساكنهم وفى نفس القرية وليس فى جبانات خاصة ، كان المتوفى مازل يشارك فى الأنشطة الخاصة بالأحياء ، وضعوا الحبوب قرب رأس المتوفى، وأحيانا قرب أفواههم، مما يوضح الاعتقاد فى نوع من الحياة خلف أبواب الموت، وكان القبر فى مرمدة عبارة عن حفرة بيضاوية يوسد فيها المتوفى فى وضع القرفصاء ، ويتجه برأسه ناحية الشرق حيث مساكن الأحياء .

حضارات العمرى حلوان، وديرتاسا ، فى الأولى رجال « العمرى حلوان » استمروا فى دفن موتاهم فى القرية نفسها وتحت أرضيات منازلهم، ولكن بعد ذلك وجدت مقابر منفصلة على بعد مساحة من مساكنهم حيث يرقد المتوفى على الجانب الأيسر فى وضع متثنى ، ورأسه ناحية الجنوب والوجه ناحية الغرب فى الغالب، ومرة أخرى أحجار على هيئة دوائر مما يدعم وجود أفكار عن العالم الآخر ووجود طقوس دفن موضحة ومؤكدة بالأشياء التى تخص المتوفى داخل المقبرة .

وفى ديرتاسا (قرى ديرتاسا ونزلة المستجد والخواند) المتوفى لم يعد يدفن فى القرى ولكن فى جبانة مستقلة على حافة الصحراء ، وكانت المقبرة عبارة عن حفرة صغيرة بيضاوية ، والمتوفى يرقد على جانبه الأيسر فى وضع

الجنين (القرفصاء) ورأسه ناحية الجنوب ووجهه ناحية الغرب، وفي بعض الأحيان تغطي المقبرة بجلود الحيوانات، وبعض أدوات الاستعمال اليومي، ويتضح إن إنسان ديرتاسا قد حرص على أعداد طقوس جنازية منظمة، واعتقد في البعث والحياة بعد الموت (١).

وتعطينا « مرمدة بنى سلامة » مثلاً طيباً عن المسكن الأول وكيفية تشييده، ومسكن هذا العصر هو أول مساكن يقيمها الإنسان لنفسه وأسرته، وقد كان كل اعتماده في إنشائها على المواد الأولية الموجودة في البيئة كالطين والغاب وأغصان الأشجار وسيقانها، ومسكن مرمدة بيضية الشكل يتراوح طولها بين ٢ إلى ٤ أمتار، وأغلبها من الطين، على حين أن مساكن العمرى مستديرة ومشيدة من أغصان الشجر الذي يكسوه الطين .

وتدل مواقع القرى على أن الإنسان كان يستغل الطبيعة في اختياره للاماكن التي يبني فيها مسكنه ويقيم قريته، وكان يدرك ما للتضاريس من قيمة في حماية القرية وتوفير مقومات الدفاع عنها، ولم يكن يبتعد كثيراً عن موارد المياه غير أنه كان حريصاً أن يتجنب خطر الفيضان، كما كان يدرك ما للوديان من قيمة كمسالك للمواصلات، وعلى هذا النحو أقام قرية « العمرى » على ربوة مرتفعة عند مصب وادي حوف قريباً من السهل الفيضي للنيل، وشيد مساكن القيوم على شواطئ البحيرة القديمة قريباً من الماء، وأقيمت قرية مرمدة بنى سلامة في بقعة تطل على الوادي من جهة الشرق ويحميها تل مرتفع من جهة الغرب (٢).

(١) Ibid., P.P. 236 - 238 .

وكذا : Brunton , G., Mostagedda and The Tasian Culture , London , 1937, P. 25 ff .

(٢) مصطفى عامر : المرجع السابق، ص ٥٢ .

- حضارات عصر ما قبل الأسرات :

عصر ما قبل الأسرات فى مصر غطى فترة من الزمن تعرف بعصر النحاس (عصر الحجر والنحاس) ، وليس هناك انقطاع بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة بالعكس كان هناك تطور واضح ولهذا السبب نفضل تسمية حضارات عصر ما قبل الأسرات ، الذى شهد مرحلة حاسمة فى تاريخ الحضارة المصرية مهد الطريق لقيام أول وحدة سياسية عرفها التاريخ وتميزت بقيام المدن ، وتقوية الصلات بالأقطار المجاورة ، وظهور الوحدات الإقليمية .

ونستطيع أن نقسم فترة ما قبل الأسرات إلى أربع مراحل على الأساسى الحضارى المميز لكل قسم : (أولية ، مبكرة ، متوسطة ، ما قبل الأسرات) . وبالنسبة للفترة الأولى فى الجنوب حضارة البدارى (أسيوط) فى قرى المستجدة والهمامية وقاو الكبير ، والبدارى وهو أهم موقع لها .

انتفع البداريون بخبرات أسلافهم من العصر النيوليتى فى المسكن والملبس فلا زالوا يعيشون فى أكواخ مصنوعة من الطمي ولكن بدأوا يستمتعون ببعض وسائل الراحة وسائد من الصوف ، سراير من الخشب . المعدن أصبح معروفا وبدأوا فى استخراجها ببداية متواضعة ، ولكن معظم الأدوات لازالت مصنوعة من الطران ، الفخار كما هو فى آخر المرحلة النحاسية لون باللون الأحمر والقمة سوداء .

الفنان البدارى عرف كيف ينحت العاج أو قوالب الطين والصلصال لتمثيل النساء فى شكل طبيعى ، كما قلد البداريون هيئة الحيوان على العاج .

ايضا لجأ البداريون إلى الاهتمام بالزينة فصنعوا عقود من الاحجار المتنوعة ومن الفيانس ، كما نحتوا لوحات على حجر الشست .

وعندما نتحدث عن الحضارة البدارية فنحن لا نتعامل مع حضارة مستقلة ، وانما مرحلة فى أصل تطور الحضارة المصرية ^(١) ، وهى مرتبطة بسلسلة

متصلة، الحضارة البدارية غطت جزء من وسط مصر العليا وامتدت حتى الجنوب ليست في مصر العليا وإنما في النوبة أيضا (٢).

وبينما غطت حضارة البدارى مصر العليا ، فإنه في نفس الوقت تقريبا في مصر السفلى استمر التطور خلال خطوط مستقلة في فترة ما قبل الأسرات الأولية، وجدت في بحيرة الفيوم (فيوم ب) - للتمييز بينها وبين الحضارات المبكرة بالقرب من نفس الموقع - إنسان الفيوم ب مثل إنسان البدارى استمر يستعمل الطران أكثر من المعدن لأدواته ، الفخار يوضح اختلافات عظيمة في الشكل والتكنيك، من ناحية أخرى قاطعى الحجر استمروا في تقاليدهم التي بدأت في «مرمدة بنى سلامة» .

وبالنسبة للمرحلة الثانية المبكرة لعصور ما قبل الأسرات لسوء الحظ ليست لدينا معلومات وافية ، هناك عدة مواقع في مصر العليا والوسطى ولكن لا يوجد إطلاقا في مصر السفلى ، وحاليا كل معلوماتنا من هذه الفترة ترجع لحضارة العمرة (جنوب شرقى أبيدوس محافظة سوهاج) ، وهي تتفق مع عصر (نقادة ١) وتسمى كذلك بالحضارة القديمة لعصر ما قبل الأسرات، حسب وجهة نظر الأثرى البريطانى «فلنדרزيتري» الذى وجد من دراسته للآثار المختلفة وبخاصة الأنية الفخارية وتطورها أنه يستطيع ترتيب هذه الأنية ترتيبا زمنيا وتقسيمها إلى مراحل متتابعة من القديم إلى الحديث، بحيث تتضمن كل العصور الحضارية المتتابعة من القديم إلى الحديث، بحيث تتضمن كل العصور الحضارية المتتابعة في مصر من أقدم المراحل حتى العصر التاريخى ، وانتهى إلى تقسيم مراحل التطور إلى خمسين مرحلة، أطلق علي تقسيمه اسم التاريخ المتتابع أو التوقيت المتتابع (Sequence Dates) ، بدأ مرحلة بالرقم ٣٠ وترك ما قبل ذلك الرقم لما يمكن أن يستجد الكشف عنه من حضارات ،

(١) بشأن موطن البداريون راجع عبد العزيز صالح ، المرجع السابق، ص ١٢٥ .

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 242 .

(٢)

وبالفعل حينما انتهى «برنتون» من الكشف عن آثار البدارى ملأ بتفاصيلها المراحل من ٢١ إلى ٢٩ فأصبح التاريخ المتتابع كالتالى :

من رقم ٢١ إلى ٢٩ حضارة البدارى .

من رقم ٣٠ إلى ٣٩ حضارة العمرة (نقادة ١ تبعا لبترى) .

من رقم ٤٠ إلى ٦٢ حضارة جرزة وتسمى كذلك بالحضارة الوسطى لعصر ما قبل الأسرات (أو نقادة الثانية) .

من رقم ٦٣ إلى ٧٦ حضارة سمانيّة (جرزة الأخيرة) ، عصر ما قبل الأسرات الأخيرة .

٧٧ من رقم ٧٧ بداية العصر التاريخى .

وبالنسبة لحضارة «العمرة» أو حضارة نقادة الأولى (تبعا لبترى)، سارت فى تطورها فى خط مباشر مع سابقيها وخاصة حضارة البدارى ليس هناك انقطاع، فى الفخار نفس الفخار الأحمر ذو القمة السوداء استخدام فى الحضارتين ولكن حضارة «العمرة» قدمت تجديد خاص بها من خلال لونين زخرف الفخار ، وكان أول ظهور لبعض الأواني مغطاة بأشكال هندسية أو طبيعية ، وظهرت ألوانها باللون الأبيض الباهت ،، أو الأحمر المصقول ، أو الأحمر الذى يميل إلى لون الأرض ، والأسود المزخرف بالأبيض .

الفنان المصرى شكل فى هذه الفترة فخار جديد فى أشكال عدة على شكل أوعية متعددة الأحجام ، بعضها على هيئة الحيوان، البعض عميق مثل الأكواب والكؤوس، والبعض فى شكل هزلى كزوج من الأرجل الإنسانية ، كما خلف أهل نقاده مجموعة من المناظر الطبيعية، ومناظر الصيد وعلى الخصوص صيد فرس النهر من النيل .

كما استمر إنسان نقادة الأولى فى استخدام حجر الصوان بجانب المعدن، ظهرت بقايا سكاكين حجرية جيدة الصنع ^(١).

Ibid , P. 243.

(١)

وكان النقاديون على نصيب من النظافة والرقى، اكتفى رجالهم بارتداء قراب العورة، وحلق بعضهم شعورهم بشفرات من الطران وارتدوا فوقها شعوراً مستعارة، وغطت نساؤهم خصورهن حتى ما بعد العورة بأثواب كتانية ذات أهداب، ومشطن شعورهن الطويلة بأمشاط عاجية مزخرفة ذات أسنان طويلة، وتحلين هن ورجالهن بأساور وخواتم من الأصداق والعاج^(١)، واستخدم الزجاج البركاني في أغراض الزينة مما ينم عن وجود علاقات تجارية مع الأراضي البعيدة عن مصر^(٢).

كما توجد عدة مواقع أثرية تظهر فيها آثار تنتمي إلى حضارة العمرة : نقادة ، البلاص ، وهو (حو = ديوسبوليس بارفا)، أبيدوس ، والمحاسنة والهاماميه (بمحافظة سوهاج)^(٣).

حضارة جرزة :

عند التوقيت المتتابع رقم ٤٠ ، في الفترة الوسطي لعصر ما قبل الأسرات أو ما يسمى نقادة الثانية ، وبعد قرن وربما أقل من حضارة « العمرة » وفي موقع جرزة (شمال ميدوم مركز العياط ، محافظة الجيزة) ، بقايا حضارة « جرزة » تعطينا فرصة كبيرة لمتابعة طقوس الدفن التي تطورت ، المقابر استمرت بشكل بيضاوي أصبحت الآن أكثر قربا من شكل المستطيل (تبعاً للتطور المعماري المنزلي) ، وأصبحت تحتوي علي عدة غرف ، وضع الموتى تغير أيضاً نتيجة لمعتقدات دينية جديدة الرأس تنجه ناحية الشمال ، والوجه يتجه ناحية الشرق وليس إلي الغرب .

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 245 .

(٢)

Ibid., P. 245 .

(٣)

فخار الجرزة يمتاز بلونه البرتقالي ، عليه رسوم طبيعية وليست هندسية ، كذلك ظهرت الأواني ذات الأيدي المموجة ، والأواني الحجرية المرسومة باللوان أكثر بريقاً كالأحمر الغامق الأكسيدي ، والمناظر راقية تمثل الجبال ، الوعول ، البشروس (طائر مائي) ، نبات اللوة (تستخرج منه عصارة كمسهل) ، قوارب ، حيوانات ، نباتات متعددة ، (البعض رأي في وجود القوارب إشارة لكثرة إستخدامها كوسيلة للمواصلات ، ومناظر الحيوانات والنباتات ما يمكن أن يكون رموز للمقاطعات المصرية فيما بعد) .

أيضاً دل علي رقي حضارة الجرزة استخدام المعادن والأحجار الكريمة بصورة أكثر من قبل (النحاس ، الفيروز ، العاج ، الذهب) ، كما عثرنا علي بقايا نحاسية موجودة في مقابرهم تحتوي علي خناجر ، أزاميل ، رؤوس سهام ، كذلك يبدو واضحاً أن حضارة « جرزة » كانت علي اتصال بجيرانها ، حيث عثرنا علي أوعية بنقش الطراز الموجود في فلسطين ، أيضاً اللازورد المستخدم دليل علي وروده من خارج مصر^(١) .

وهناك فارق بين عصرى « جرزة » و « العمرة » نلاحظه في رؤوس الدبابيس فهي في الأول علي شكل القرص بأطراف حادة جداً ، بينما هي في الثانية علي شكل « الكمثري » وقد يكون لهذا دلالة بالكتابة الهيروغليفية (فيما بعد) ، وهناك تطور آخر له أهمية كبرى وهو زيادة استخدام النحاس الذي يستخدم الآن في الأدوات والأسلحة كما يستخدم في أدوات الزينة^(٢) .

Ibid., P.P. 246 - 247.

(١)

وكذا :

Quibell, J. E., and Green, F.W., Hiera Kon Polis, 11, London, 1902, Pls. 75 - 77.

Gardiner, A. , Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 391

(٢)

حضارة السمانية :

نسبة إلى قرية السمانية بمحافظة قنا ، وتمثل الأرقام من ٦٣ إلى ٧٦ في التوقيات المتتابع للحضارات في مصر (جدول بترى) وبينما تتطور حضارة « جرزة » في الشمال وتمتد تأثيراتها إلى الجنوب ، نرى حضارة « العمرة » تختفى ببطء ليحل مكانها خليط من الحضارات الشمالية والجنوبية ، كذلك تميزت هذه المرحلة بقلعة الأهالي في النيل الأعلى للفخار ذو اللونين ، ذو الشفة السوداء والفخار الأحمر المصقول إلى أن اختفيا ، أما الفخار ذو الرسوم الحمراء فقد اختفت منه الأشكال التي كانت سائدة في عهد جرزة وحلت محلها أشكال جديدة عليها رسوم مختلفة ، وتبنوا زخارف خاصة بجيرانهم في الشمال ، أما الأواني المتموجة الأيدي فقد استخدم المرمر (اللباستر) في صنعها ، أما الصلايات فتعددت أشكالها البيضاء والمستطيل وبعضها كانت تزينه نقوش مختلفة ^(١) ، كذلك حدث تطور بطيء في الأسلحة على سبيل المثال دبوس القتال الذي كان شائعا في العمرة ذو الرأس المخروطي المضغوط الجوانب ، حل محله الدبوس ذو الرأس الكمثرى ^(٢) .

وكما يرى فوركيت ، استناداً للمصادر الأثرية ، ففي نهاية حضارة « العمرة » انقسمت مصر إلى قسمين ، أحدهما تحت زعامة مدينة « نوبت » (طوخ الحالية بمحافظة قنا) أمبوس وبالاله « ست » ، والأخرى في الشمال تحت زعامة الإله « حور » الإله الصقر في « بحدت » ، الحرب بين ست وحور انتهت بانتصار الشمال ، كنتيجة لذلك اتحدت مصر كلها لأول مرة الشمال والجنوب متخذة من مدينة « أونو » (عين شمس أو المطرية الحالية) عاصمة لهذا الاتحاد الذي لم يعمر طويلا ، واستعاد الجنوب استقلاله واستوعب حضارة أعدائه في الشمال ،

(١) محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٧٨ .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 247 .

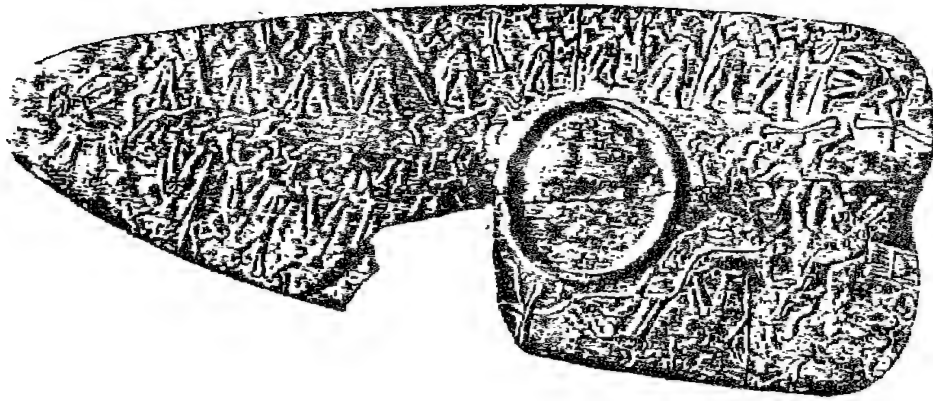
وكذا

Ibid ., P. 247 .

(٢)



سكين من الصوان ذو مقبض من العاج محلى بنقوش



صلاية من حجر الاردواز عليها زخارف منقوشة لمنتظر الصيد

ثم استمر هذا الصراع الفترة الباقية لعصر ما قبل الأسرات، ثم استتبع ذلك تغيير فى قيادات المملكتين، العاصمة الشمالية أصبحت فى «بوتو» فى غرب الدلتا (ابطو أوتل الفراعين). ورمزها على هيئة النحلة، ونبات البردى شعارها، ومعبودتها الحية «وادجيت» (واجه)، والمملكة الجنوبية وعاصمتها «الكاب»^(١)، وعبد أهلها الالهة «نخبة» أو نخابة، ورمزوا إليها بأنثى العقاب، ومن هذه الرموز الدينية استمد الملوك القراعنة - فيما بعد الوراثة الشرعية^(٢).

عصر ما قبل الأسرات الأخيرة :

هذه المرحلة تمثل خاتمة المطاف فى سجل حياة إنسان عصور ما قبل التاريخ فى مصر، من الصعب أن نضع تحديد لبداية هذه الفترة ونهايتها مع بداية العصر التاريخى والتى تقدر بحوالى من ٥٠ إلى ٢٠٠ عام، والموقع الوحيد فى الوجه البحرى لحضارة المعادى ذو صلة بالمواقع الأخرى فى مرمدة بنى سلامة، وفى المعادى نفسها، ويختلف عن حضارات عصر ما قبل الأسرات الأخير والذى استمر فى الجنوب .

من الصعب التحديد بدقة الوقت الذى اندمجت فيه حضارة العمرة وحضارة جرزة، وليس من السهل تحديد نهاية الصراع بين الشمال والجنوب بدقة، لكنه من خلال المصادر الأثرية بدأت بوادر الوحدة السياسية تأخذ طريقها نحو التحقيق فى تلك الفترة، وقد انتقلت فيه السيادة الحضارية والسياسية مرة أخرى نحو الجنوب، وفى معبد مدينة نخن عثر على رأس مقمعة

Ibid ., p. 248 .

(١)

استقرت مملكة الصعيد فى نخن وقامت على أطلالها قرية الكوم الأحمر الحالية شمالى أدفو، وجاورت العاصمة نخن ضاحية دينية سميت نخاب قامت على أطلالها بلدة الكاب الحالية، انظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢١٠ - ٢١١ .

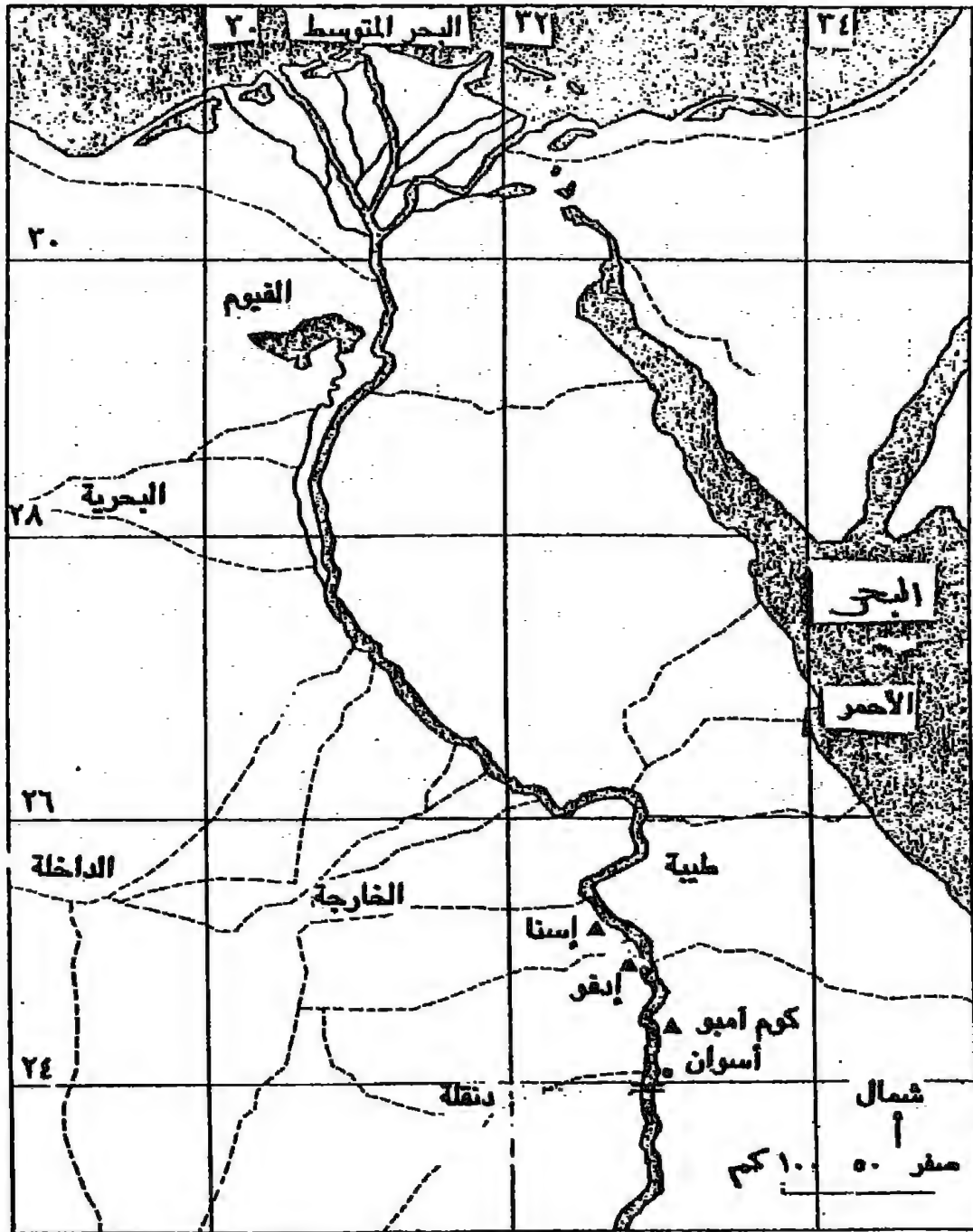
(٢) اختلفت وجهات النظر بشأن عدد مراحل النضال التى أفضت إلى توحيد مصر فى مملكة مستقرة واحدة .

للملك الملقب بالعقرب صورته النقوش مرتديا تاج الصعید يؤدي بعض الأعمال المرتبطة بالزراعة والرى ، ورمزت إلى جهوده الحربية فى أعلى المقمعة مجموعة من حوامل رموز الآلهة ، اشارة إلى تأييدهم له فى حروبه أو دليلاً على تحالف انصارهم أو أقاليمهم تحت رايته وتندلى منها حبال غليظة علفت فى بعضها طيور الرخيت وعلقت فى البعض الآخر مجموعة من أقواس الحرب ، ويمكن أن نستنتج أن الأقواس وطيور الرخيت المعلقة تمثل الإشارة أو الرمز لأعداء الملك العقرب المهزومين . وخاصة أن بعض الباحثين يرى أن طيور الرخيت (الزقزاق) ترمز إلى سكان الدلتا^(١) .

على أن أهم ما يميز فترة أواخر عهد ما قبل الأسرات فى مصر هى مجموعة النقوش المحفورة على بعض مقابض السكاكين ، وعلى ما يعرف بالصلايات والصور المصورة على جدران إحدى المقابر التى كشف عنها فى الكوم الأحمر شمال أدفو بقليل) وهى إشارة للصراع والتضال الذى كان موجوداً فى تلك الفترة ، والذى انتهى بتحقيق الخطوة السياسية النهائية للوحدة على يد أول ملوك الأسرة الأولى الملك نعرمر .

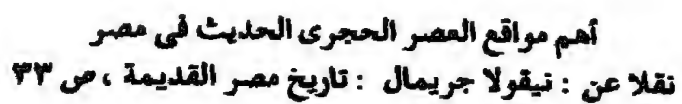
Quibell, J.E., Hierakonpolis, 1, London , 1900, Pl. xxxvic .

(١)



مدينة حديثة
 موقع أثرى
 دروب
 جندل

أهم مواقع العصر الحجري القديم في مصر
 نقلا عن : نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٢٩



الفصل الثالث
عصر بداية الأسرات
Proto Dynastic
(الأسرتان الأولى والثانية)

الفصل الثالث

عصر بداية الأسرات

أصطلح المؤرخون على تسمية عصر الأسرتين الأولى والثانية بأسماء عدة منها العصر العتيق للتدليل على قدمه وسبقه للفترة التالية التي يطلق عليها عصر الأهرامات أو عصر الدولة القديمة ، كذلك يطلق عليه العصر الشيني أو العصر الطيني نسبة إلى مدينة طينة (ثنى) التي تقع بالقرب من مدينة جرجا الحالية والتي ينسب اليها مؤسس هذا العصر ، أيضاً يطلق عليه « عصر التأسيس » حيث وقع على عاتق ملوك الأسرتين الأولى والثانية وضع الاسس التي سارت عليها الدولة المصرية بشكل خاص والحضارة المصرية بشكل عام لفترة استمرت حوالي ثلاثة آلاف عام طوال العصور التاريخية كما يطلق عليه عصر بداية الأسرات (Proto dynostic) على أساس تقسيم تاريخ مصر إلى أسرات يربط بينها صلة الدم والقرباة ، وبداية العصر التاريخي بالأسرتين الأولى والثانية .

وتحديد بداية هذا العصر محل خلاف أيضاً فهناك من يرى بداية الأسرات لعام ٤٠٠٠ ق.م (بترى بورخاردت) ، وهناك من يجعل البداية حوالي ٢٨٥٠ ق.م (كما يرى شارف ، ومورتجات ، وهناك عدد كبير من العلماء يجعل بداية هذه الفترة تبدأ حوالي ٣٢٠٠ ق.م .

مؤسس العصر :

من خلال المعلومات المتوفرة حول هوية مؤسس الأسرة الأولى ، فلا زالت تنقصنا المعلومات المؤكدة حول قيام « منى » بتحقيق الوحدة بين الشمال والجنوب وتأسيس الأسرة الأولى ، كما أثبتته قائمة أبيدوس وقائمة تورين والمؤرخ المصري « مانيتون » ، وبالنسبة للشواهد الأثرية فهناك « نعرمر » صاحب الصلاة المصنوعة من الإردواز والتي عثر عليها في « هيراكونبوليس » وتعتبر من أهم الآثار التي يرجع تاريخها إلى عصر بداية الأسرات والصلاة تؤكد أن نعرمر

هو أول من ارتدى التاجين دليلاً على نجاحه في توحيد المملكتين ، مملكة الجنوب (الوجه القبلى) ومملكة الشمال (الوجه البحرى) حيث مثل يرتدى التاج الأبيض تاج الصعيد وهو يؤدب أعدائه ، بينما مثل على الوجه الآخر من الصلاة وهو يرتدى تاج الوجه البحرى الأحمر (شكل ٨) فى قوام مشوق تعمد الفنان إبراز عضلات اليد والأرجل ، ويوجد اسم الملك (نعرمر) بين رأسان للمعبودة « حتحور » مثلاًها بوجه سيدة وقرنى بقرة مما يؤكد اهتمام الملك بالجانب الدينى ، حيث صورت « حتحور » (١) .

أيضاً على رداء الملك القصير ، الذى يمسك بشعر أحد خصومه بيده اليسرى ويهم بضربه بمقمعته بيده اليمنى ، وأمام « نعرمر » صقر ملكى (الإله حور) أخذاً فى كفه البشرية حبل يمر خلال شفة أسير خلفها أرض عليها سيفان البردى تشير إلى عدد من سكان الدلتا (٦٠٠٠) وعبارة ربما تقرأ (حاكم بحيرة) ربما الفيوم إشارة إلى سيطرة الملك على هذه الأنحاء فى الشمال (٢) .

(١) كانت الصفة الآلهية للملك المصرى القديم واضحة فى كافة النصوص ، ففي الأساطير نجد أن آلهة ناسوح أون حكموا الواحد تلو الآخر على الأرض ، وكانت بعض القوائم الملكية مثل بردية « تورين » تبدأ بهم ، وتبعاً للنصوص فإنه يبدو أن مدينة « أمبوس » (توب) بالقرب من نقادة كانت ذات نفوذ قوى فى الصعيد وإله هذه المنطقة هو الإله « ست » وقد نشأ نزاع بين الجنوب والشمال - حيث كان الإله « حور » معبوداً مقدساً فى بحديت الدلتا - صراعاً كانت نتيجته لصالح الشمال الذى كون أول حكومة له فى « أون » ولكن يبدو أن هذا الانتصار لم يستمر طويلاً ، واستمر الصراع لهدف التوحيد ، « مملكة الشمال ، و « مملكة الجنوب » ولكل منهما عاصمتان إحداهما تمثل المركز الدينى فى المملكة والآخرى تمثل المركز السياسى ، ففي الصعيد « نخن » و « نخب » (الكوم الأحمر الحالية شمال أدفو) ، أما عاصمتا مملكة الشمال فهما « دب » و « بى » فى الجزء الغربى من الدلتا (إيطو عند تل الفراعين) ، ومن الآثار التى عثر عليها فى نخن (هيراقنوبوليس) نقوش رأس مقمعة لملك أطلق عليه « العقرب » حقق بعض الانتصارات على الدلتا (شكل ٩) ، أنظر :

Smith , W . S . , A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom , London , 1946 , PL. 30

Seele, K. , When Egypt ruled The East, Chicaga, 1971, P. 13 .

Quibell J ., E , Hierakanplis, I, P. 10

(٢)

وعلى هذا الأساس وإستناداً لما هو موجود فى القوائم الملكية والشواهد الأثرية من خلال صلاية نعرمر ، فيمكن القول أن الملك المؤسس له عدة أسماء و « منى » و « نعرمر » من بين هذه الأسماء . (وهذا الرأى قبله كيل من جردسلاف ١٩٤٤ ، وآلان جاردنر ١٩٦١)

وهناك من يرى أن « نعرمر » كان السلف المباشر « لمنى » (تبعاً لرأى ولتر إيمرى) ، وهناك من يرى : أن « نعرمر » هو « منى » ، وأخذ اسم « عحا » (المحارب) بعد انتصاره على الوجه البحرى (وهو ما نادى به چاك فاندبييه ١٩٦٢) وكما يرى « فوركتيه Ver couther » أن أنسب الاحتمالات هو توحيد « نعرمر » و « منى » ^(١) ، ومن الفروض التى يمكن وضعها اعتبار الأسماء الثلاثة (نعرمر ، عحا ، منى) لملك واحد تسمى فى اسمه الشخصى باسم نعرمر ، ثم تلقب بلقب « عحا » المحارب اعتزازاً بنجاح جهوده الحربية ، وتلقب بلقب « منى » بمعنى الميثت أو ما يشبهه إشارة إلى تشبيته أركان دولته ، وتأكيد الاتحاد ، وتأسيس « من نفر » (منف) مدينة الجدار الأبيض ، ولا يضعف هذا الرأى إلا أن الأسماء الثلاثة لم توجد على أثر واحد إطلاقاً حتى الآن . ^(٢)

وعلى أى حال فيمكن القول أنه قد جرت محاولات عدة لتحقيق الوحدة بين الشمال والجنوب ، وكما تشير الشواهد الأثرية أن الملك العقرب قد بذل جهداً لفرض سيطرته وحكمه على كل من الوجهين القبلى والبحرى ، ولكن يبدو أن جهوده فى هذا المجال قد اكتملت وتحققت على يد خلفه الملك « نعرمر » الذى قام أيضاً بإرساء الأسس السياسية للمملكة ، وهى الأسس التى ظلت مستمرة وثابتة فى المراحل التالية من التاريخ المصرى القديم .

Vercouiter, J., OP. cit., PP. 261-262

(١)

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ط ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، صفحة ٢٥٣

Seele, K., OP. cit., P. 12

وكذا :



شكل ٨ أ: وجه صلاية الملك «نعممر»



شكل ٨ ب : ظهر صلاية الملك «نعمرة»

وهناك احتمالية أن يكون «نعرمر» هو «منى» ، وكذلك فيمكن أن يكون نعرمر ومنى وعما أسماء ثلاثة لشخص واحد ، ويبدو أن علينا أن ننتظر حتى يتم اكتشاف المزيد من الشواهد التي قد تحسم الخلاف في هذه المسألة^(١) .

ويعتبر انجاز «منى» (نعرمر) رغم جهود من سبقه من رؤساء عصور ما قبل التاريخ انجازاً فريداً، حقيقة أنه بصفته ملكاً لمصر الموحدة اعتبر نفسه هو «الإله حور» في نفس الوقت الذي كان فيه حور معبوداً محلياً في كثير من مناطق مصر السفلى والعلية^(٢) ، وتجسد هذا الإله في شخص «منى» على أساس انتمائه إلى «نخن» (هيراقنوبوليس) التي تعبد الإله «حور» في الوقت الذي كان كل خير وانتصار لاي قبيلة ما يؤكد قدرة معبودها ، وهكذا جاء نجاح «منى» نجاحاً لمعبوده «حور» وخاصة أن لطبيعة العقلية المصرية القديمة في التفكير أثرها في تقبل فكرة الملكية الآلهية حيث كان المصري القديم لا يحس بضرورة تحديد الأشياء تحديداً قاطعاً، وكان يرى في الظواهر الطبيعية في بيئته برغم اختلافها مادة واحدة في عالم منظم ، لذلك كان من السهل على طبيعته المرنة هذه في التفكير أن تنتقل براحة تامة من الجانب البشري إلى الجانب الالهي وأن يقبل الفكرة التي تطورت بالتدريج أن مليكه من سلالة الآلهة بل أنه إليه يحكم مجتمعه^(٣) .

وهكذا فإن انجاز «منى» من أجل الوحدة والاستقرار والبعد عن الفوضى وهي أمور ضرورية فإنه قد حقق شيئاً آخر فريداً لم يسبقه إليه أحد وهو اعتبار

Seele, K., OP. cit., P. 12

وكذا :

(١) سيريل ألدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة مختار السويقي ، مراجعة أحمد قدرى، القاهرة،

١٩٨٩، ص ٨٦ .

Drioton , E. , Vandier , J., L'Egypte, Paris , 1939, p. 138 .

(٢)

نفسه ملكا على مصر العليا والسفلى بمعنى أنه أعطى لحكمه شكل يتفق مع العقلية المصرية وهذا الشكل كان هو الملكية المزدوجة ملكية مصر العليا وملكية مصر السفلى متحدتين فى شخصه وهذا التصور كان يعبر بطريقة سياسية عن الميل المصرى الغريزى لفهم العالم بتعبيرات مزدوجة تابعة من الطبيعة المصرية مثل سماء وأرض ، الضفة الشرقية والضفة الغربية والضفة الغربية للنيل وهى كلها مسميات تنتمى للكون وليس للسياسة ، وعندما اتخذ « منى » أسماء مزدوجة وأطلق على نفسه سيد الأرضين وملك مصر العليا ومصر السفلى وانتصار مملكة مصر العليا المنظمة على مملكة مصر السفلى التى تماثلها فى التطور وهكذا نرى توافق كامل بين التصورات الكونية المحددة والتصورات السياسية الجديدة التى قام بإنجازها « منى » وأعطت لما فعل سلطة دائمة لدولة متصورة ازدواجيا يبدو أنها بدت للمصريين كظهور لنظام الخليقة وليست نتاجا لقوة مؤقتة ، وهى أيضا هبة من الالهة لـ « منى » والشكل الوحيد المقبول لفكر الإنسان المصرى القديم هو شكل الملكية الالهية^(١) .

ولقد عبر الفن المصرى القديم عن ذلك الانجاز فى اللوحة المعروفة بلوحة « نعرمر » (لوحة رقم ١٨ ، ٨ ب) ، فبينما تشير نماذج ما قبل الاسرات (مقبض سكين جبل العركى لوحات الصيد) عن صراع بين أشكال متساوية فإن لوحة « نعرمر » قد أوضحت عن طريق التعبير الفنى كيف أن الملك وأفعاله هى الأجدى وهى الهامة وتتضائل بجانبها أفعال الناس وتصرفاتهم^(٢) ، وهناك دلالة فنية أخرى فى اللوحة عبر عنها الفنان المصرى القديم بأن المجتمع بعد كفاح طويل نجح فى ظل حكومة واحدة فى النهوض بالبلاد وبداية روح جديدة فى كافة المجالات .

Frankfort , H., Op. Cit., PP. 19 - 20 .

(١)

(٢) محمد أنور شكرى : الفن المصرى القديم، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٢ .

Frankfort , H., Op. Cit., P. 7 .

وكذا :

والجانب الواضح للملكية المصرية القديمة هو ارتباطها المباشر بالسلوك والمثل العليا حيث ارتبطت الملكية الالهية بتعبير الـ «ماعت» بمعانيها المتعددة والتي استعملت عند الانسان المصرى القديم لأول مرة بمعنى الصواب^(١) . وكانت تمثل منذ العصور الاولى (الاسرة الثانية) كالهة سيدة تحمل شارة على شكل ريشة .

وكان من الضروري بوصفها صفة من صفات النظام والاستقرار أن يعاد تأكيدها عندما يتولى الحكم ملك جديد حيث يصور على جدران المعابد وهو يقدم «ماعت» كل يوم للآلهة الآخرين كدليل ملموس على قيامه بوظيفته الالهية نيابة عنهم^(٢) ، وتوفر معنى النظام الدائم وانتهاء الازمة التى يمثلها موت وتعيين آخر جديد على العرش مكانه تسعد به الأرض لاحتفاظه بـ «ماعت» التى كانت بجانب كونها صفة منتظمة صالحة لكل وقت فإنها أيضا تعنى العدل للجميع .

ولاشك أن فكرة الـ «ماعت» وما تعنيه من حق وصواب ودلالة على أفعال الإنسان الخلقية الشخصية سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع، فلقد كان لها أثرها فى استقرار وتثبيت حكم ملوك أوائل الاسرات الذى كان حكمهم يعنى امتدادا لحكم الالهة التى حكمت بالحق والعدل وأصبحت بمثابة المنظم للظواهر الموجودة على سطح الأرض وهو ما توضحه نصوص الأهرام :

« ان رع أتى من الهضبة الأولى (مكان الخليقة) »

بعد أن وضع النظام «ماعت» مكان (الفوضى) »^(٣) .

(١) , Breasted , J. , H., The Dawn of Conscience , New York , 1947 , P. 100.

Wilson, J., Cit., P. 48 . (٢)

Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion , PP. 54 - 55 . (٣)

والملك الاله شأنه شأن الالهة فى ارتباطه بـ « ماعت » من حيث تمسكه
بالحق والعدل والنظام كبرهان واضح على أنه ينوب عنهم فى تحقيق هذه
المعاني الطيبة للحكم الصالح .

وهكذا فقد مر تصور الإنسان المصرى القديم لمثله العليا بعدة مراحل،
المرحلة الأولى عندما تصور أن الملك الاله هو بمثابة المثل الأعلى له فى كافة
شئونه الدينية والاخرية فقد آمن ايماناً تاماً بنظام الملكية الالهية ولذلك اقبل
على هذا النظام اقبالا يتسم بالولاء الكامل والتضحية التامة من أجل تحقيق كافة
ما يتصل من قريب أو بعيد بهذا النظام المقدس بالنسبة له، فقد تصور أن خير
الدينوى وخيره فى العالم الآخر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا النظام على أساس أن
الملك سوف يحقق له ولمجتمعه الانسانى كافة متطلبات الخير الرفاهية
والسعادة والسلام باعتبار أنه يحكم بصفته الالهية وعن طريق اتصاله بالقوى
الالهية الصاعدة لكافة متطلبات الاستقرار والأمان والانتاج الاقتصادى ، (فعلى
سبيل المثال الاله الشمسى يوفر الضياء والحرارة اللازمة للحياة الانسانية
والنباتية وآله السماء توفر المياه العذبة وآله الأرض يعد التربة الصالحة للنبات
الجيد .. وهكذا)، والملك الاله بصفته الالهية قادر على التعامل مع غيره من
آله الطبيعة بما يحقق الخير لمجتمعه، ولذلك فلقد آمن المصرى القديم بهذا
النظام وتقانى فى سبيل ارضائه، ولذا فلقد اعتبر الإنسان المصرى الملك حتى
نهاية الأسرة الرابعة تقريباً النمط النموذجى الذى يقتدى به ويطيعه طاعة كاملة
من أجل تحقيق الخير له ولمجتمعه .

وقد استلزمت فكرة الوهية الملك أن يظهر اسمه مقترناً ببعض الألقاب
التي توضح حمله للصفة الإلهية وحقه الالهى فى حكم مصر العليا والسفلى
وتذكيره لشعبه دائماً بأنه وريث الالهة والصورة الحية للاله « حور » على الأرض
، وبلغ عدد هذه الألقاب عند نهاية الدولة القديمة خمسة القاب رئيسية :

أولها أنه الاله «حور» :

وهو اسم يؤكد صلة الفرعون^(١) ، بالمعبود «حور» ويجعله وريثا له يحكم باسمه ويتجسد فيه شخصيا وأصبح حورس قبل كل شئ المثل الأعلى للملك وإذا أرادوا أن يفرقوا بين الملك وبين المعبود، لقب الأول بحور الذى يسكن القصر^(٢) وهو الذى صور فى لوحة نعرمر وذهبت بعض الآراء إلى اعتباره «سرخ» واجهة القصر الملكى ، وذهب آخرون إلى أنه يمثل باب المقبرة الرومى^(٣) .

اللقب الثانى : اللقب النبى :

حيث أعلن الملك أنه اليتيم لأنه اتحدت فيه شخصيا كل من الإلهة الحامية للوجه القبلى «نخبت» (الكاب) وكانوا يرمزون إليها بأنثى العقاب، و «واجيت» (بوتو) حامية الوجه البحرى التى كانوا يرمزون إليها «بحية» وهذا اللقب يؤكد صلة الملك بالالهة الحامية له ، ويضعه على قدم المساواة معها بالإضافة إلى تمثيله كل من الجنوب والشمال تحت حمايته ، كذلك يشير هذا اللقب إلى الجذور القديمة التى تعود إلى عصور ما قبل التاريخ واستمسك بها ملوك الأسرة الأولى .

(١) لفظ «فرعون» لم يكن فى البداية أكثر من لقب اصطلاحى كتب فى صورته المصرية القديمة «برعو» بمعنى البيت العظيم والكلمة الأصلية استخدمت فى الدولة القديمة كجزء من جمل عدة مثل رفيق الملك أو ساكنى البيت العظيم ثم أطلقت على القصر نفسه والبلاط وليس على شخص الملك وابتداء من الأسرة الثانية عشرة استخدمت للتعبير عن القصر نفسه، ثم تطورت فى الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) لتطلق على القصر وساكنه (الملك) ، انظر :

Gardiner , A.H., Egyptian Grammar, Oxford, 1927 , p. 75 .

(٢) ١. أرماني : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، مراجعة محمد أنور شكرى،

لقاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

Quibell, J., E., Op. Cit., P. 10.

(٣)

واللقب الثالث : النسوييتى (نيسوت بيتى)

وهو يعبر أيضا عن ازدواجية الحكم وتوحيدها باعتبارها الملك المنتسب إلى نبات سوت (البوص) شعار مملكة الصعيد ، والنحلة شعار مملكة الوجه البحرى ، وهو يؤكد صلة الملك بالشعارين المقدسين قديما لكل من مملكة الصعيد ومملكة الوجه البحرى ، وهو من الألقاب التى ظهرت فى عهد الملك ودى مو الأسرة الأولى .

اللقب الرابع هو « لقب حور الذهبى »

كتعبير عن القوة والمجد والرفاهية التى يسبغها الملك على رعاياه وكما يرى « ولسون Wilson » فإن الأدلة لازالت غامضة عن سبب استخدام هذا اللقب ، الذى عرف منذ منتصف الأسرة الرابعة .

اللقب الخامس هو لقب « سارع » (ابن رع)

آخر الألقاب الخمسة إضافة ملوك الأسرة الرابعة على القابهم وهو من اسماء الملك قبل تولية العرش ويكتب داخل خرطوش ، وهو يرمز لشخصية الملوك المؤهلة باعتبار أنهم أبناء الاله رع « سارع » ، ومن ثمبقى هذا اللقب ضمن الألقاب الملكية وتمسك به ملوك الأسرة الخامسة بصفتهم ورثة « رع » على الأرض .

ومن الأهمية الإشارة إلى أن القاب الملوك كانت تحتوى أحيانا على بعض الصفات المعبرة عن تمسك صاحبها بالقيم الفاضلة وكمثال تلقب الملك « سنفرو » الأسرة الرابعة بلقب « نب ماعت » بمعنى رب العدالة وهو ذو مغزى خلقى يدل على تمسكه بالعدل والحق لمجتمعه^(١) . والقاب عديدة مثل الإله

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ .

الطيب، رب العدالة ، حور المنتصر على ست ، الثور القوى وغيرها من
الالقباب .

وارتبط ملوك مصر القديمة بثلاث صفات هامة تتصل بالملكية من
الالهية اتصالا وثيقا^(١) ، وهذه الصفات يجب أن يتحلى بها كل من يحكم
مصر وهى :

السلطة (٢) .

الادراك (٣) .

بالاضافة إلى صفة خلقية هامة وهى : العدل^(٤) .

وهناك مظهرا آخر حرص عليه الملوك وهو تأكيد ارتباطهم بالالهة وذلك
باقامتهم الأعياد الملكية وأهمها حفلات التسويج ذات الطابع الدينى حيث
يصور الملك مستمدا سلطاته من الالهة مباشرة .

ومن النقوش التى وجدت على جدران المعابد المختلفة نستدل منها أن
الملك كان يؤخذ بواسطة الالهين حور وست - عن طريق كاهنين يرتديان اقنعة
بشكل الالهة حور وست - ليفسلوه ويطهروه ويقدماه للالهة الأخرى^(٥) ،
وتتوالى الطقوس حيث يتقدم الملك لابساً فى المرة الأولى التاج الأبيض للوجه
القبلى ويجلس على عرش مصر العليا وفى المرة الثانية يضع التاج الأحمر كملك
لمصر السفلى ويمثل الملك خلال ذلك مرتديا عباءة كبيرة تصل حتى الركبة أو

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 103 .

(٢) Gardiner , A., Egyptian , Grammar, P. 550 .

(٣) Ibid., P. 555 .

(٤) Ibid ., P. 542 .

(٥) ١. أرماني ، هـ رانكة : مصر والحياة المصرية ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم
كمال ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

القدم ممسكا بيده عصا معقوفة وفي اليد الأخرى ما يسميه عادة بالسوط أو «المزبة» (١).

(وكما يرى جاردنر أن تمثيل الملك بهذه الكيفية ربما يعود إلى عصور قديمة يرجع إلى الإله أوزير الذي حكم مصر من قبل).

ثم يقوم الملك بالدوران حول الحائط وهي فكرة كانت مأخوذة من أول ملوك مصر وقد يرمز هذا الطواف التقليدي حول الحائط إعادة ذكرى حائط قديم كان ملوك الوجه القبلي قد أقاموه لصعد غارات الشماليين (٢) وربما يرمز لذكرى توحيد البلاد وبداية عهد جديد تنعم فيه مصر بالاستقرار (٣).

وكان هذا الاحتفال يقام عند تولي ملك جديد أو انقضاء ثلاثين عاما على حكم الملك وقد يكون هذا مرجعه إلى عصور سابقة للعصر التاريخي كانت الملكية فيه لا تمنح إلا لمدة ثلاثين عاما ينحى بعدها الملك أو يقتل ثم جاءت فكرة إقامة تلك الشعائر في محاولة لارضاء الآلهة حيث يجدد الملك تأكيد عودة الشباب والقوة إليه من جديد.

ومن الآثار التي عثر عليها في نخن (هيراقلوبوليس) حيث عثر على رأس دبوس يمثل الملك «نعرمر» يحتفل بانقضاء ثلاثين عاما على حكمه (٤).

ولا تزال الأدلة الأثرية والنصية تعوزنا في محاولة تعرف جذور وأسباب هذه الاحتفال وهل المقصود به تجديد عمر الملك أثناء حياته على الأرض أو في العالم الآخر حيث احتفل به كل من :

(عديج - ايب Adjie - ib) و(سمركخت Semerkhet)

(١) Vandier, J., Op. Cit., P. 181.

(٢) Ibid., P. 181.

(٣) نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج١ الطبعة الثالثة، الإسكندرية، ١٩٦٠، ص ١١١

(٤) Baikie, J., Op. Cit., P. 63.

من ملوك الأسرة الأولى الذين لم تتجاوز مدة حكمهما معا ستون عاما حيث حكم الأول نحو ٢٦ عاما والآخر حكم نحو ١٨ عاما^(١). ويتبع تنويع الملك موكب ملكي يؤكد فيه الملك ارتباطه بالالهة حيث يخرج من القصر في موكب متجها إلى حيث معبد الاله «مين»^(٢). ويقفهم من مناظر الاحتفال المنقوشة على الجدران أن الملك في احتفالات التنويع يبدأ حكمه في هذا البلد الزراعي بتقديم القرابين لاله النمو والخصب^(٣).

وكان من الأهمية بمكان أن يقوم الملك بواجبه خير قيام في المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية .

ففي المجال الديني إذا صح استنتاجنا بأنه كان من واجب كل رئيس أو حاكم مقاطعة قبل الوحدة القيام بالوظائف الدينية كل في معبد اله مدينته بصفته الرئيس الديني فقد انتقل هذا الواجب إلى الملكية بعد أن تم توحيد البلاد حيث اعتبر الملك كاهنا لجميع الالهة وصور الملك وهو يقدم القرابين للالهة في المعابد^(٤).

ومن «حجر الرمو» نستدل أن المعابد قد أقيمت أو أعيد بناؤها بمعرفة ملوك الأسرة الأولى والثانية^(٥). وقد استمر هذا التقليد طوال عصور التاريخ القديم^(٦).

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 265.

(٢) الاله مين : في «قبط» المقاطعة الخامسة من مقاطعات مصر العليا وهو اله للنمو والخصاب وكان يمثل على شكل رجل واقف وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان رافعا ذراعه الايمن ممسكا بسوط (مثلث الفروع) ويعتبر عيده واحدا من أقدم الاعياد المصرية القديمة .
Vandier, J., Op. Cit., PP. 183 - 184 .
أنظر:

وكذا : ١. أرمان ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومراجعة محمد أنو شكرى ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٣) ١. أرمان ، هـ. رانكة : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(٤) ١. أرمان ، هـ. رانكة : نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 72. (٥)

Breasted , J., A. A History of Egypt, P. 46 . (٦)

ومن الغريب أن الملك يوصف مؤديا بنفسه طقوس العبادة للالهة في كل المعابد بالمناطق المختلفة ولما كان هذا مستحيلا من الناحية العملية لاتساع رقعة البلاد فإنه في الواقع كان يكتفى بأداء واجبه نحو اله العاصمة أو الاله المحلي في المكان الموجود به بينما كان يقوض الكهنة للقيام بأعبائه الدينية في الأماكن المختلفة واحتفظ هو بهذا الدور من الناحية الاسمية حيث كان الكهنة يؤدون باسمه الطقوس الدينية في كل مكان (١) .

أما من الناحية الاجتماعية فالملك الاله بصفته الراعى الأول للمجتمع فإن من أهم واجباته توفير الأمن والاستقرار والخير والطمأنينة لهذا المجتمع ويتأتى ذلك بالاهتمام بمشروعات الري وتوفير المياه اللازمة حتى يضمن محصولا وفيرا لرعيته ، وقد اهتم الملوك في سجلاتهم التاريخية « كحجر بالرمو » بتسجيل قياس ارتفاعات النهر وانخفاضاته حيث ينسب الفضل في ورود المياه ومجيئ الفيضان إلى الملك وصفاته الالهية (٢) ، حتى في الحالات التي كان يتأخر فيها الفيضان أو تقف المظاهر الطبيعية موقف معاكس لرغبات المجتمع فإنهم ينسبون ذلك إلى قوة عدوانية من ناحية بعض الالهة وعلى الملك أن يسترضيها حتى يعود الخير والاستقرار إلى مجتمعهم .

وكمثال على ذلك يسوقه الدارس حيث وجد نقش يرجع إلى عهد البطالمة على صخور جزيرة « سهيل » عند الشلال الأول ذلك أنه حدث في عهد الملك « زوسر »
مجااعة كبيرة فأرسل إلى مساعده الحكيم « ايمحتب Imhotep » (٣) يستشيره فيما يجب عليه أن يفعله وأى اله يجب أن

(١) Breasted , J., H., Op. Cit., PP. 62 - 63 .

وكذا : سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة ، زينب الكردي ، مراجعة د. أحمد بدوى ، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) هـ. فراتكفورت ، وآخرين : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جيرا ابراهيم مراجعة محمد الامين، بغداد، ١٩٦٠، ص ٩٨ .

(٣) Driton, E., Vandier, V., L'Egypte, Paris , 1938, P. 169 .

يتوجه إليه لمساعدته فأخبره أن حالة النيل وما يجيء به من خير يتم بمعرفة الآله «خنوم»^(١)، لذلك فقد أتى الملك لمقابلة «خنوم» آله «الفتين» الذى شرح للملك أنه قد أهمل فجاء بالمجاعة فاسترضاه الملك برقعة كبيرة من الأرض تبلغ طولها ما بين ٨٠ أو ٩٠ ميل تقع بأراضى النوبة من «سهيل إلى جزيرة تاكومبو» بالقرب من بلاد النوبة^(٢).

كما تصور النقوش الملك مصحوبا برجال حاشيته يتفقد المباني ويتابع أعمال الري ويشرف على معظم الانشاءات الهامة بنفسه مثل انشاء القنوات وكذلك كل الأعمال الخاصة بالزراعة^(٣) أيضا كان على الملك القيام بالرحلات وإرسال البعثات لاحتضار ما يلزم البلاد سواء كان هذا من الانحاء القريبة أو البعيدة وعليه بصفته إليها أن يستخدم وساطته لدى الآلهة لكي تحقق هذه البعثات النجاح.

هذا بالإضافة إلى واجب الملك السياسى كالتفتيش على الحدود وحمايتها من أى أخطار حيث حرص الملوك منذ عصر الأسرة الأولى على تسجيل انتصاراتهم وقضائهم على المتمردين^(٤) وكان الملك يقود الجيش بصفته قائدا أعلى له وينسب إليه الفضل فى كل الانتصارات التى يحرزها جيشه وكانت العادة أن يقوم الملك بتعيين قادة الحملات التى لا يقوم بقيادتها شخصا وكان هذا يعد شرفا كبيرا لمن يقع عليه الاختيار الملكى، وفى هذه

(١) الآله خنوم : الآله الذى يخلق ويكون ، نسب إليه خلق البشر والآلهة والنيل، وكان آله محليا للشلال الأول أصل منابع النيل فى عقيدة الإنسان المصرى القديم تعددت صفاته وعبد فى أماكن مختلفة من مصر القديمة وكان يمثل على شكل إنسان برأس كبش أو إنسان بأربعة رؤوس كباش ، كما اقترن بكثير من الآلهة أنظر :

نجيب ميخائيل : مصر والش. ق. الأ. ق. ، القديم، ج ٤، الاسكندرية ١٩٥٩ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

Breasted , J., Op. Cit., P. 100 . (٢)

Ibid., P. 39. (٣)

Ibid ., P. 48. (٤)

الحالة يضيف أمام لقبه المدينى شرف قيادته لهذه الحملات ناسباً انتصاره إلى الملك (١) .

ولم يقتصر واجبات الملك نحو رعاياه على حياته الدنيا فقط بل تعدتها إلى الحياة فى العالم الآخر حيث اعتقد الإنسان المصرى القديم أن الملك الاله سيعقق له السلام والأمن فى مختلف مراحل حياته فى العالم الآخر مثلما الحال فى عالمه الدنيوى وفى ظل مفهوم أن خدمة الملك الاله تعد من أعظم الواجبات فإن الشعب لم يدخر جهداً فى سبيل اعداد المسكن الابدى للملك الاله ليضمن له الخلود الدائم، ولم يكن ذلك المسكن قاصراً على المقبرة الملكية بل شمل إلى جانبه عدة عمائر تتصل بالطقوس الجنزية الخاصة بالملك، ومن الصعب أن نتصور الغرض من بناء الأهرامات دون أن نتفهم ما كان سائداً فى تلك الفترة من إيمان بالبعث والخلود فى ظل ملكية الهية مطلقة (٢) ، (حتى عند رحيل الملك من عالم الدنيا فإنه ينتقل ليعيش فى عالم الالهة كواحد منهم له كل التقديس والاحترام مثلهم تماماً) مما يستلزم معه اعطاء صورة موجزة عن عقيدة البعث والخلود وارتباط الإنسان المصرى القديم فى الخلود بإرادة الملك الاله الذى امتدت سلطته على رعاياه حتى فى العالم الآخر حيث يعيش الملك بين الالهة كواحد منهم (٣) .

وتتحدث بصوص الأهرام عن ذلك :

« مثلما أوزير يعيش ، يعيش الملك أوناس

وكما أن أوزير لا يموت ، الملك أوناس لا يموت ... » (٤) .

(١) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 303 .

(٢) أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٢ .

(٣) Breasted , J., Op. Cit., P. 74 .

(٤) Vandier, J., Op. Cit., P. 81 (Pyr. 167 Ct Seq.)

ولقد اعتقد الانسان المصرى القديم أن مثله العليا فى العالم الآخر هى استمرار لمثله العليا التى اعتقد بها فى حياته مع مراعاة أن عقيدة البعث والخلود قد أدت إلى ظهور قيم الثواب والعقاب وضرورة التمسك بالعمل الصالح فى الحياة الدنيا حيث أن الانسان مطالب ببيان عمله عندما يبدأ رحلته من عالم الدنيا إلى العالم الآخر .

للمساعدة فى ترتيب تسلسل ملوك الأسرة الأولى، وبمساعدة من قائمة المؤرخ المصرى القديم «مانيتون» ، ثم المصادر الأثرية – مع قلتها – التى تعود إلى هذه الفترة البعيدة، يمكن ترتيب ملوك الأسرة الأولى على النحو التالى :

١- نعرمر = منى

٢- عحا (حور عحا)

٣- جر

٤- الملكة «مرى نيت»

٥- واجى (واجت)

٦- وديمو (دن)

٧- عنجاءب (عنجاءبى) (ميبيدس Miobidos)

٨- سمرخت

٩- قا (قع) «قاي - ع»

أهم أعمال ملوك الأسرة :

الملك نعرمر (فى حالة توحيد مع منى) فهو مؤسس العاصمة منف ،
وتبعاً لمانيخون فلقد حكم ٦٢ عاماً، وهو صاحب الآثار التى عشر عليها فى
«هيراقتوبوليس» ومنها رأس الصولجان يؤكد اهتمامه وملوك الأسرة بتدعيم
الوحدة بين شطرى البلاد، حيث نرى «نعرمر» مرتدياً تاج الوجه البحرى الأحمر،
جالساً على عرشه تحميه الالهة «نخبت» إلهة هيراقتوبوليس فى شكل «رخمة»
وأمامه حملة ألوية جيشه وكذلك شخص يجلس فى محفة وأشخاص يمثلون
أسرى ، وأعداد من الماشية بمثابة غنائم، ويفسر عدد من المؤرخين ذلك باقتران
«نيت حوتب» بنعرمر، باعتبارها إحدى سليلات البيت الحاكم فى الشمال،
وهذا الزواج يعزز موقف نعرمر ويدعم الوحدة بين الشمال والجنوب ، وهو ما
اتبعه عدد آخر من ملوك الأسرة منهم «دن» الذى تزوج من أميرة شمالية تدعى
«مريت نيت»^(١) ، (حيث يقترن باسماءهن اسماء ريات من الدلتا)، ولم يكن
هذا الزواج قاصراً على ملوك وأميرات من الدلتا ، وإنما شمل فئات أخرى من
المجتمع مما زاد من أواصر القربى والوحدة بين شطرى البلاد ، كذلك قيام
ملوك ذلك العصر بزيارات للأماكن المقدسة فى الدلتا مثلما فعل الملك «چر»
بزيارة لبلدتى «بوتو» ، و«سايس» البلدتان المقدستان فى الوجه البحرى، وقيام
«دن» بأحياء عيد الالهة واجت - بوتو وإقامة المشروعات المختلفة فى الدلتا
والصعيد على قدم المساواة، وهى كلها خطوات تحسب لملوك هذا العصر
الذين نجحوا فى إزالة الانقسام بين الشمال والجنوب وهو ما فشلت فيه
مجتمعات أخرى ظلت تعاني القرقة بين الشمال والجنوب لفترات طويلة ، ولعل

(١) و. إمري : مصر فى العصر العتيق ، ترجمة راشد محمد نور ، محمد على كمال الدين، مراجعة

عبد المنعم أبو بكر، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٦ .

عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٣٥٨

مما شجع ملوك هذا العصر تضافر العوامل الطبيعية كنهر النيل مثلاً على تدعيم هذا الاتجاه ، وزيادة الوعي لدى الإنسان المصرى القديم بنعمة الاتحاد ونتائجه المثمرة للجميع .

كذلك اهتم ملوك هذه الفترة بإرسال البعثات التجارية إلى الصحراء الشرقية ، وربما أيضاً إلى مناطق التعدين فى البحر الأحمر ، حيث وجد اسم نعرمر على صخور وادى القاش جنوب الطريق التجارى الذى يربط بين قفط والقصير ، كما عثر على اسم « واهى (واهت) الملك الخامس للأسرة على صخرة طبيعية فى الصحراء الشرقية جنوب إدفو يشير إلى إحدى البعثات المرسله إلى هذه المناجم .

كذلك تتوفر الأدلة على قيام ملوك هذا العصر بالاحتفال بالأعياد ، مثل أعياد ارتقاء العرش (عيد الجلوس) ، وأعياد ذكرى توحيد البلاد ، حيث تشير القوائم والأدلة الأثرية أن الملك « وديمو » (دن) الذى حكم ٢٠ سنة ، قد اهتم بإقامة الأعياد الدينية ، حيث تسجل أحداث عهده « ظهور ملك الوجه القبلى ثم ظهور ملك الوجه البحرى فى الاحتفال بالمعبد المعروف بعيد « سد » وهذا الاحتفال كان إحياء للزمن الذى لم يكن مسموحاً للحاكم فيه بتخطى مدة ثلاثين سنة ولكن بحلول الأسرة الأولى تطورت هذه العادة إلى عيد ثلاثينى واحتفال سحرى ، كان الملك يجدد فيه حيويته ويستمر فى الحكم ، وتكررت مناظر هذا الاحتفال مع ملوك آخرين ومنهم الملك « عنجاءب » (عج إيب) ، ولم يلتزم الملوك بفترة مرور الثلاثين عام على توليهم الحكم فى إقامة هذا الاحتفال وإنما أقاموه كلما تراءى لهم تأكيد حيويتهم ، أو انتصارهم أو خروجهم من محنة ما ، ولازالت الأدلة تعوزنا حول عيد الحب « سد » وأصوله البعيدة .

وتشير الأدلة على اهتمام ملوك العصر بالعلوم حيث تشير حوليات حجر بالرمو على قيام الملك « وديمو » بتسجيل احصاء لسكان المقاطعات فى الغرب والشرق والشمال، وعلى اهتمام الملك « عحا » (حور عحا) الذى حكم لمدة ٤٧ عاماً (تبعاً لما نيتون) بالتشريح وبالطب .

كذلك يشير العثور على بطاقة من ابيدوس من عهد « جر » وفيها إشارة إلى شهور النجم « سوتس Sothis » (الشعرى اليمانية) إلى تقدم فى معرفة الفلك، واستخدام التقويم الشمسى الذى حل محل التقويم القمرى الذى كان معمولاً به فى عصور ما قبل الاسرات حيث كان ظهور ذلك النجم متسقاً مع صعود الشمس على خط عرض أون، ومتفقاً مع مجئ الفيضان ، وكان المصرى قد قسم السنة إلى ثلاث فصول يتكون كل منها من أربعة شهور هى : آخت (فصل الزرع) ، و « برت » الأنبات، والثالث « شمو » الحصاد، وتبعاً للتقويم الشمسى ومجئ هذه النجمة فى عهد « جر » وبحساب السنوات فيما بين حوالى ٢٧٨٥ - ٢٧٨٢ ق. م. ، والمعروف أن مانيتون قد اعطى « لجر » مدة حكم تقدر بحوالى ٣١ عاماً^(١) .

بينما يرى « نيقولا جريمال » أن وجود « سويدة » النجم « سوتس » على بطاقة جر (شكل ٨) ليس دليلاً فى حد ذاته ، فرصد الظاهرة لا يعنى بالضرورة الأخذ بتقويم جديد تمام، ومن المنطقي الافتراض بأن التقويم القمرى ظل معمولاً به طوال عهد « جر » وأن التقويم الشمسى لم يحل محله إلا بحلول دورة الشعرى اليمانية التالية أى قرب نهاية الأسرة الثانية^(٢) .

Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 263 - 264 .

(١)

وكذا : ولترايمرى : نفس المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٥٩ .

(٢) نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاني ، مراجعة زكية طبو زادة ، القاهرة،

١٩٩٣ ، ص ٦٥ .

وقبل أن ننتهى من الحديث عن الأسرة الأولى، يتردد الحديث عن الملكة «مريت نيت» باعتبارها ثالثة ملوك هذه الأسرة وربما خليفة الملك «جر» حيث عثر الأثرى «فلنדרز بترى» عام ١٩٠٠ على مقبرة فى أبيدوس رمز لها بحرف (ى) وبداخلها لوحة كبيرة تحمل اسم «مريت نيت» ولكن دون أن يكون الاسم فى مواجهة «السرخ» التقليدى الذى يعلوه الصقر وبذلك اتجه الظن نتيجة ثراء المقبرة أنها زوجة ملكية .

لكن الحفائر الحديثة بسقارة كشفت عن العثور على مقبرة أخرى يظهر أنها للملكة «مريت نيت» بدليل العثور على أواني حجرية واختام سدادات الاواني متشابهة مع تلك التى عثر عليها فى أبيدوس وأخذها يمثل اسمها داخل واجهة القصر «سرخ» يعلوه سهام نيت المتقاطعة وهى تشبه اختام «نيت حتب» التى عثر عليها فى نقاده والتى تنتمى إلى بداية الأسرة الأولى (ربما زوجة نعرمر وام للملك حور عحا).

ومقبرة سقارة رقم ٣٥٠٣ أكبر بكثير من مقبرة أبيدوس ولها أيضا مدافن جانبية تحيط بالبناء العلوى الذى تبلغ أطواله ٤٢,٦ X ١٦ مترا، ولهذه المدافن أهمية كبيرة إذ ضمت رفات بعض خدم الملكة وادواتهم مثل نماذج قوارب وأواني حجرية، كذلك عثر إلى الشمال من مقبرة الملكة على حفرة مركب مبنية باللبن كانت أصلا تحوى مركب شمس طوله ١٧,٧٥ وذلك لكى تبجر مع إله الشمس .

وعلى أى حال فوجود مقبرة للملكة «مريت نيت» على مقربة من مقابر الملوك لذو دلالة على أهمية هذه الملكة ومكانتها الكبيرة، وعلى تدعيم الرأى القائل باتجاه ملوك الأسرة بتدعيم الوحدة بين الشمال والجنوب عن طريق الزواج بين شطرى البلاد (١) .

(١) ولتر إيمرى : نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٧ .

تنتهى الأسرة الأولى التى استمرت حوالى قرنين ونصف من الزمان - تبعا لما نيتون - نهاية غامضة، ولا ندرى لماذا انتهت ، والأسباب لازالت مجهولة وربما تكشف عنها الأيام القادمة .

الأسرة الثانية :

عدد ملوك هذه الأسرة ثمانية ملوك ، ولم يعد هناك مقابر ملكية فى أبيدوس ، وكما يرى «مانيتون» فهناك تسعة من الملوك لهذه الأسرة، بينما لا تؤكد المادة الأثرية سوى سبعة أو ثمانية من الملوك هم : (١)

١- حوتب سخموى .

٢- رع نب (نب رع) .

٣- نى نثر (نثرىمو) .

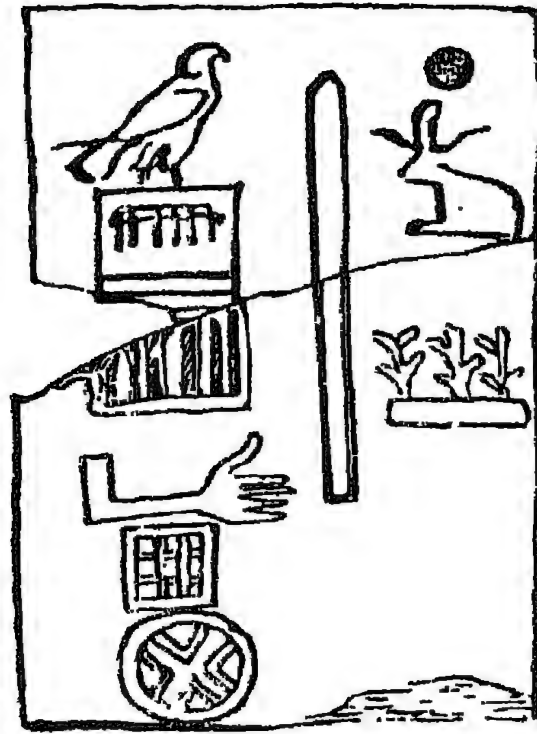
٤- ونج

٥- سند (سنج) .

٦- سخم إيب (بر إيب سن)

٧- خع سخم

٨- خع سخموى



شكل (٨) - بطاقة من العاج للملك حور

١- الملك حوتب سخموى .

أول ملوك الأسرة الثانية ، اسمه يعنى « القوتان هادثنان » أو كما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح ، بمعنى « رضى القويان » أو استقر القويان » ربما إشارة للإضطراب بين الشمال والجنوب والذي انتهى بإعتلائه العرش مكونا الأسرة الثانية التى بدأت باستخدام الاختام بدلا من البطاقات العاجية والخشبية التى كانت مستخدمة بكثرة فى الفترة السابقة ، ونعرف من « مانيتون » أنه قد حدث فى عهده زلزال أو تشقق فى الأرض فى بوباسطة نتج عنه وفاة عدد من الناس ، وبعد حكم ٣٨ عاما (١) ، خلفه على العرش خليفته :

٢- نب رع (رع نب) :

حكم لمدة تسع وثلاثون سنة، يطلق عليه « كاكاو » فى قوائم الملوك ، لم يكشف عن مقبرته بعد ، غير أنه وسلفه « حوتب » سخموى وجد اسمه على إختام طينية عثر عليها بالقرب من هرم « ونيس » فى سقارة .

ويذكر « مانيتون » أنه خلال عهده استقرت عبادة العنجل « أبيس » التى تعود إلى بداية عصر الأسرة الأولى فى منف وأون .

٣- نى نثر (نثرىمو) :

حكم مدة سبعة وأربعين عاما ، ويشير حجر بالرمو إلى الاحتفالات الدينية فى عهده .

الملك الخامس فى الأسرة « سبد » حكم ٤١ عاما ، وربما شهدت البلاد بدءا التطاحن والصراع الدينى بين انصار الإله « حور » والإله « ست » (إله العاصمة الجنوبية القديمة امبوس) ، خليفته حمل اسم (حور سخم إيب) .

(1) Ibid., P. 265 .

سخم إيب :

خلال حكم « سخم إيب » ظهر صراع سياسى دينى، مع أننا لا نستطيع معرفة تفاصيله، غير أن العلماء يروا أن الملك سخم إيب (برابسن) قد خرج عن المعتاد بتصوير الصقر رمز المعبود « حور » وتعصب لست إله الصعيد القديم وسمح لرجاله بأن يصوره بتاح الصعيد وبهيئة بشرية على أختامه ، ويصوروا رمزه فوق قصره عوضا عن رمز « حور » ، وقد اختلفت آراء عدد من المؤرخين عن دواع « سخم إيب » لذلك فمنهم من قائل بسبب ثورة أهل الدلتا على الملك فعاندهم وانصرف عن إلهه القديم حور إلى ست إله الصعيد، أو ربما أراد الملك أن ينتسب إلى حور وست معا. ومعلوماتنا عن هذا العصر ضئيلة، للدرجة التي يستحيل معها أن نفترض أية نظرية تتفق مع حقائق تلك الفترة .

خع سخم : خع سخموى :

تنتهى الأسرة الثانية بملكين هما : خع سخم، خع سخموى، ويعتقد عدد من المؤرخين أن كليهما شخص واحد، الملك « خع سخم » عثر على آثار تحمل اسمه فى هيراقنوبوليس ولكن يبدو أن حكمه كان عاصفا وإن البلاد وخاصة الدلتا تعرضت لغزو من عناصر ليبية، والآثار التى عثر عليها تمثل حروبه وانتصاراته ، مع أنه يجوز أن بعض هذه الحوادث التى أشارت إليها لوحاته قد حدثت خارج الحدود المصرية ضد عناصر من الليبيين الذين أغاروا على الدلتا مع إمكانية حدوث ثورة داخلية فى مصر، وقد وصلنا نص مدون على ثلاثة أوان أحدهم من الجرانيت (بالمتحف المصرى بالقاهرة)، والأخرى من الالباستر (فيلادلفيا) والثالثة من الالباستر (أكسفورد - إنجليا) وكلها تحمل نفس النقوش للملك « خع سخم » .

كتب عليها « عام مقابلة العدو الشمالى » والالهة نخبت على شكل نسر

تقبض على دائرة خبتم بداخله كلمة « بش » (ثوار) بينما تتركز مخابرها الآخر على رمز وحدة مصر أمام « خع سخم » (شكل ٩)

وقد لاحظ إيمري (Emery) أن الملك يرى على تماثيله لباسا تاج الصعيد فقط ، وعلى الأواني الحجرية يرى الصقر الذى يعلن اسمه يلبس أيضا تاج الصعيد ، ومعنى هذا كما يراه أن خع سخم كان أحد حكام الأسرة الطينية فى مصر العليا ، وهى الأسرة التى جددت وحدة وادى النيل بعد الحروب الدينية بين أتباع حور وأتباع ست (١) .

ثم تولى الملك « خع سخموى » وفى عهده استقرت وحدة الدولة نهائيا ، ومع انتهاء حكمه تنتهى تلك الفترة المبكرة من عصر بداية الأسرات .

أما عن النظام الإدارى فى فترة عصر بداية الأسرات فليست لدينا معلومات كافية عن الأحوال الادارية فى تلك الفترة التى عجز فيها الفن عن سمو مكانة الملك بالنسبة لباقي أفراد المجتمع ، ولذا كان من الطبيعى أن يعاون الملك مجموعة من الموظفين والمساعدين يكونوا هم حلقة الوصل بينه وبين المجتمع .

ومن بين الوظائف التى أثارت الكثير من الجدل وظيفة الوزير فالبعض يرى أنها كانت قائمة فى ذلك العهد ، و الواقع أن ما لدينا من آثار ونصوص وثائقية لا يكفى لاثبات وجود هذه الوظيفة ولكنه لا ينفى قيامها فى الوقت نفسه ، وبينما يرى « دريوتون Drioton » أن « حماكا » وهو من أشهر موظفى الملك « دن » كبير الموظفين فى الدلتا ، وكشف عن مقبرته بسقارة عام ١٩٣٦ ،

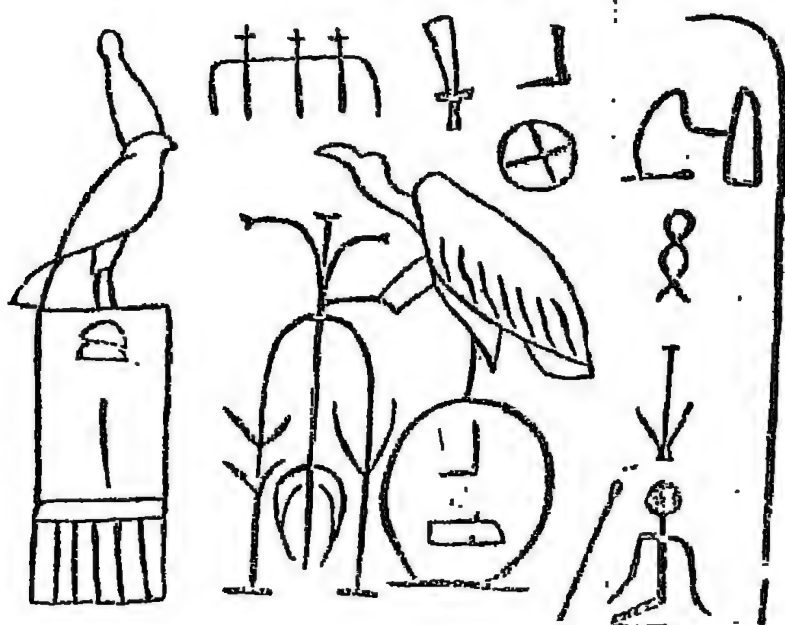
(١) ولتر إيمري : نفس المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٣ .

وكذا :

Quibell, J. E., Op. Cit., Pl. XXXVIII



شكل ٩ أ: (آنية من الجرانيت للملك خع سخم)



شكل ٩ ب: (آنية من الالباستر)

وعشر له على مقبرة أخرى فى ابيدوس احتوت على عدد من أختام الجرار تحمل اسمه ، وهو فى نفس الوقت الموظف الأول للملك لكنه لم يحمل اللقب .

ولذا يمكن القول أنه إذا كان لقب الوزير موضع شك فإنه كان هناك على الأقل موظفان يحمل أحدهما لقب حامل أختام الجنوب ، والآخر حامل أختام الشمال ، ويرأسان بيت المال المزدوج ، مما يسمح معه بالقول إن الحكومة كانت حكومة موحدة تحمل فى ثناياها مظاهر وتقاليد حكومتين معاً ، ومن المحتمل وجود رئيس للإدارة الحكومية ، ولعله من المناسب التأكيد هنا على أن من ضمن الوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين شطرى البلاد هو السماح للوجه البحرى بشخصية متميزة فى إدارته تحت ظل التاج المزدوج .

وفى ظل المجتمع الزراعى المصرى القديم الذى يعتمد على الزراعة وفيضان النيل وحفر الترع والقنوات ومتابعة مشاريع الري مما يستدعى وجود موظف يشرف على هذه الأعمال حيث ظهر لقب « عديج مر » ومعناه المشرف على حفر القنوات الذى أصبح فيما بعد « حاكم الأقليم » والذى مارس وظيفة حاكم المنطقة للتأكد من متابعة مشروعات الزراعة وتوريد الضرائب للعاصمة ومتابعة الإحصاءات التى كانت تجريها الدولة كل سنتين ، والإشراف على القضاء ومتابعة سير العدالة ، وملاحظة ارتفاع وانخفاض الفيضان ، واحتمالية وجود وزارة للماء (يرمو) والإشراف على الطرق المؤدية للإقليم (١) .

(١) نجيب مهنايل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ١ : ألامكندرية ، ١٩٦٠ ، ص ١١٤ .

وكذا :

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 269 - 270 .

وقبل أن تنتهى من الحديث عن عصر بداية الأسرات فلقد كانت العلاقات بين مصر وجيرانها علاقات تبادل اقتصادى فى المقام الأول، حيث تبادلت مصر المنتجات مع جيرانها وخاصة فلسطين وسورية منذ عصور ما قبل التاريخ حيث عثر على منتجات مصرية فى تلك البلاد ، ومع بداية عصر الأسرات ازداد التبادل التجارى حيث استوردت مصر من هناك الأخشاب اللازمة لصناعة السفن واساسات المعابد والقصور ، كما استوردوا الزيوت والخمور من سورية وفلسطين، أيضا دلت الأدلة الأثرية على وجود الفخار المصرى فى تل الشيخ جنوب فلسطين وبيبلوس على الساحل السورى .

كذلك اهتم ملوك مصر فى تلك الفترة بتأمين حدود مصر فذكرت نصوصهم تأديبهم لبدو الصحراء الشرقية وبدو شبه جزيرة سيناء، كما ترينا لوحة عاجية من أبيدوس الملك « وديمو » فى وقفته التقليدية كفرعون منتصر يضرب زعيما لهؤلاء البرابرة مع عبارة « أول مرة لضرب الشرق » وكانت الحرب ضد سكان الصحراء الشرقية ضرورية لتأمين الطرق التجارية فى وادى المغارة لاستيراد النحاس والدهنج من مناجم سيناء وهى مواد بالغة الأهمية .

أيضا فى نفس المنطقة فى وادى المغارة عثرنا على نقوش للملك « سمرخت » تصوره وهى يؤدب البدو فى تلك الانحاء لتأمين طرق القوافل التجارية .

كذلك اهتم ملوك عصر بداية الأسرات بتأمين الحدود الجنوبية، واعتبر المصريون منطقة النوبة السفلى القريبة من أسوان جزءا متما لحدودهم الجنوبية، ورغبة فى تأمين الحياة عندها والحد من شغب قبائلها غير المستقرة ربما بسبب طبيعة البلاد الجغرافية التى أصيبت بالجفاف والفقر مما دعاها إلى تكرار مهاجمة القوافل والبعثات المصرية ومناطق الاستقرار القريبة منها فى مصر

العليا^(١)، ولقد استمر ملوك مصر منذ عصر بداية الأسرات فى اتباع تلك السياسة وهو ما تدعمه الأدلة الأثرية حيث عثر فى أبيدوس على بطاقة أبنوسية للملك «عحا» سجل فيها انتصاره على النوبيين، وتابع خليفته الملك «چر» تلك السياسة حيث عثر فى جبل الشيخ فى الجعانب الغربى من النيل بالقرب من «بوهن» على لوحة صخرية تحمل اسم الملك وفيها يظهر أسيرا جالسا أمام سفينة من طراز عصر الأسرات فى مصر ويداه مقيدتان خلف ظهره ويلتف حبل حول عنقه وأسفل السفينة تجد أجساداً غرقى للعدو المهزوم ووجه نوبى موجه إليه سهم ودائرتين على شكل المدن على إحداهما صقر وعلى الأخرى المشيمة الملكية يرمزان إلى مدن تم الاستيلاء عليها بواسطة الملك «چر»^(٢) .

أما من ناحية الغرب التى سكنها الليبيين أو «التحنو» فلقد سكنوا الجزء الملاصق للدلتا من الناحية الغربية، ومن ناحية الأصل ربما ينتمون إلى نفس جنس المصريين وإن كانوا يعتبرون أجنب عنها، وتتفق ملامحهم مع ملامح المصريين، بشرتهم حمراء داكنة ، كذلك التشابه فى الزى فى العصر المبكر، وتميز الليبى بخصلة الشعر التى تتدلى من أحد جانبيه رأسه ويغمد عورته فى جراب وذيل الحيوان معلق من خلف أو أمام النقبه، كما اتخذوا بعض الأسماء المصرية ، كما أطلق عليهم «حاتيوعا» وهى كلمة مصرية تعنى أمير ، وعلاقتهم بمصر علاقة قديمة، ويقترض «أدوارد» أن التقسيم بين الشعبين المصرى والليبى قد حدث نتيجة عدم أخضاع «الحاتى عا» بواسطة ملوك مصر العليا عند توحيد مصر فى بداية العصر التاريخى ، وهو افتراض لا تدعمه الأدلة

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

Petrie, F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties , Vol. II, (٢) London , 1913 , Pl. XI; Arkell, A. J., Varia Sudanica , JEA, Vol. 36 , 1950, PP. 27 - 30 .

الأثرية ، وقد تراوحت العلاقة القديمة بين الجانبين بين السلم والحرب حينما كانت تدفعهم ظروف الجفاف أو اضطراب الأحوال السياسية في مصر إلى الطمع في خيراتها فتقوم مصر برد غاراتهم وتأديبهم ، وهو ما عبرت عنه الآثار المنتمية إلى عصر ما قبل الأسرات وبداية العصر التاريخي حيث تشير صلاية « الحصون والغنائم » لملك يعتقد أنه العقرب الذي صور رمزه ضمن الرموز المقدسة وفيها غنائم الحرب التي حصل عليها وضمنها صفوف للمشاة تحتها أشجار ريتية صمغية كتب تحتها عبارة « تحنو » إشارة إلى هذه الأنحاء الليبية ، كذلك عثر على نقوش لكل من « عحا » و « جر » من ملوك الأسرة الأولى ، والملك « خع سخم » (الأسرة الثانية) تسجل انتصارات مصرية على الحدود المصرية الليبية لتأمين الحدود من ناحية الغرب^(١) .

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢١ .
وكذا :

Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt , CAH, Vol.1 ,
P. 2 A . , P. 47 .

Vercoutter, J., Op. Cit., 268 .

الفصل الرابع عصر الدولة القديمة

الفصل الرابع

عصر الدولة القديمة

يطلق المؤرخون على هذا العصر الذى يبدأ ببداية الأسرة الثالثة وينتهى بالأسرة السادسة ، عدة مسميات منها «عصر بناء الأهرام» دلالة على عادة ملوكها فى تشييد أهرامهم الضخمة بالقرب من قصورهم فى ميدوم ودهشور وسقارة والجيزة وأبى رواش ، كما تعرف «بالعصور المنفية» دلالة على استقرار ملوكها فى العاصمة منف فترة استمرت حوالى أربعة قرون من ٢٧٠٠ حتى ٢٣٠٠ ق.م.

الأسرة الثالثة :

تاريخ الأسرة الثالثة مبهم سواء فى عدد ملوكها وترتيب توليهم الحكم ، وهناك خلاف فى أسماء ملوك هذه الأسرة بين القوائم المختلفة ، ولماذا بدأ «مانيتون» الأسرة بعد وفاة «خع سخموى» آخر ملوك الأسرة الثانية، وذكر أنها تضمنت تسعة ملوك حكموا فترة ٢١٤ عام، بينما تقدم بردية تورين خمسين سنة كمدة حكم للأسرة ، الشئ الوحيد الواضح بين القوائم وجود اسم «نثرخت» (زوسر)، واتفاق المادة الآثرية أن الملك «حونى» هو آخر ملوك الأسرة الثالثة .

كذلك اختلف عدد من المؤرخين فى مؤسس هذه الأسرة، وتتابع الملوك فيها، ومما زاد فى غموض ملوك الأسرة الثالثة خلط بعض القوائم الملكية من أسماء سخم خت، خع با، سانتخت ، الذى جاء ذكرهم على الآثار ، وربما السبب فى ذلك شيوع استعمال الاسماء الحورية وليست أسماء الملوك الأخرى التى ستكتب داخل ما يسمى «الخرطوش» وذلك شبيه باسم الملك «زوسر» الذى كان يسمى باسمه الحورى «نثرإبر رخت» (نثرخت) ، وإن اسم زوسر أو جسر سجل على قطعة من العاج وكان لقب «نيتى» ، كما وجد ما يؤكد أن

نثر خت هو جسر (زوسر) على نص من العهد البطلمي كتب فى جزيرة سهيل
عند الجندل الأول كما سيأتى فيما بعد .

ويرى عدد من العلماء أن ترتيب ملوك الأسرة الثالثة كان على النحو التالى :

١- الملك الحورى سانخت = ربما هو «نب كا» كما جاء فى بردية ويستكار .

٢- الملك الحورى نثر خت = جسر (زوسر) باني الهرم المدرج

٣- الملك الحورى سخم خت = جسر تنى ؟ باني الهرم غير المكتمل فى سقارة

٤- الملك الحورى كابا (خع با) = باني الهرم غير المكتمل بزاوية العريان .

٥- ملك غير معروف ربما «نب كارع» فى قائمة سقارة

(تبعاً لراى تشرنى Černý) .

٦- الملك حونى صاحب هرم ميدوم (١) .

وهذا الترتيب يتفق مع ترتيب «لوير Lauer» لملوك الأسرة الثالثة فيما

عدا أنه يضع فى الترتيب الخامس ملك أو ملكة غير معروف أقام هرما مدرجا
بناحية سيلة بالفيوم .

وقد ذكر «لوير» أخيراً أنه من الأفضل ترك أمر هرم الفيوم وأيضاً مجموعة

الاهرامات الصغيرة الموجودة بناحية زاوية الميتين بالمنيا ونقادة والكولة

بمحافظة قنا، كما قدر «فانديير Vandier» وضع ملك بين (خع با، حونى) ،

وهو الذى قرأ اسمه «ماسبيرو» (نفر كا) ، وهو الذى يطابق «نفر كارع» صاحب

القبر الذى لم يتم فى زاوية العريان ، الذى جاء قبل الملك «حونى» كما جاء فى

قائمة ابيدوس (٢) ، والمعروف أن قائمة سقارة تذكر «نب كارع» ثم «حونى

فستقرو على التوالى .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 284 .

(١)

(٢) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٣ .

١ - الملك زوسر (نثر رخت)

يرى فيه الكثير من المؤرخين مؤسساً للأسرة الثالثة وأعظم ملوكها لما خلفه من أعمال، وللصلة التي تربطه بالملك «خع سخموى» آخر ملوك الأسرة الثانية والملكة «نى ماعت حاب» التى لقبت فى عهد زوجها «خع سخموى» بأنها أم ولد الملك، ثم لقبت فى عهد «نثر رخت» بلقب أم الملك .

وهناك اتجاه آخر يرى فى «سانخت» هو أول ملوك هذه الأسرة الثالثة ، كما يرى أصحاب هذا رأى أن «سانخت» هو الاسم الحقيقى للملك «نب كا» واحتمال أن يكون أخا أكبر للملك «نثر رخت» .

ويرى عدد من العلماء بناء على الأدلة الأثرية والنصية أن الملك «سانخت» هو أول ملوك الأسرة الثالثة على اعتبار أن الملك «خع سخموى» قد تزوج من ثلاث سيدات وأنجب من زوجته الرئيسية التى لم يعرف إسمها ابنته الأميرة «حتب حرنبتى» ومن زوجة ثانية التى لم يعرف إسمها أيضا ابنه «سانخت» ، ومن زوجة ثالثة «نى ماعت حاب» ابنه نثر رخت ، وعند وفاة آخر ملوك الأسرة الثانية تولى «سانخت» العرش بعد زواجه من الأميرة «حتب حرنبتى» الوارثة الشرعية للعرش، وبعد وفاته تولى «نثر رخت» العرش واعترف فى بداية عهده بمكانة زوج أخيه وابنتها ونقش اسمه مع إسميهما على العديد من النقوش التى عثر عليها فى بقايا معبده فى مدينة «أون»^(١).

ومع اتفاقنا فى كون «سانخت» قد سبق «نثر رخت» (زوسر) فى تولى العرش، فلا زال الغموض عن السبب فى تغير الحكم من أسرة إلى أخرى، ولعل هذا مرجعه فى اعتقادى أن عهد «زوسر» يشتهر فى التاريخ بظاهرة أخرى لها أهميتها وهى التقدم المعمارى الهائل فى استخدام الأحجار وبداية ظهور الشكل الهرمى للمقبرة عما كان سائدا فى الأسرتين الأولى والثانية، مما يجعل من

(١) أحمد أمين سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٠ .

حكمه بحق فاتحة عهد جديد فى التاريخ الحضارى لمصر، وهو ما جعل بردية تورين تسجل اسم « زوسر » بالمداد الأحمر بين أسماء ملوكها، تأكيداً لتمييزه وأهمية عهده ، وصور كاتب مصرى من القرن ١٢ ق.م. زوسر مع كل من مؤسس الأسرة الخامسة ومؤسس الأسرة السادسة باعتباره رأس أسرة حاكمة جديدة مثلهما، ثم سجل المؤرخ مانيتون رأيه فى الملك نفسه فاعتبره بداية لملوك منف (أى إنب حج القديمة)^(١).

ومن أعظم الشواهد على حكم زوسر (نثر رخت) البناء الحجرى العظيم المعروف باسم « الهرم المدرج » فى سقارة ، الذى اختار له « ايمحتب » جزء مرتفع من سقارة يشرف منه على مدينة منف ، وبدأ فى البداية بمصطبة (ربما كانت مقبرة سانخت) ، ثم زاد ارتفاعها ببناء خمس مصاطب بعضها فوق بعض كل منها أصغر حجماً من التى تحتها فنجم عن ذلك الهرم المدرج الذى يتكون من ست مصاطب يصل ارتفاعها الكلى إلى نحو ٢٠٠ قدم (حوالى ٦١ متراً) ويشرف على الوادى، ويطل هذا الهرم المدرج على مجموعة من المباني والمنشآت يحيط بها سور يصل محيطه إلى أكثر من ميل واحد (١٦٠٩,٣٥ متراً) كما يصل ارتفاع السور إلى أكثر من ١٠ أمتار ، محلى بعدد أربعة عشرة بوابة ليس بينها سوى بوابة واحدة حقيقية (شكل ٩ ، ١٠) .

وتضم هذه المساحة الواسعة مجموعة من الساحات والصروح المبنية بنفس الطراز ، والتى أقيمت بمناسبة الاحتفالات والطقوس التى كان يؤديها الملك أثناء حياته مثل عيد « الحب سد » وأعياد توليه العرش^(٢) ، الناحية الشمالية للهرم يواجه معبد للطقوس الجنزية للملك وهى نسخة من ناحية

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٢) سيريل الدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة : شتارل - ديفى ، مراجعة أحمد قدرى ، القاهرة ،

الشكل للفقر المللى فى منف ، والهرم المدرج بوضعه الحالى تعرض لتغيرات عدة من ناحية التصميم .

كما تم العثور على تمثال بالحجم الطبيعى للملك من الحجر الجيرى عثر عليه بداخل سرداب مجاور للهرم المدرج ، والسرداب الخاص بتمثال الملك عبارة عن حجرة صغيرة ضيقة وضع بداخلها تمثال للملك المتوفى وبأحد جوانبها فتحة يطل منها التمثال على القرايين التى كانت تقدم إليه بحجرة القرايين المجاورة للسرداب (١) .

كما ارتبط زوسر وهرمه أيضا باسم « ايمحتب » الذى لم يكن ينتمى للملك بصلة قريى ، ومع ذلك ويفضل كفاءته وصفته النصوص بأنه مستشار الملك وحامل ختمه ، والمعمارى (المهندس) حيث كانت المقابر الملكية حتى عهده عبارة عن قبور بسيطة من اللبن على شكل مصاطب كما نجح فى التحول من البناء باللبن إلى البناء بالحجارة - والفلكى ، والكاهن ، والحكيم ، والطبيب .. وظلت شهرته على مر العصور كأول من شيد مبنى من الحجر ظلت آثاره باقية حتى وقتنا الحالى ، وفى عصر الدولة الوسطى ردد الناس أقواله كأروع نماذج للحكمة ، وكان حاميا للكتاب حتى كان الكاتب لا يبدأ عمله إلا بعد أن يقدم الكاتب له التسمية ، وأما فى بلاد اليونان فقد قرنه بـ « اسكليبيوس » إله الطب عندهم ، وعبدوه وأطلقوا عليه اسم « ايموتس Imouthes » (٢) .

وإلى زوسر تشير النصوص أنه خلد ذكرى انتصاره على بدو سيناء حيث وجد اسمه فى وادى مغارة حيث ذهبت بعثاته إلى هناك وعادت محملة بالفيروز .

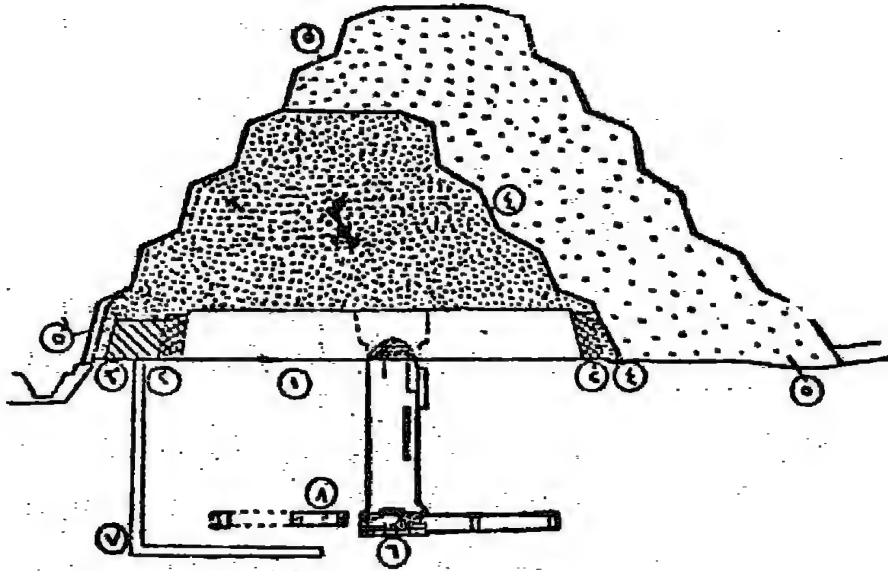
Vercoutter , J., Op. Cit., P. 284 .

(١)

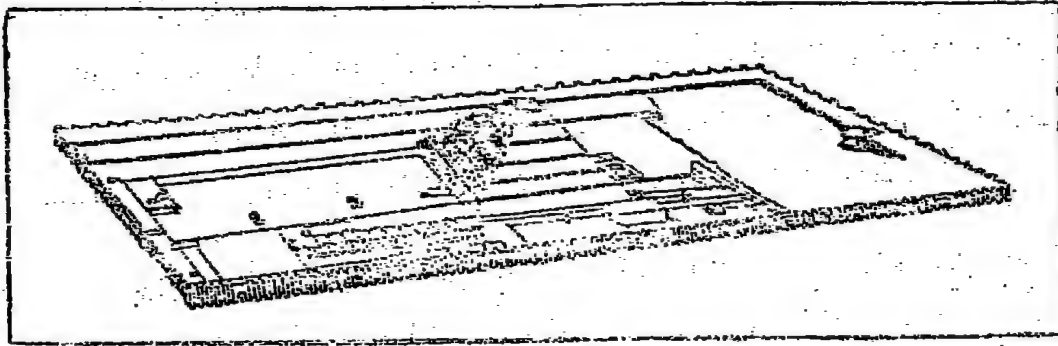
وكذا : سيريل الدريد : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 283 .

(٢)



: الهرم المدرج - قطاع في اتجاه الناحية الجنوبية



شكل ١٠ : (السور الخارجي حول الهرم المدرج)

وقد امتد تقديس «زوسر» في العصور المتأخرة دهوراً طويلة حيث عُثر على اسمه منقوش في جزيرة سهيل عند الجندل الأول على اللوحة المسماة «لوحة المجاعة» التي تحكى أنه حدث في عهد الملك «زوسر» مجاعة كبيرة فأرسل إلى حاكم إقليم الجنوب يستشيريه فيما يجب عليه للمخلص من هذا الخطر وأى الآلهة أولى باستدراء العون ، فأجابه مستشاره بأن الآله «خنوم» (وكان الها محلياً عند الجندل الأول أصل منابع النيل في عقيدة الإنسان المصرى القديم، لذلك فلقد أتى الملك إلى الجنوب لمقابلة «خنوم» إله الفنتين الذى شرح للملك أنه قد إهمل فجاء بالمجاعة فاسترضاه الملك برقعة كبيرة من الأرض تبلغ طولها ما بين ٨٠ أو ٩٠ ميلاً إلى جانبى النهر من سهيل إلى جزيرة تاكو ميسو (قصر ابريم) فى النوبة السفلى (١).

حكم زوسر حوالي ٢٩ عاماً ، وبالنسبة لمن جاء بعده الملك «سخم حت» باني الهرم غير المكتمل فى سقارة ، فلا زالت تنقصنا المعلومات عن السبب فى عدم استكمال البناء لهرمه وربما مرجعه نقص فى الامكانيات التى توفرت للملك زوسر من قبله .

أما عن الملك خع با (كابا) ، وخليفته الملك «نب كارع» فلا زالت أيضاً تنقصنا الأدلة ولا نعرف عنها . وى أن الأول قد حاول تشييد هرم له فى منطقة زاوية العريان وقد حكم لبضعه شهور، أما الآخر فلا نعرف عنه سوى أنه كان الملك قبل الأخير فى الأسرة الثالثة .

الملك حوني : Huni

ومعنى اسمه «الضارب» وحكم نحو من أربعة وعشرين عاماً، ونعرفه من خلال جعران من الجراتيت وجد له فى الفنتين ، ومن خلال هرم ميدوم الضخم (ميدوم ٨٠ كم جنوبى الجيزة) وقد بناه على شكل هرم مدرج يشمان مصاطب،

Ibid ., P. 286 .

(١)

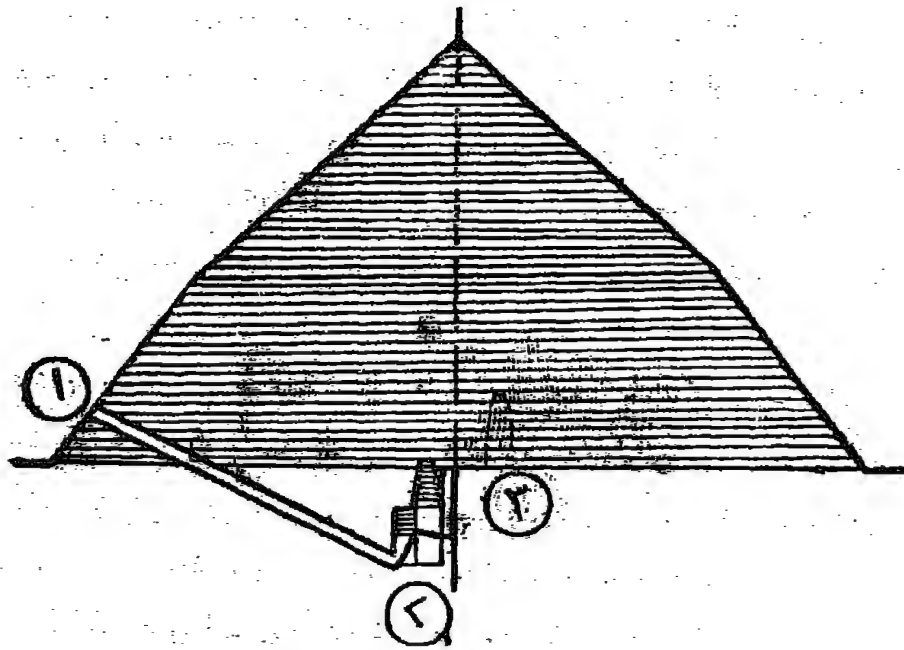
ثم ملأ الثماني درجات لتكون جوانب الهرم الأربعة مستقيمة مائلة من القاع إلى القمة ، والهرم بهذه الصورة يمكن اعتباره مرحلة انتقال بين الهرم المدرج والهرم الكامل وقد مات الملك « حوني » قبل أن يستكمل البناء، فقام سنفرو واكتمل الهرم الذى بدأه سلفه . (شكل ١١)

الأسرة الرابعة :

الانتقال من الأسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة غير واضح أسبابه، وأيضا التعاقب فى ملوك الأسرة الرابعة مبهم ، الشئ الوحيد المؤكد هو أول ملوك الأسرة سنفرو ، وشيسسكاف آخر الملوك فى الأسرة، وهناك صعوبة لتحديد الفترة الزمنية للفترة التى حكم فيها كل ملك مع الموافقة أن الأسرة كلها قد تولت العرش لفترة تقترب من قرنين من الزمان، وهناك اجماع أن خوفو خلف سنفرو، المؤرخ المصرى القديم «مانيتون» ذكر الاسماء الأربعة لملوك الأسرة : سنفرو ، خوفو ، وخفرع ، ومنكاورع ، وملك أو اثنين بين خفرع ومنكاورع، وبينما تقدم لنا بردية «تورين» اثنين من الملوك بعد «منكاورع» ، نرى المؤرخ «مانيتون» يضع ٦٣ عاما لكل من خوفو ومنكاورع ، فى الوقت الذى تذكر لهما بردية «تورين» للأول ٢٣ عاما، وللثاني (منكاورع) ١٨ عاما .

ويمكن أن نرتب ملوك الأسرة الرابعة من خلال المصادر الأثرية كالتالى :

- ١- الملك سنفرو ، وتولى العرش لمدة أربعة وعشرين عاما تبعا لبردية تورين .
- ٢- الملك خوفو (كيوبس) وتولى العرش لمدة ثلاثة وعشرين عاما .
- ٣- الملك ددف رع (رع ددف) وتولى العرش لمدة حوالى ثمان سنوات .
- ٤- الملك خفرع (خفرن) غير معلوم فترة حكمه .
- ٥- الملك منكاورع وحكم لمدة ثمانية عشرة عاما .
- ٦- شيسسكاف وهو محذوف من بردية تورين .



شکل ١١: الهرم المنحني . قطاع في اتجاه الناحية الشرقية)

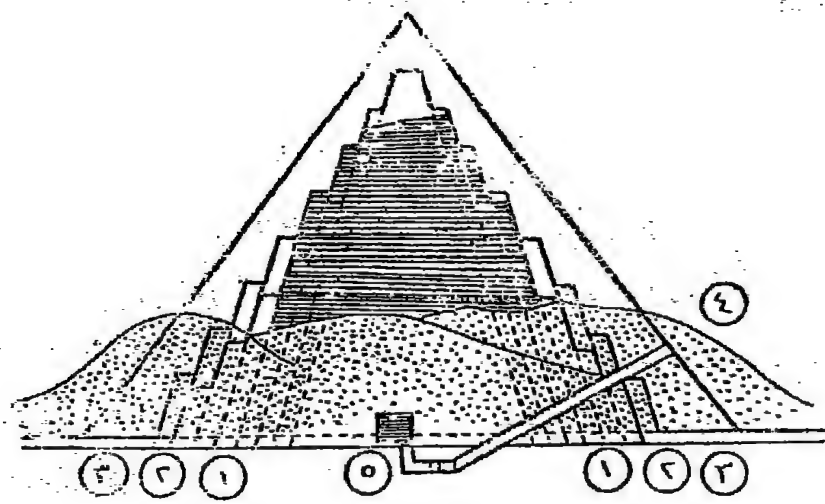
١ - سنفرو (نب ماعت)

كما هو معتاد بالنسبة لأسرات «مانيتون» لا يوجد دليل عن سبب الانتقال من الأسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة ، مما يرجح أن سنفرو كان ابن «لحوني» آخر ملوك الأسرة الثالثة ولكن كإبن من زوجة ثانوية هي «مرسى عنخ» ، ويبدو أن «حو» قد دعم شرعيته في إعتلاء العرش بالزواج من اخته غير الشقيقة الوريثة «حتب حرس» وكانت تحمل لقب «ابنة الإله» ، وأصبح ملكا عن طريقها بعد وفاة أبيها .

أكمل سنفرو هرم أبيه في ميدوم (بالقرب من مركز الوسطى محافظة بنى سويف) ، ثم قام ببناء هرمين له في دهشور (حوالى ٤ أميال من سقارة ، أحدهما يسمى «بالهرم المنحنى» أو «الهرم المنبعج» وهو غريب فى تصميمه ، ويعتقد «سير ويلكنسون Sir, G., Wilkinson» أن هذا الهرم قد انتهى منه على عجل وأن الارتفاع قد خفض عن الارتفاع الذى كان مقدر له ، وقد أيده فى ذلك عدد من العلماء الذين لاحظوا أن الحجارة فى الجزء الأعلى اقيمت بدقة أقل عن الجزء الموجود فى القاعدة^(١) ، وهو ما يراه أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح حيث بدأ هرمه بزاوية ميل مقدارها ٤١,٥ درجة ولكن مهندسيه بعد أن وصلوا بهذا الميل إلى ما يزيد عن تسعة وأربعين متراً أدركوا أنهم لو واصلوا البناء على أساسه سوف يرتفع الهرم إلى أكثر مما قدره له أو أكثر مما تحتمل قاعدته ولاحظوا أن بعض الجدران الداخلية بدأت تتشقق بالفعل فغيروا زاوية الميل إلى ٢١,٤٣ درجة وأكملوا هرمهم الذى بلغ ارتفاعه نحو ١٥,١٠١ متر (٢) ، فظهر منكسر الأضلاع (شكل ١٢) ، ولذلك لجأ مهندسى «سنفرو» بتشديد هرم آخر له شمالى الهرم السابق بنحو كيلو مترين تقريبا ، استفادوا فيه من

(١) Edwards, I.E.S., The Pyramids of Egypt , London, 1954, P. 68 .

(٢) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .



شکل ۱۲: (هرم ميدوم) قطاع في اتجاه الناحية الغربية

أخطائهم فى الهرم السابق من حيث زلوية الميل والارتفاع الذى بلغ حوالى ٩٩ متراً (حوالى ٣٠٥ قدم) فجاء فى الشكل كأول هرم حقيقى فى مصر والذى قلده الملوك الآخريين فى الأسرة ، وخاصة من ناحية الملحقات التى تكونت من معبد الوادى ، والطريق الصاعد ، المعبد الجنزى .

والمعروف أن الملك « سنفره » لم يكن هو فقط الملك الوحيد الذى شيد أكثر من مقبرة لنفسه ، فقد سبقه عدد من الملوك منهم « عحا » الأسرة الأولى شيد لنفسه مقبرة فى سقارة وأخرى فى إبيدوس ، وزوسر شيد هرمه المدرج ومصطبة أخرى فى سقارة ، واحتمال تشييده مقبرة أخرى فى « بيت خلاف » (جنوبى جرجا) .

مغزى الشكل الهرمى :

اختلفت آراء عدد من الباحثين عن مغزى الشكل الهرمى ، فبينما يرجعه البعض إلى تطور معمارى بدأ بالمصطبة ، ثم المصطبة المركبة فى البناء المدرج كالذى يطلق عليه الهرم المدرج فى سقارة ، ثم هرم « سنفره » فى دهشور ، ثم هرم خوفو فى الجيزة ، فهناك آراء أخرى تفسر المغزى للشكل الهرمى منها :

الشكل السياسى والاجتماعى حيث أن صاحب هذه المقبرة وهو الملك يأتى على قمة المجتمع المصرى القديم وهو النقطة المركزية التى يدور حولها المجتمع سواء فى الحياة الدنيا أو فى العالم الآخر .

وهناك من يفسره على أساس مادى بحث بأنه الكومة التى اعتاد أهل الأزمنة القديمة فى عصور ما قبل التاريخ إقامتها فوق قبور موتاهم وأخذت نوعاً من القدسية والاحترام على مر العصور حتى اهتدى الإنسان إلى الشكل الهرمى .

وهناك تفسير دينى - وهو ما نميل إليه - على اعتبار أن الشكل الهرمى يمكن تفسيره بفحص شكل المسلة وهى رمز مقدس لإله الشمس وخاصة القمة

الهرمية التي تعلوها وقد أطلق عليه المصريون لفظ « بنين » الذى نترجمه هريم، وعلى هذا الأثر الشمسى ظهر إله الشمس فى البداية (تبعاً للفكر الدينى) لذا كان الشكل الهرمى الذى اتخذه قبر الملك مغزى على أعظم جانب من القداسة، حيث يدفن الملك تحت رمز إله الشمس، وحماية هذا الرمز مرتبط بالحياة الدنيا والحياة فى العالم الآخر^(١)، وهو ما يفسر ظهور هذا الشكل الهرمى مع بداية عصر الدولة القديمة وتناسى قوة كهنة الشمس فى الأسرة الرابعة وما تلاها من أسرات، وحرص كل ملك فى تلك الفترة فى تشييد هذا الهرم، الذى كان يهيا لاستقبال جسمائه ويضمن صيانتته بعد الموت، وقد أصبح أهم هدف أمام الدولة وتنظيمها أن يتحقق بهذا بقاء الملك فى الآخرة، وفى حالة عجز بعض الملوك عن اتمام المجموعة الجنزية يقع عبء ذلك على من يخلفهم فى الحكم، تمشياً مع هذا الفكر وتلك العقيدة .

ويفضل حجر بالرمو استطعنا أن نعرف بعض تفاصيل عن عهد سنفرى الذى امتد لمدة أربعة وعشرين عاماً، والذى تميز بنشاط كبير سواء فى الداخل أو فى الخارج حيث قاد جيوشه إلى بلاد النوبة وعاد منتصراً ومعه غنائم كثيرة منها ٧٠٠٠ أسير، ٢٠٠ ألف رأس من الماشية .

كما نعلم أنه أرسل حملة إلى ليبيا عاد منها منتصراً ومعه ١١٠٠٠ أسير، ١٣١٠٠ من الماشية الصغيرة والكبيرة، كما تسجل لنا نقوش وادى مغارة إلى قيامه بإرسال عدة حملات إلى سيناء وانتصاره على بدو الصحراء، كما يسجل له حجر بالرمو تشييد عدد كبير من المعابد والأبنية فى كل مكان من مصر، ومنها معبد الالهة «حتحور» فى سراية الخادم فى شمال سيناء، الأمر الذى خلد اسمه فى هذه المنطقة على مر العصور .

(١) جيمس هـ. برمتد، تطور الفكر والدين فى مصر القديمة، ترجمة زكى سوس، القاهرة، ١٩٦١، ص ١١٤ - ١١٦ .

كما أرسل بعثات تجارية إلى الساحل السوري ومنها بعثة مكونة من أربعين سفينة عادت محملة بالأخشاب وخاصة خشب الأرز والصنوبر اللازمة لصنع السفن وأبواب القصور^(١)، وقد اهتم بصناعة السفن حيث تشير المصادر إلى تعليماته بإنشاء ٦٠ سفينة تنفيذا لتعليماته^(٢) .

وقد حفظت نصوص عهد سنfro والفترات اللاحقة ذكرى طيبة عن سنfro وعهده وهي تشير لمليكيها بحبه لرعيته وتواضعه عند مخاطبة أهل العلم والعلماء حيث كان يخاطبهم بتعبير «أخي» كما ذكرته النصوص بعد وفاته بالملك الخير، واطلقوا اسمه على أسماء أولادهم، كما اعتبروه إله الحامي لسيناء، وظلت بعض الحصون تعرف باسمه حتى عصر الدولة الوسطى .

خوفو :

ابن سنfro والملكة «حتب حرس» خلف والده بدون أى مشاكل كما يشير بذلك حجر بالرمو، لا نعرف كثيرا عن أحداث عهده، وطول مدة حكمه غير مؤكده فهي ثلاثة وعشرون عاما تبعا لبردية تورين، وهو ما نميل إليه، وثلاثة وستون عاما تبعا لمانيتون .

وهرمه أحد عجائب الدنيا السبعة يشغل مساحة نحو ١٣ فداناً وكان يصل إلى ارتفاع ١٤٦ متر تقريبا، وقد فقد منه جزؤه العلوى فأصبح حالياً حوالى ١٣٧ متر تقريبا، ويتضمن حوالى ٢٣٠٠٠٠٠ مليون حجر تتراوح زنته ما بين ٢ ، ٣ طن ويصل بعضها إلى ١٥ طن فى الوزن، هذه الحجارة تكفى لعمل سور حول فرنسا ارتفاعه ١٠ أقدام وبعرض ١ قدم، تواجه جوانب الهرم الأربعة الجهات الأصلية، وقد بنى جزؤه الداخلى من الحجر الموجود فى منطقة الجيزة، بينما الجزء الخارجى فقد تمت كسوته بطبقة ناعمة من الحجر الجيري من

Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 287 - 288 .

(١)

Urk , I., 236 .

(٢)

محاجر طره، ويقع مدخله الوحيد على الجانب الشمالى على ارتفاع حوالى ١٦ متر فوق مستوى سطح الأرض ، أما المدخل الحالى والذى يعرف بمدخل الخليفة المأمون (على بعد ٣٦ مترا ويتصل بالمدخل الأصيلى) .

يتضح من الشكل الهرمى فى شكله النهائى (شكل ١٣) تغيير تصميم البناء أكثر من مرة حيث كانت حجرة الدفن فى البداية على عمق كبير تحت الأرض ثم عدل عن ذلك وبنيت حجرة أخرى تسمى حاليا (حجرة الملكة) يوصل إليها ممر مائل إلى أعلى داخل جسم الهرم، وبعد ذلك مد الممر بشكل دهليز كبير يوصل إلى حجرة الدفن المبنية من الجرانيت وبها تابوت الملك بغير غطاء وخال من أى نقش وبالحائطين الشمالى والجنوبى فتحتان هما فوهتا ثقبين يخترقان البناء إلى السطح الخارجى ويتكون سقف الحجرة المسطح من تسع كتل من الجرانيت وزن حوالى ٤٠٠ طن، فوقها خمس مقصورات منفصلات لأربع منها سقف مسطح ، أما سقف العليا فمائل مدبب ليقفل من خطر التداعى تحت ثقل البناء الذى عليه، وإلى الشرق من الهرم معبد جنازى متصل بممر طويل بمعبد آخر على حدود الصحراء ، وبنيت ثلاثة أهرامات صغيرة للملكات على الجانب الجنوبى لهذا الممر الأخير عند اتصاله بالمعبد الجنازى^(١).

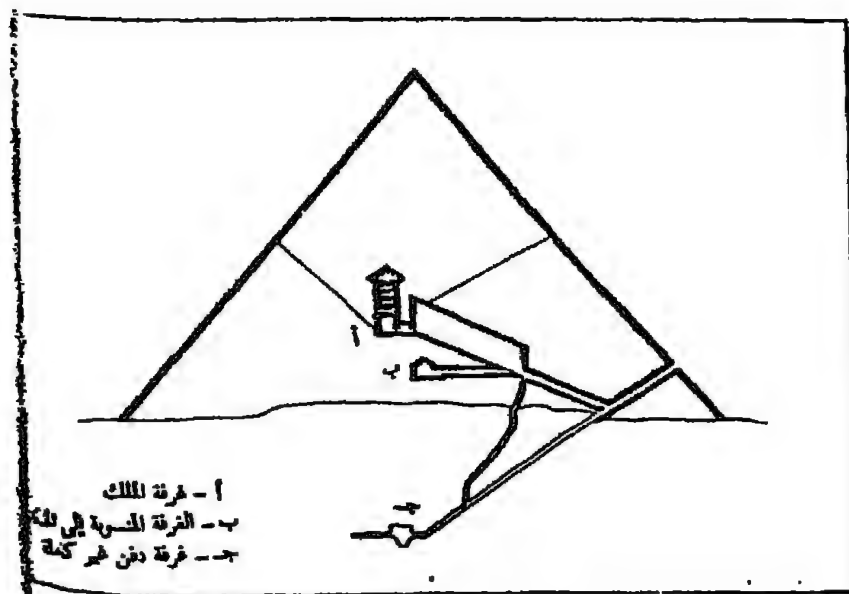
يشير تشييد الهرم الأكبر للملك « خوفو » على معجزة معمارية ليس فقط من ناحية الحجم، وإنما أيضا على دقة البناء وتقدمهم فى معرفة علوم الحساب والهندسة والفلك والإدارة، وكما يرى العلماء فخوفو لم يكتفى بهذا المبنى فقط طوال فترة حكمه وإنما بجانب ذلك بنى معابد فى كل أجزاء مصر مما يشير إلى نظام إدارى على درجة كبيرة ورخاء اقتصادى كبير لمصر فى تلك الفترة .

Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 287 - 289 .

(١)

وكذا :

سيرج سونيرون وآخرون : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ص ٤٣ .



شكل ١٣ : رسم توضيحي لهرم «خوفو»

وعن طريقة بناء الهرم والتي تعد من الأشياء التي لم يذكرها لنا المصريون القدماء فهيرودوت يذكر أنهم قد استخدموا آلات مكونة من عروق قصيرة من الخشب من درجة إلى أخرى بواسطة هذه الآلات ، وطبيعى أن هذا غير معقول لأنه يتطلب كميات كبيرة من الخشب الذى لا يتوفر بمصر بكثرة، والأقرب هو ما ذكره «ديودور الصقلنى» الذى ذكر أن طريقة بناء الهرم هى طريقة الجسور الصاعدة ، وهى نفسها الطريقة التى قال بها العالم الأمريكى «دوس دنهام Dunham, d. بعد أن أجرى العديد من الدراسات ويفترض دنهام أنهم قاموا ببناء أربعة طرق صاعدة بميل إلى أعلى وبزوايا محددة حول كل واجهة من واجهات الهرم ، ثلاثة من تلك الطرق الصاعدة تستخدم فى عمليات جر وسحب الأحجار إلى أعلى ، أما الطريق الرابع فقد كان مخصصا لنزول العمال والزلاجات الفارغة، والأمرا زال فى حاجة إلى المزيد من البحث (١).

٢- جدف رع (رع ددف)

نعرف قليلا عن عهده، اختار منطقة أبو رواش (شمال الجيزة) مكان لهرمه، مكانه فى الأسرة بعد خوفو وقبل خفرع، اسمه منقوش على القوائم الحجرية التى غطيت بها حفرة دفن مركب خوفو والتى عثر عليها عام ١٩٥٤ والمصنوع من خشب الأرز ، هرم جدف رع لم يستكمل ، مما يؤكد أن مدة حكمه لم تكن طويلة، وهذا يؤكد فترة الثمانى سنوات له فى بردية تورين (٢).

٣- خفرع :

الاسم المصرى «رع خع اف» «خفرع» والاسم الحورى «أوسرايب»

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

وكذا :

سيريل الدريد : نفس المرجع السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 284.

(٢)

والاسم اليونانى « خفرن Chephren » ، وذكره مانيتون باسم « سوفيس » ، طال عهده إلى خمسة وعشرين عاما وهى فترة كافية لبناء هرمه بجانبهرم خوفو (خنوم خوفوى فى الجيزة .

أما عن هرمه فهو أصغر من هرم أبيه، ولكنه بنى على مكان أكثر ارتفاعا ولذلك يبدو للعين المجردة أكبر وأضخم من الهرم الأكبر، إذ أن ارتفاعه ١٤٣,٥ متراً، وطول كل ضلع من أضلاع القاعدة المربعة ٢١٥,٥ متراً، أما زاوية ميله فهى ٥٣,١٠ ، وقد ظل مدخله غير معروف حتى أهدى إليه الإيطالى «بلزوني» عام ١٨١٨ ، ولهذا الهرم مدخلان ، وكلاهما فى الناحية الشمالية أحدهما يرتفع ١١ متراً عن سطح الأرض ، أما المدخل الثانى فقد نحت فى الصخر فى مستوى سطح الأرض يبعد قليلا عن قاعدة الهرم ^(١)، مكسو من الخارج بغطاء من الحجرى الجيرى الناعم ، ولازال الجزء العلوى من الكساء باقياضى وقتنا الحالى .

معبد الوادى الخاص بالملك خفرع مبنى بالحجارة الجرانيتية ، ويتمثل فيه روعة التصميم، وعثر بمعبد الوادى على ٢٣ تمثالا للملك، وخاصة تمثال خفرع الشهير من الديورائيت أحد كنوز متحف القاهرة ، ويمثل الملك جالسا وخلف رأسه الصقر ناشراً الحماية عليه بثقة (شكل ١٤) .

وقد ترك « خفرع » أولاداً كثيرين قبورهم منحوتة فى الصخر إلى جنوب وإلى شرق الهرم أو إلى جانب الطريق بين المعبدين المعبد الجنزى والمعبد الموجود بالوادى ^(٢) .

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٢٠٩ .

(٢) على الجانب الشرقى الجنوبى «لأبو الهول» يقف معبد الوادى على شكل حرف T ، اكتشفه «مارييت» سنة ١٨٥٣ واتم الحفر سنة ١٨٦٩ ، وفيه تتم طقوس التطهير ، التحنيط ، فتح الفم خلال عدة أسابيع ، انظر :

Edwards , I.E.S., Op. Cit., P. 109 .

أبو الهول :

فى الطريق بين المعبد الجنزى ومعبد الرادى وجدت صخرة - على الأرجح كانت تعترض الطريق - قام مهندسو خنرع بتشكيلها بشكل جسم أسد ورأس إنسان يعتقد أنه للملك خنرع، والمعروف منذ عصور بعيدة فى العقيدة المصرية القديمة مثل الأسد باعتباره حارسا للاماكن المقدسة، وفى العقيدة الشمسية اعتبر الأسد حارس لأبواب العالم السفلى فى الأفق الشرقى والغربى، وربما يعتقد هنا تبعاً لذلك المذهب الشمسى أن الملك بعد موته سيصبح إله للشمس، وتمثيل خنرع يعنى توفير الحماية لجبانة الجيزة، والتمثال طوله ٤٦ متراً وارتفاعه ٢١ متراً، وهو مشهور مثله مثل الهرم الأكبر، وقد بلغ تقديس هذا الأثر حد العبادة، سواء فى عصر الدولة الحديثة وصفوه بأنه « حور أم خت » أى (حور فى الأفق)، وجاء فى أحد النصوص أن التمثال يمثل « أتوم إله الشمس »^(١).

واطلق عليه عدد من الأجانب الذين عاشوا حوله اسم الههم « حورون » « برحول » أى بيت حول التى حرفت فيما بعد إلى « أبو الهول »^(٢).

بعد اسم « خنرع » هناك فراغ فى « بردية تورين » يسمح بوضع اسم على الأقل بين اسمه واسم « منكاورع » باني الهرم الثالث فى الجيزة ، وفى عام ١٩٤٩ عشر « دى بونو Debono » على نص سجله كاتب من الدولة الوسطى فى وادى الحمامات منقوش على صخرة هناك ويحتوى على أسماء خوفو وجدف رع وخنرع وحور ددف وباو فرع ، ويلاحظ أن النقش قد اغفل اسم « منكاورع » .

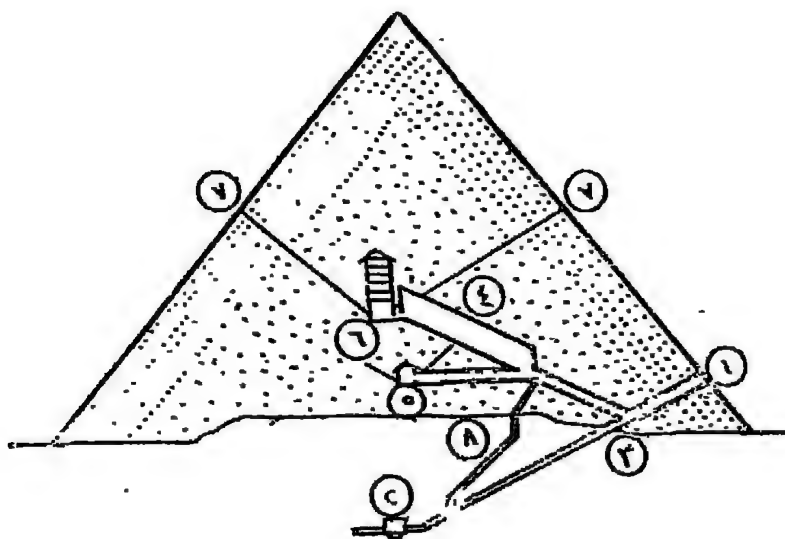
Ibid., P. 107 .

(١)

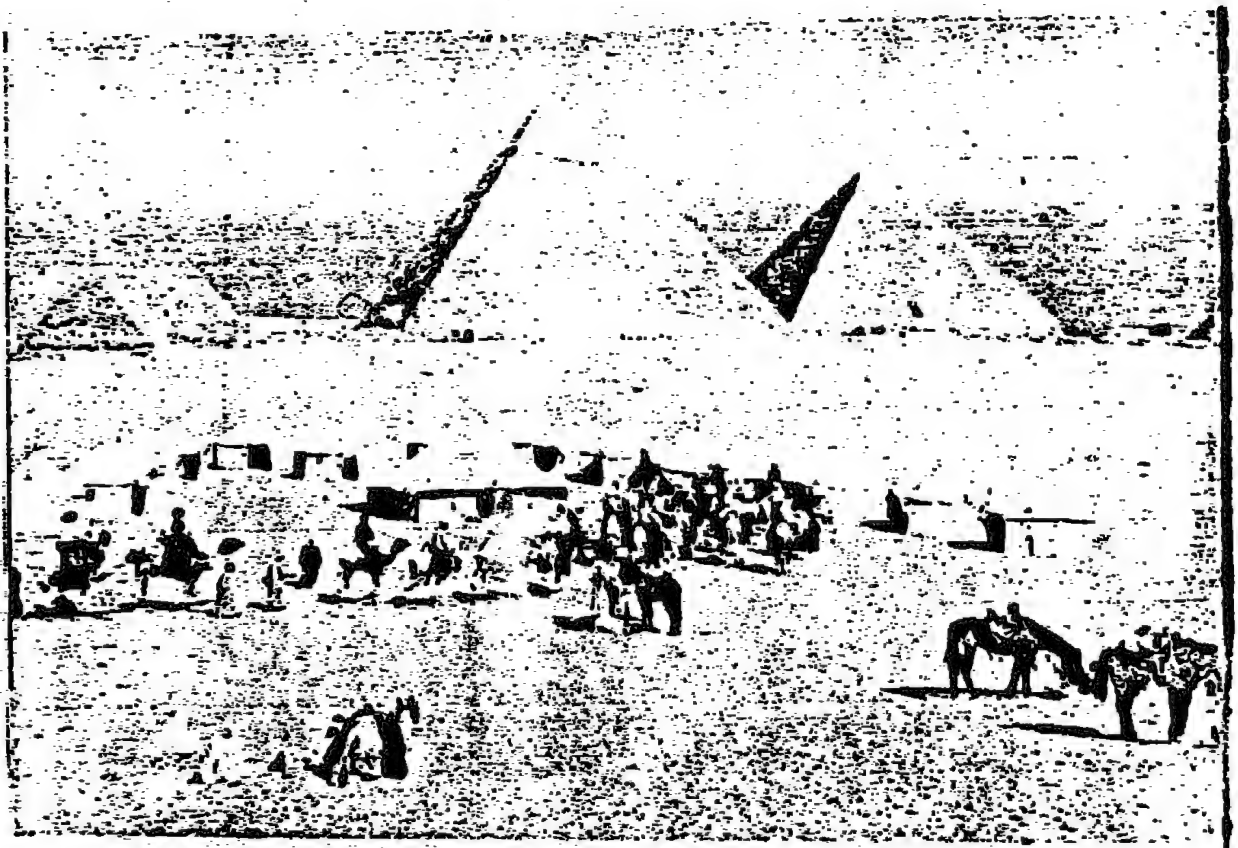
(٢) نجيب ميخائيل : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 291 .

(٣)



(شكل ١٤ أ) الهرم الأكبر . قطاع في اتجاه الناحية الغربية



(شكل ١٨ ب) : أهرامات الجيزة



(شكل ١٤) : الملك خفرع الأسرة الرابعة

منكاورع : (كاخت) :

هو ابن « خقرع » تزوج من أخته « خع مررنبتى » الثانية تبعا للعادة وتقاليد وراثية العرش فى مصر القديمة، مات ابنه « خوان رع » قبل انتهاء حكم والده .

اقام منكاورع هرمه بجانب أهرامات خوفو وخقرع ، وكما كان هرم أبيه أصغر من هرم جده، كان هرمه أصغر من هرم أبيه وهو أصغر الثلاثة ، ولكنه تميز بغطاؤه من الحجر الجرانيتى الأحمر الذى لم يكتمل ، ارتفاع هرمه حوالى ٦٦,٥ مترا (اقل من نصف مساحة الهرم الأكبر) .

وهذا يوضح إلى أى مدى وصلت قلة الإمكانيات فى نهاية الأسرة الرابعة عن إمكانيات أوائل ملوك الأسرة الرابعة ، وبالرغم مما شيدته سنفرو وخوفو وخقرع من أهرامات تمثلت فيها الروعة والفخامة ولكن من المؤكد أنها كانت عبثا فادحا على اقتصاد مصر ، ولم يحاول أحد من الملوك تقليدهم ، لم يعش منكاورع حتى يكمل بناء هرمه فاتمه خلقه شبسكاف من مادة أرخص هى اللبن بعد أن كان قد كسا منه ١٦ طباقا بالجرانيت ، وقد اتم شبسكاف كذلك معبد الوادى الملحق بالهرم .

كما عثر بمعبد الجنزى على عدد من التماثيل الشيست تمثل الملك وحده أو مع الملكة أو مع أحد إلهة الإقليم (١) .

شبسكاف (شبسس خت) :

اختلف العلماء بشأن سلسلة نسبه، وهل هو ابن لمنكاورع من زوجته الرئيسية ، أو من زوجة ثانوية ، ومما ساعد على قيام هذه المشكلة أن قائمة سقارة ذكرت أربعة من الملوك بعد منكاورع ولم تذكر شبسكاف بينهم، وأن بردية تورين لم تذكره .

Ibid., P. 291 .

(١)

على أى حال ليكتسب شيسسكاف شرعية الحكم تزوج من الوريثة، لم يستطع تكملة آثار والده الجنائزية من الحجر واستكملها من اللبن، كما لم يشيد هرما لنفسه، ربما بسبب نقص الإمكانيات، ولهذا السبب جاءت مقبرته جنوب سفارة على شكل تابوت اطلق عليها مصطبة فرعون ، انتهج شيسسكاف سياسة « منكاورع » فى التقرب من رعاياه حيث زوج الأخيرة ابنته من « شيسيتاح » الذى رياه فى قصره، لم يزد حكم شيسسكاف عن سبع سنين^(١)، وانتقل العرش بعده إلى خنت كاوس .

خنت كاوس ونهاية الأسرة الرابعة :

يؤكد الأستاذ « سليم حسن » أن « خنت كاواس » هى ابنة منكاورع وزوجة شيسسكاف ولم مات الأخير ولم يترك خلفا من الذكور فقامت تطالب بالعرش من بعده، ويظهر أنه كان هناك منافسون تغلبت عليهم ، كما يظهر أنها تزوجت من أحد عظماء القوم الذين ليسوا من دم ملكى خالص وأنجبت « أوسر كاف » الذى كان حلقة الاتصال بين الأسرتين الرابعة والخامسة ، ويعتقد « يونكر » أنها تولت مقاليد الحكم وابنها لا يزال صبيا فتولت الوصاية عليه .

وقد كشف عن مقبرتها عام ١٩٣١ وهى من طراز قريب الشبه من طراز « مصطبة فرعون » بالقرب من مقبرة أبيها منكاورع^(٢)، وهناك من يرى أنها كانت قد حملت لقب « أم ملك الصعيد والدلتا » بجانب القابها الأخرى كملكة للوجهين^(٣) . وهناك وجه آخر للنظر يرى فيها زوجة لأوسر كاف وأما لابنته « ساحورع » و « نفر اركارع » .

Ibid., P. 291.

(١)

(٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٢٨ .
وكنا :

Junker, H., Die Grabungen Der Universitat Kairo Auf Pyramiden Feld Von Giza , MDAIK, III, 1932 , PP. 129 - 130 .

ومن العسير أمام الغموض الذى يحيط بنهاية الأسرة الرابعة أن نقدم صورة واضحة عن تلك الفترة التى وضع الاضطراب فيها، ولذلك وضع مانيتون أربعة من الملوك بعد «منكاورع» ، الثالث احتمال كونه «شيسسكاف» ثم تبعه "Thamphthis" الذى لا تشير إليه الآثار، مع العلم بأن الملكة «بوتفر» زوجة «شيسسكاف» ابنها لم يحمل حتى لقب أمير .

كلمة موجزة عن الأسرة الرابعة :

تشير آثار الأسرة الرابعة ووثائقها المكتوبة على تزايد القوة المركزية للدولة أثناء حكم هذه الأسرة ، حيث أصبح الملك هو النقطة التى تدور حولها كل أمور المجتمع المصرى القديم، وقد دلت النصوص الوثائقية والاثرية أن مصر فى هذه الفترة قد وصلت إلى مستوى عال من التنظيم المركزى فى أوائل عهد الأسرة الرابعة خضعت فيها كل شؤون الحياة والإدارة لسيطرة الفرعون المطلقة ، وظهر الدليل على ذلك فى فترة حكم سنقرو وهرمه الذى شيده فى دهبشور ، ولكن محصلة قوة الفرعون وتقدم الفنون فى عصر هذه الأسرة يظهر بوضوح فى هرم خوفو - ثانى ملوك هذه الأسرة - وهذا البناء وهو قمة التقدم فى بناء الأهرام يسيطر على هضبة صحراء الجيزة شمال منف تقريبا على الناحية الغربية للنيل ، وعظمة بناء هذا الهرم وموقعه قد خلدته باعتباره واحدا من أروع ما شيده الإنسان من مباني، ومن دلائل عظمة هذا البناء أن الكثير ممن شاهدوه لم يفتنوا إلى أن مساحة هذا الهرم الأرضية لا تزيد إلا قليلا عن هرم والده الملك سنقرو بدهشور .

وقد أحيط هرم خوفو بمقابر مصطبية لأفراد الأسرة المالكة ولكبار النبلاء فى القصر الملكى ولحكام الأقاليم .

ويستخلص من النقوش التى على جدران المقابر أن الملك كان مركز

الحياة بأسرها فهو الاله الطيب ، وهو المستحق لكل آيات التبجيل والتوفير ،
وتدل الألقاب التى حملها بعض هؤلاء النبلاء على طبيعة هذا التنظيم الدقيق
للإدارة

فعلى سبيل المثال يوجد أثر لأحد أبناء سنقرو ويسمى « خع نفر » يتمثل
فى باب وهمى (معروض بالمتحف البريطانى نموذج ١٣٢٤) مسجلة عليه
القباه التى بلغت ٤٧ لقبا تشمل كل الأنشطة الإدارية والكهنوتية والمدنية
والعسكرية ثم الألقاب الشخصية، وما نود الإشارة هو أن كثرة الوظائف الإدارية
وتعدد مجالاتها تعتبر دليلا كافيا على أن الإدارة فى عهد هذه الأسرة قد بلغت
مستوى عاليا من التنظيم بحيث تحددت اختصاصات الوظائف بشكل ملحوظ .

كذلك يظهر دقة الإدارة فى حسن تنظيم العمال وتوفير العمالة أثناء موسم
الفيضان دون أن تتأثر الزراعة بذلك كذلك ميزة الفيضان بالنسبة لبناء الهرم فهو
يسهل نقل الحجارة من شرق النيل إلى الهضبة التى شيد الهرم عليها، مما يشير
إلى كفاءة التنظيم الإدارى لأكمال مثل هذا الصرح - الخالد^(١) .

الأسرة الخامسة :

انتقال الحكم من الأسرة الرابعة إلى الأسرة الخامسة وراءه كهنة الشمس
ولبيان ذلك تحدثنا بردية ويستكار Papyrus Westcar خاطب خوفو يوما
أبناؤه عن أعمال السحرة الماهرين وطلب من نجله « حور ددف » أن يحضر له
ساخراً ماهراً من بلدة « دد سنقرو » يدعى « ددى » وحينما حضر الساحر ووقف
بحضرة الفرعون قام بأعمال سحرية أخذت بعقول الحاضرين، وعندما أوشك على

(١) ج. هـ. جيمس : كنوز لفرعون ترجمة أحمد رهبر أمين ، مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة ،
١٩٩٥ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

الأنهاء أظهر خوفه للفرعون عن عدم رغبته فى إفشاء سر كبير غير أنه اضطر أمام رغبة الملك أن يفصح عنه ويخبره بتلك الولادة الالهية الأولى من نوعها فى التاريخ المصرى وذلك أن زوجة أحد كهنة رع «اوسر رع» وزوجة (رددت) ستحمل منه وستلد بمساعدة الالهة ثلاثة أطفال سيحكمون مصر الواحد تلو الآخر ، مما أغضب خوفو ولكن الساحر طمأنه بأن العرش سوف ينتقل إلى ابنه وحفيده ثم ينتقل إلى أحد أبناء الاله «رع» الذين ظهرت عليهم علامات الملك وإن المعبودات سمتهم بأسمائهم وهم : «وسر كاف» و«ساحورع» و«نفر اير كارع» (كاكاي)، وعلى الرغم من أن أسلوب القصة يدل على أنها كتبت فى عهد الدولة القديمة إلا أن أول نموذج وصل إلينا كان من عصر الدولة الوسطى (١).

وتشير الاسطورة إلى عدة أمور فيها تأكيد محاولة الاستيلاء على الحكم بغير حق شرعى فى الأسرة الخامسة بمساعدة من كهنة رع، وتنمية الاعتقاد بأن ملوك الأسرة الخامسة على صلة بالاله رع وكهنته فى «أون» وبالتالى فهم من «أون» ، وهناك من يرى أن الأسرة نشأت فى الفنتين كما يرى ملاتيتون ، ولعل ما يعزز هذا الرأى اهتمام أفراد هذه الأسرة بهذه الناحية من مصر، وأن كان هذا الرأى لا يجد قبولا من العلماء .

والمعروف أن أسرة بناء الأهرامات ، الأسرة الرابعة، لم تترك لنا صورة واضحة عن عدد ملوكها أو عن تتابعهم على العرش ، أو مدة فترات حكمهم، لكن ملوك الأسرة الخامسة يمكن ترتيبهم على النحو التالى :

(١) ١. أرماني : ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، مراجعة محمد أنور شكرى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٦٤ .

وكذا .

Vandier, J., La Religion Egyptienne, Paris, 1949 , P. 14 .

قائمة مانيتون	بردية تورين	
٢٨ سنة	٧ سنوات	١- وسر كاف
١٣ سنة	من ١٢ إلى ١٤ سنة	٢- ساحورع
٢٠ سنة	أكثر من ١٠ سنوات	٣- نفر اير كارع (كاكاي)
٧ سنوات	٧ سنوات	٤- شبس كارع
٢٠ سنة	أكثر من عام	٥- نفر اف رع
٤٤ سنة	١١ سنة	٦- ني وسرع
٩ سنوات	٨ سنوات	٧- من كاو حور
٤٤ سنة	٢٨ أو ٣٩ سنة	٨- جد كارع اسيسى
٣٣ سنة	٣٠ سنة	٩- وناس (ونيس)

ويتبين من ذلك اتفاق القوائم والآثار المعاصرة على أسماء ملوك الأسرة الخامسة وهم على التوالي : وسر كاف ، ساحورع ، نفر اير كارع ، شبس كارع ، نفر اف رع ، ني وسرع ، من كاو حور ، جد كارع اسيسى ، وناس .

كما يتضح أن فترة حكم الأسرة مرتفع جداً عند مانيتون بالمقارنة مع بردية تورين ، ومع التواريخ المعروفة من خلال المصادر الأثرية نستطيع أن نقلر مدة حكم الأسرة بحوالى ١٣٠ سنة تقريباً تؤرخ من ٢٤٨٠ - ٢٣٥٠ ق.م. وبمتابعة أسماء الموظفين الذين عاصروا الأسرتين الرابعة والخامسة مثل «بتاح شبس» تشير إلى أنهم استمروا يتقلدون وظائفهم مما يؤكد عدم قيام اضطرابات أو قلاقل فى الأسرة .

أيضاً بمتابعة المصادر والآثار المتاحة لا يوجد انفصلاً بين الأسرتين الرابعة والخامسة ، حقا يبدو « وسر كاف » الملك الأول فى الأسرة الخامسة من سلالة الفرع الأصغر لأسرة خوفو حفيد لـ « ددف رع » ، وأكد حقه فى إعتلاء العرش بالزواج من البيت القديم ابنة منكاورع ، والقصة التى وردت عن عصر

الدولة الوسطى (بردية ويستكار) ترى الملوك فى الأسرة الخامسة ينتسبون إلى رع وخاصة أوائل الملوك الثلاثة فى الأسرة أمهم كانت «رعدت» زوجة كاهن رع فى أون (هليوبوليس)، والقصة مصنوعة ولكنها محبوبة ومشوقة وتشير إلى ظهور الأسرة وأهمية الإله الشمسى «رع» وابنته «حتحور» وأيضاً رجال الدين .

ومع الأسرة الخامسة ومنطق الأمور ازداد الولاء للاله «رع» ومن أجل ذلك حمل كل ملوك الأسرة لقب «ابن رع» وهو لقب لم يستخدم كثيراً فى الأسرة الرابعة وينم عن الاختيار الإلهى للملوك، ولذا قام ملوك الأسرة الخامسة باختيار مكان يقع إلى الجنوب من الجيزة عند أبو صير وأبو غراب (شمال سفارة وجنوبى الجيزة) ببناء معابد للشمس وتشير المصادر الأثرية أن ستة من ملوك الأسرة وهم وسر كاف - ساحورع - ونقرير كارع - ونقراف رع - ونى أوسر رع - ومن كاو حور، قد قاموا بتشييد معابد للشمس لهم ، ولم يبق من هذه المعابد إلا اثنان فقط عشر عليهما : للملك أوسر كاف ، والمعبد الثانى الخاص بالملك نى أوسر رع والمعبد يحتوى على مسلة وعلى قاعدتها المتسعة شرفة بها مذبح من المرمر فى الوسط، وهذا يعنى بدون شك رمز للتلبس البدائى عند خلق العالم بواسطة إله الشمس، والمبنى كله حول الفناء المسور بدون سقف يحجبه عن السماء، وعلى الجانب الجنوبى مركب شيدت لاله الشمس فى رحلته اليومية، وممرزيت حوائطه بمناظر ملونة تمثل فصول السنة، ورسوم حيوانية ونباتية خلقها الاله والد كل الأشياء الموجودة (١).

لقد حرص ملوك وكهنة هذه الأسرة على الاعلاء من شأن رع دون التقليل من الآلهة الأخرى ومعابدها بل أنهم أغدقوا على معابد الآلهة الأخرى الشئ الكثير ، كذلك انتشرت عبادة اوزير بين أفراد الشعب منذ النصف الثانى من

Vercoutter , J., Op. Cit., PP. 294 - 295 .

(١)

الأسرة الخامسة، كما ظهرت في الأسرة ادارات مهمتها رعاية معابد الملوك الراحلين خصصت لها الأراضي المعفاة من الضرائب .

١- وسر كاف : (اير ماعت)

حكمه استمر لمدة سبع سنوات تبعا لبردية تورين بنى معبد للشمس أطلق عليه اسم «نخن رع» فى أبى صير وقلده باقى ملوك الأسرة حتى جد كارع اسيسى، اقام هرمه فى سقارة بالقرب من الهرم المدرج للملك زوسر ، ويذكر حجر بالرمو أنه أقطع اقطاعات للاله رع، كما بدأت الأسر القوية تزداد قوتها فى عهده مثل أسرة «واش بتاح» وغيرها .

٢- ساحورع :

ساحورع خلف وسر كاف من نفس الفرع وتبعاً لبردية تورين فلقد حكم ١٢ سنة، ولكن يبدو أنه حكم لمدة لا تقل عن ١٤ سنة تبعا لحجر بالرمو الذى ذكر أنه شهد التعداد السابع للماشية فى عهده .

كشف «بور خاردت Borchardt» و «هنريش شافير Schaefer» عام ١٨٩٨ - ١٩٠١ عن معبده الشمسى الذى يعتبر نموذجا كاملا للمعابد الشمسية لملوك هذه الأسرة وهو بحالة جيدة بسبب تشييده من الحجارة، يقع على حافة الصحراء فى منطقة أبو غراب (١ ميل تقريبا شمال أبو صير) وقد صمم المعبد على مستويين يرتفع أحدهما عن الآخر يصل بينهما طريق صاعد ، المعبد فى الجزء الأول محاط بسور طوله خوالى ٣٣٠ قدم وعرضه خوالى ٢٥٠ قدم ويلى الطريق الصاعد فناء ينتهى بمسلة اتخذت قمتها هيئة الهرم وهى الرمز المقدس لإله الشمس ويتقدم المسلة من الناحية الشرقية مائدة متسعة من المرمر تقدم عليها القرايين ، ويتضمن المعبد موضعين لنحر الضحايا تجرى الدماء منهما فى مجار مكشوفة إلى الخارج، وجاورت المعبد من الخارج قرب الجدار الجنوبي مركب إله الشمس رع ويعتقد وجود أخرى ، بحيث ترمز

إحداهما إلى مركب النهار «معنجة» والآخر - إلى مركب الليل «مسكته» وهي التي يعبر بها سماء العالم السفلى^(١) (شكل ١٥، ١٦) .

إذا تتبعنا حجر بالرمو فقد بدأ «ساحورع» إقامة الجبائنة الملكية للأسرة الخامسة شمال سقارة ، وقد زينت معابده بمناظر وزخارف بديعة، وعلى حيطان القاعة الكبرى أمام معبده الجنزى تسهيل لبعض حوادث عهده ومنها أنه قام بحملات ضد الليبيين وأخذ زوجة وأبناء الملك الليبي ضمن الأسرى .

ومن بين المناظر على جدران المعبد عودة سفن من سورية عليها بحارة بلحية اسيوية وقد رفعوا أذرعهم إلى الملك طالبين العفو ، ولعل هذا دليل على استمرار سياسة ملوك الأسرة الخامسة نفس سياسة الأسرة السابقة من حيث الاهتمام بالساحل السوري الفلسطيني وذهاب البعثات التجارية إلى هذه المدن الموجودة على الساحل للتبادل التجارى .

أيضا يخبرنا حجر بالرمو أن الملك «ساحورع» قد أرسل حملة إلى الأرض البعيدة فى بونت قريبا من الساحل الصومالى، مما يؤكد سيطرته على النوبة السفلى على الأقل وربما النوبة العليا .

٣- نفر اير كارع (كاكاى)

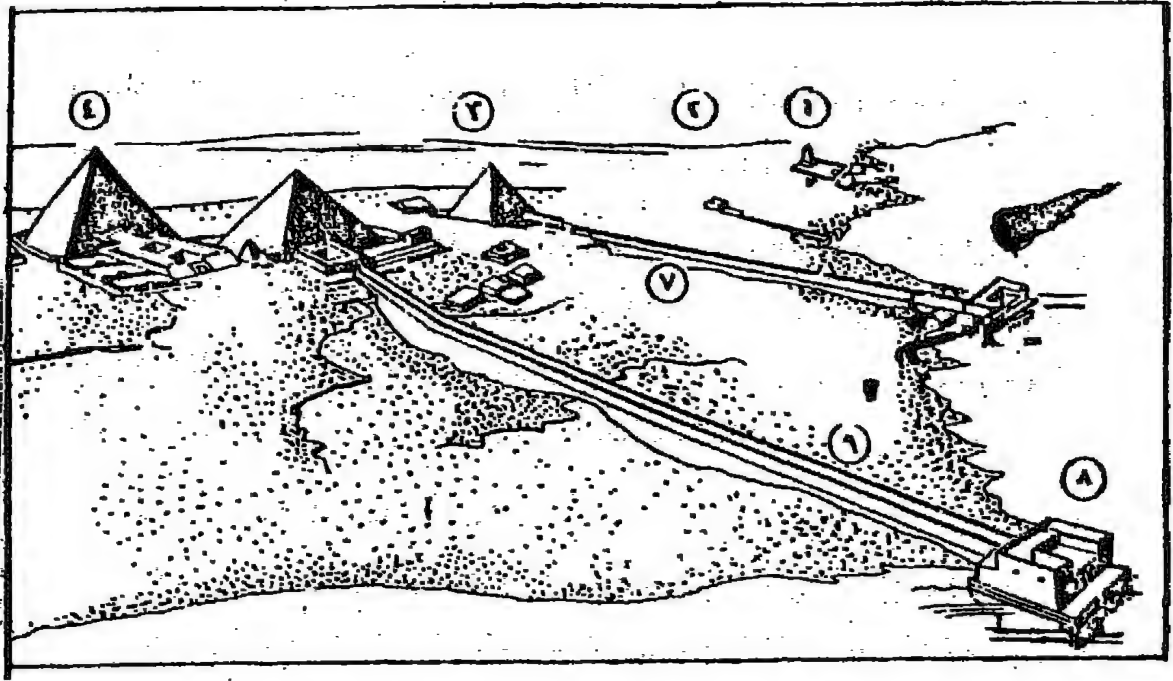
أخو «ساحورع» حكمه استمر على الأقل ١٠ سنوات تبعاً لبردية تورين ، بينما المؤرخ المصرى ماتيتون يرى أن حكمه استمر عشرون عاماً، أقام هرمًا فى منطقة «أبو صير» لكنه لم يستكملها وكذلك معبده الذى لم يسعفه الوقت لاتمامه .

Edwards , I.E.S., Op. Cit., PP. 134 - 136 .

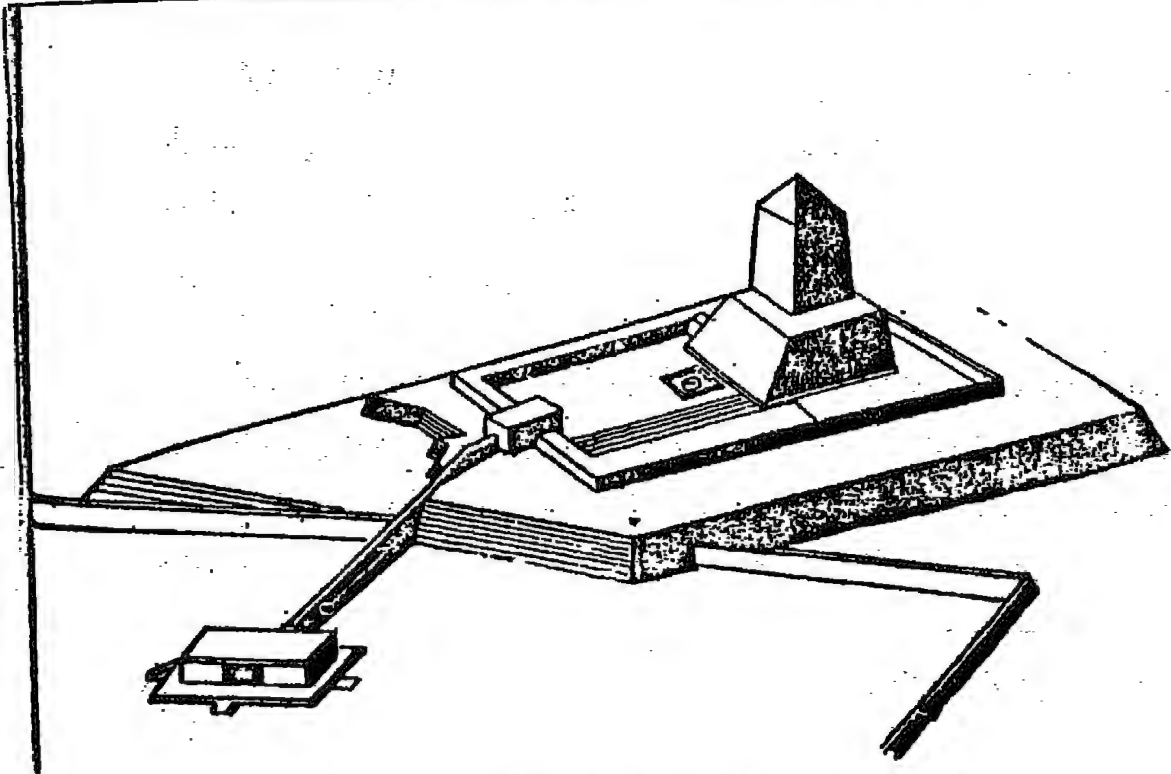
(١)

وكذا :

عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٦٥ .



(شكل ١٥) : اهرام ابو صير - رسم تصويرى لما كانت عليها عند تشييدها



(شكل ١٦) : معبد الشمس الملك تى . اوسر . رع

أصدر مجموعة من المراسيم لحكام الأقاليم للمحافظة على حقوق المعابد وامتيازاتها، والواقع أن هذا المبدأ الخطير كان البداية لتقلص نفوذ الملكية فيما بعد وزيادة هيبة المعابد وكهنتها مما كان سببا في انهيار الدولة القديمة في نهاية المطاف .

خلفه « شيسس كارع » ، « نفر اف رع » الأول حكم ٧ سنوات والثاني ٢٠ سنة تبعا لمانيتون ، ثم خلفهم « نى اوسر رع » وهو معروف لنا لبقايا معبده في « أبى صير » حكم نحو ٣٠ عاما وهو ما تؤكد الآثار ، تميز بالنشاط في السياسة الخارجية أرسل قواته إلى الشمال الشرقي ، كما أرسل البعثات إلى سيناء لأحضار المعادن .

الملك السابع في الأسرة « من كاو حور » لدينا اسمه منقوش في سيناء دليل على إرساله بعثات التعدين إلى منطقة سيناء .

٤- جد كارع اسسى :

أطول فترة حكم في الأسرة حيث ظل على العرش ٣٩ عاما تبعا لهرودية تورين ، بينما يعطيه مانيتون فترة حكم ٤٤ سنة ، آثار حملاته وجدت في منطقة سيناء وفي وادي الحمامات ، وقد عثر على أربعة نقوش من عهده في وادي مغارة وعلى واحد من هذه النقوش اسم مسبقا بلقب « سارع » (ابن الشمس) ، أرسل أكثر من حملة إلى بلاد النوبة ، واحد موظفيه (باوردد) ذهب إلى بلاد بونت وعاد منها بقرم .

كما واصل سياسة اسلافه في الاهتمام بالساحل الفينيقي حيث تم العثور على منتجات مصرية حملت اسم جد كارع اسسى في بيبيلوس (جبيل) على الساحل السوري .

٥- وناس :

وناس (ونيس Wnis) ، اسمه الحورى واج نوى ، بلغت مدة حكمه ثلاثين سنة تبعاً ليردية تورين، وهو أول الملوك الذى حوى هرمه فى سقارة - قريبا من الجهة الجنوبية لهرم زوسر المدرج - حيث حوت حجرة الدفن والقاعة المؤدية إليها بنصوص دينية واسطورية نقشها الفنانون بالكتابة التصويرية الهيروغليفية فخرجت معجزة فى إتقانها ورقة حروفها ، كما تضمنت معلومات عن العقائد الجنزية للمصور القديمة، وعلى أحوال عصور ما قبل التاريخ ، والموضوعات غير مرتبة من الناحية الموضوعية لكنها تعطى كم هائل من المعلومات عن الحضارة والمعتقدات المصرية القديمة .

من بعد وناس نهج ملوك الأسرة السادسة نفس التقليد بكتابة هذه النقوش داخل مقابرهم .

بقية المجموعة الهرمية لـ « وناس » طريق صاعد ومعبد الوادى ، ومعبد الوادى الخاص بهذا الملك به أعمدة على هيئة النخيل من الجرانيت الأحمر ومتصل بطريق صاعد مغطى طوله حوالى ٧٠٠ متراً، حوائطه عالية ومغطى بمناظر الصيد والزراعة، وفى مناظر أخرى مناظر للمصراع مع البدو والاسيويين، ولعل هذا ما يؤكد قيام هذه العناصر بإثارة الاضطرابات على حدود مصر الشرقية، ويدعم تلك الصور التى وردت عن اقتحام أحد القلاع الآسيوية المصورة فى إقليم دشاشة .

عثر للملك « ونيس » (وناس) على آثار فى جزيرة الفنتين ويبدو أنه قد زار الحدود الجنوبية واستقبل رؤساء النوبة هناك مما يشير على اهتمام مصر بهذه البلاد، وفى نقوشه صدر السفن محملة بعواميد من الجرانيت اللازمة لمعبده والحاصل عليها من محاجر الجرانيت باسوان .

الملكة الرئيسية للملك هي الملكة « نيت » وبجانب هرم وباس حدد عدد من الأميرات قد تم دفنهن، ولما لم يكن للملك أى وريث انتهت الأسرة الخامسة^(١).

وتشير مقابر الأفراد فى الأسرة الخامسة مثل مقبرة بتاح حوتب وغيره أن الفنانون فى عصر الدولة القديمة وحتى الأسرة الخامسة كانوا مبدعين فى تخيلاتهم وهذا ما وضع فى مقابر الأفراد عن هذه الفترة التى تميزت بالفخامة لكنها تشير فى نفس الوقت على ملامح تبدو فى الأفق على ضعف القوة الملكية.

كلمة موجزة عن البناء السياسى والإدارى فى عصر الدولة القديمة :

فى خلال عصر الدولة القديمة أصبحت مصر من أعظم الحضارات القديمة ، ثم هى بحكم موقعها واحدة من أعظم القوى إن لم يكن أعظمها على الإطلاق ، لذا كان من المفيد إلقاء الضوء على نظامها السياسى والإدارى فى تلك الفترة، وقد ارتبطت رفاهية مصر وثرواتها القديمة بالنجاح فى شؤون الزراعة والرى وفى وجود إدارة ناجحة تتوافق مع تكامل عناصر البيئة الجغرافية فى مصر وأهمها نهر النيل الذى لم يكن واهب التربة والماء والحياة للإنسان فحسب وإنما كان ممهد لقيام وحدة راسخة على اسس إدارية ناجحة ومتغيرة نحو الأحسن دائماً، وفى فترة بداية الأسرات كان « العج مر » المسؤول عن شق القنوات أو القوائم على حفر الترع ، وهو رأس الإدارة فى كل مقاطعة أو إقليم، ويخضع مباشرة تحت إشراف السلطة الملكية حيث أن الإشراف على شؤون الزراعة والرى ليست من واجبات حكام الإقاليم وحدهم وإنما هى مسئولية الملك فى المقام الأول والتى حرصت كل الأدلة الأثرية أن توضح اهتمامه بمشروعات الرى

(١) Beckerath, J.V., Unas , LÄ VI, Wiesbaden, 1985 , Sp. 845 - 7 .

وكذا :

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 296 .

وشق الترع والقنوات ، وحاكم الاقليم إنما هو ممثل للملك فى هذا الامر واضيفت له مهام جديدة إلى جانب هذه المهمة الرئيسية عبرت عنها القابه الجديدة مثل سيد القلعة ، مدير الاراضى ، مقيم العدل ، مما يشير إلى مسئوليته عن الامن والقوة العسكرية وتحصيل الضرائب العينية وإحصاء السكان وتنفيذ تعليمات الملك والعاصمة فى مشروعات الري والزراعة وباختصار فهو حاكم الاقليم .

والالقاب العديدة سواء الألقاب الحقيقية أو الألقاب الشرفية التى ظهرت منذ العصر العتيق : الرفيق الوحيد (السمير الوحيد) ، المشرف على هيراقنوبوليس ، الاول لدى الملك ، سيد اسرار الملك فى كل مكان ، وهى القاب لا نعرف منها طبيعة مهام القائمين بها ، وإنما كانت لإرضاء أصحابها وتقديرا لمكانتهم وقربهم من شخص الملك .

وهناك القاب أخرى تشير إلى القيام بنوع من الخدمة الشخصية للملك مثل : المشرف على ثياب الملك ، المشرف على التيجان الملكية ، المسؤول عن الشعر المستعار ، المسؤول عن موظفى القصر ، رئيس الفنانين (صناع الحلى والآثاث) ، المشرف على الأعمال المتعلقة بالقصر ...

وهذه الألقاب والقائمين بها مرتبطين ارتباطا وثيقا بالملك ، الشخصية الاولى والرئيسية التى حملت العديد من الألقاب - التى سبق الإشارة إليها - والصفات التى تؤكد كون الملك ينتمى إلى عالم الالهة الذى تفضل وأقام بينهم على الأرض ، وهو «ابن إله الشمس رع» ، وهو الإله الطيب ، عليه يعتمد الكون ، وهو يحيط اسمه بالشكل البيضاوى . المعروف «بالخرطوش» الذى يحيط باسم الملك والذى ظهر مع بداية الأسرة الرابعة فى عصر الدولة القديمة ، وربما رمز لإحاطة الشمس بالأرض (١) .

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 299 .

(١)

والملك يحكم بمقتضى حقه الالهى، فمصر حكمتها الالهة منذ قديم
الازمنة، وهو حور وريث «أوزير» بمقتضى الحق الطبيعى والقانونى، وهو الاله
الطيب إثناء حياته مبصر الخير وواهب الحياة ومالك الكون فى حياته، وهو الإله
العظيم بعد موته، وهو الذى يسيطر على كل شئ فى المجتمع فهو الادارة
والقوة المسلحة، العدالة بما تعنيه من حق ونظام وادارك، والعقيدة، وهو لا
يستطيع تأدية كل شئ من الناحية الواقعية ولذا كان فى حاجة إلى مساعدين فى
العصر العتيق حيث يرى البعض فى شخص الرجل الموجود خلف نعرمر (بحجم
صغير) وكلمة (ثت) إشارة إلى لقب الوزير، الشخصية الموجودة فى الأسرة
الثالثة «ايمحوتب» الذى كانت له سلطات واعباء الوزير لكن اللقب (ثاتى
«ثات») لم يظهر إلا مع بداية الأسرة الرابعة، حيث ارتبط هذا اللقب بالأسرة
الملكية وحمله «نفرماعت» أول وزير معروف ويبدو أنه كان من أبناء «حونى»
وأخر غير شقيق للملك «سنقرو»، وظلت هذه الوظيفة محصورة فى أبناء
الملوك من الزوجات الثانويات ربما ارضاء لهن عن منصب «ولى العهد» حتى
عصر الأسرة الخامسة عندما تولى منصب الوزارة أفراد من خارج الأسرة الملكية.

ومنى خلال الوظائف العديدة والواجبات فى إدارة العدالة أصبح هورئيس
العدالة ورئيس المجالس الستة الكبرى، ومن الأسرة الخامسة أصبح كاهن ماعت
الهة الحق والعدل والنظام، وفى الحقيقة هو رئيس لأشياء عديدة منها الادارة
والبلاط الملكى، الخزانة، الصناعة، العاصمة، الأعمال العامة والزراعة، الأعمال
والخدمات فى القصر، رئيس البعثات، رئيس القضاة، وهو كاهن للإله تحوت
رب الحكمة، والإله «سشات» ربة الكتابة.

ولعل من أهم الأمثلة على نجاح الإدارة المصرية القديمة ما يختص «بإدارة
الخزانة» أو «بيت المال» وتأتى على رأس الإدارات المهمة ^(١)، فى البداية

(١) التنظيم الإدارى اشتمل على عدة ادارات منها : الإدارة الملكية المركزية - مصلحة الحقول -
ادارة المالية (الخزانة) - إدارة المبانى والاشغال .

كانت مزدوجة « بيت مال الجنوب » للصعيد وبيت مال الشمال للوجه البحرى، ولكنها تبعا للتطور فى عصر الدولة القديمة توحدت تحت اسم « البيت الأبيض » (بيت المال الأبيض) « برحج » ولها فروع فى البلاد تسمى البيت الأبيض ويتبعها الأبيض المزدوج فى العاصمة قسمين هما : بيت الذهب ، بيت الشونة (المزدوجة) وإلى هذه الإدارة جاءت المحاصيل من مختلف الأقاليم وتم تخزينها فى المخازن المزدوجة بالعاصمة تحت إشراف عدد من المشرفين والكتبة والعمال ، وهذه الإدارة تولت جمع المحاصيل والضرائب العينية وتوزيعها بكل دقة باسم الملك الذى تقع على عاتقه مسؤولية عدالة التوزيع سواء فى صورة مرتبات لموظفى الدولة وعمالها أو فى صورة هبات عينية لأن الجميع ياكلون من هبات الملك، وهذا يشير إلى الدقة المركزية فى مصادر الثروة التى يتحكم فيها الملك بنظام وعدالة، والخزانة دائما مستعدة وقادرة على الوفاء بالاجور لكل العاملين فى أى مكان فى مصر، ولا بد أن الخزانة المركزية فى العاصمة تأخذ من هذه المدخرات الشئ اللازم للقصر وموظفيه واحتياجات العاصمة، والباقي يدخر للأقاليم التى ترسل بياناتها للإدارة المركزية، والوزير مسؤول بمراقبة ذلك .

والمجتمع المصرى لم يكن مغلقا ولم يكن مستحيلا على ابن الفلاح أن يصبح كاتباً ووزيراً تبعا للكفاءة ، وكل شئ كان مطروحا وواضحا أمام الملك، وعلى الوزير أن يقابل الملك يوميا ليطلع عليه على كل أمور الدولة ويحظى منه بالموافقة على جميع القرارات .

والجيش يقوده الملك ولم يكن جيشا نظاميا فى أيام الدولة القديمة، وعند الحاجة تقوم الأقاليم المختلفة بتجهيز الفرق وأرسالهم للعاصمة والملك يعين قادة الجيوش والبعثات ويخلع عليهم الألقاب التى تضاف إلى القابهم المدنية (١).

Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 298 - 300 .

(١)

الأسرة السادسة ونهاية عصر الدولة القديمة :

خلف ملوك الأسرة السادسة أسلافهم ملوك الأسرة الخامسة على العرش المصري القديم، بردية تورين حينما وصلت لحكم «ونيس» (وناس) آخر ملوك الأسرة الخامسة أخذت في إحصاء مدد الحكم من «منى» إلى «ونيس» كعلامة لنهاية مرحلة ، ولانعرف الأسباب التي أدت لنهاية حكم «ونيس» وبدء الأسرة السادسة ، وذكر مانيتون احتمالية كون هذه الأسرة من «منف» بسبب اهتمام الملوك الأوائل فيها نحو الاعلاء من شأن بتاح اله منف وتقريب كهنته والانصراف عن كهنة الشمس .

وبرغم اختلاف العلماء في تحديد بداية ونهاية فترة حكم الأسرة السادسة، فهناك ستة من الملوك وربما سبعة في الأسرة، اختلفت مدة حكم كل منهم ، لكنهم استمروا جميعا حوالى قرن ونصف من الزمان ، من حوالى ٢٤٢٠ إلى ٢٢٦٠ ق.م. ، واستمرت فترة حكم الملك «ببى الثانى» وحدة فترة تقترب من ثلثي الفترة كلها المخصصة للأسرة، وملوك الأسرة يمكن ترتيبهم كالتالى :

١- تتى (سحتب تاوى)

٢- وسر كارع

٣- ببى الاول .

٤- مرن رع الاول .

٥- ببى الثانى

٦- مرن رع الثانى

٧- الملكة نيتو كريس

الملك تتى :

اول ملوك الأسرة السادسة واسمه الحورى «سحتب تاوى» ومعناه «مرضى

الوجهين» ، وجدا سمه على بعض اجزاء اناء عثر عليه فى بيبيلوس ، وفى سقارة ، وعلى قطعة من الباستر فى أبو غراب محفوظة الآن فى برلين ، وفى المرسوم الملكى الذى أصدره الملك تتى فى معبد أبيدوس خاص بعدد من الاعفاءات للمعبد مما سيؤثر على قوة الملكية فى نهاية الأسرة، وعلى بقايا حجارة من معبد منف محفوظة الآن بالمتحف المصرى (١).

فترة حكمه بالتقريب حوالى ١٢ عاما تبعاً لمانيتون ، أما فترة حكمه فى بردية تورين فمفقودة، ويذكر مانيتون أنه قتل بواسطة حراسة، ومن المعتقد كما يرى كثير من العلماء أن الملكة «أيبوت» الذى عثر فى هرمها فى سقارة على القاب لها من بينها «الأم الملكية» وكذلك لقب «ابنة ملك مصر العليا والسفلى» مما يستدل منه أنها كانت ابنة ل أحد ملوك الأسرة الخامسة ويرجح أنه الملك «ونيس» وكذلك حملها لقب «زوجة الملك» الذى يرجح أنه الملك «تتى» وبالتالى فهى يمكن أن تكون حلقة وصل بين الأسرتين الخامسة والسادسة .

وقد بنى تتى هرمه بالقرب من هرم وناس ، وأقام بالقرب منه هرمين الأول لزوجته الرئيسية «أيبوت» والثانى للملكة «خويت» والأولى هى أم بيبى الأول، وللملك زوجة ثالثة هى «سششت» ظهرت لها صورة على قطعة صغيرة من الحجر فى أجزاء من معبد تتى الجنزى .

معلوماتنا عن السياسة الداخلية والخارجية للملك تتى قليلة ويبدو أنه تابع سياسة اسلافه فى الاهتمام بتنشيط التبادل التجارى مع المدن الفينيقية بدليل العثور على اسمه فى بيبيلوس كما سبق القول، وحافظ على حدوده الجنوبية .

أما خليفة تتى الملك «أوسر كارع» فمعلوماتنا عنه من القوائم الملكية قليلة، حيث لم يدرج فى قائمة سقارة، ومانيتون اعتبره مقتصبا للعرش، ووجود

Petrie , F., Abydos II , 1903 , P. 148 .

(١)

اسم رع فى ثنايا اسمه قد يشير إلى صدام محتمل بين كهنة الشمس وكهنة الآلهة بتاح فى منف وربما سقطت نتيجة هذا الصراع .

وربما كان لاوسر كارع دوراً فى مساعدة الملكة «ايبوت» فى القيام بدور الوصاية فى بداية عهد «ببى الأول» الذى كان صغيراً عند وفاة تتي مؤسستى الأسرة .

الملك ببى الأول :

حكم على الأقل ٤٠ سنة وربما ٤٩ سنة ولعل الخلاف مرجعه أن ولايته للعرش شرعية منذ وفاة أبيه أو مقتله وبذلك أضيفت إلى مدة حكمه مدة حكم «أوسر كارع» الذى اعتبره المؤرخون ملكاً غير شرعى، أقام «ببى مري رع» (ببى الأول) هرمه بالجنوب من هرم اوزيرى (اسيسى) وأطلق عليه «من نقر» (١) وهو الذى اشتق منه اسم منف (ممفيس) الحالى (٢) .

تزوج من زوجتين كانتا ابنتين للأمير «خوى» وزوجه «نبت» من أمراء أبيدوس ، والزوجة الأولى هى «مري رع عنخس» وربما ولدت فى عهده حيث حمل جزء من اسمها اسم زوجها ، وأنجب منها ولى عهده مرن رع الأول والابن الثانى ببى الثانى، وهناك من يرى أن الملك قد تزوج من أختها التوأم لوفاة الأولى بعد الوضع مباشرة، وأن الثانية أنجبت له «ببى الثانى» (٣)، وهذا الزواج دليل على تنامي نفوذ حكام الأقاليم ومدى ضعف ملوك الأسرة السادسة الذين اقتربوا من رعاياهم وتزوجوا منهم برغم ما هو معروف عن نظام وراثة العرش الفرعونى

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 321 .

(١)

(٢) تقع مدينة «منف» مكان قرية «ميت رهينة» الحالية بمركز البدرشين ، وقد سميت «من نقر» وأطلق عليها الاغريق ممفيس ، وحرقها العرب إلى منف .

(٣) نجيب ميخائيل : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

من قواعد صارمة، ولذلك فليس من المستغرب أن يحصل «زعو Zau» أخو الملكة وخال الملك القادم فى الأسرة الكثير من الألقاب والامتيازات نتيجة ذلك الزواج .

ومن الشخصيات الهامة التى عاشت فى عصره «ونى» الذى نعرف من سيرة حياته ، أن الملك كان متزوجا أيضا من الملكة «ايمتس» وهى التى اشترك «ونى» فى اجراءات محاكمتها، وهى التى ستأتى بالحديث عنها حين نتحدث عن سيرة حياة موظفى القصر الملكى .

خلف مرن رع (الأول) والده بى فى الحكم ويبدو أنه كان مشاركا لوالده فى الحكم كملك حيث صدرت بعض الأوامر الملكية باسم بى الأول ومرن رع، والإخير حكم لمدة خمس سنوات فقط وعند وفاته خلفه أخيه (غير الشقيق) بى الثانى .

بى الثانى : (نفر كارع) :

ذكر مانيتون أنه ارتقى العرش فى سن السادسة وعاش حتى بلغ المائة، أى أنه حكم حوالى ٩٤ سنة، الوثائق المعاصرة تشير إلى عام حكمه الخامس والسنين، احتفل مرتين بعيد الحب سد، كان لنفوذ خاله الأمير «زعو» الأثر الكبير فى تثبيت ولايته على العرش وخاصة فى بداية عهده ، ويبدو أن الملكة الوالدة (مرى عنخس) كانت تقوم بالوصاية فى أوائل سنى حكم ابنها كما تشير بذلك الشواهد الأثرية التى صورت واسمه فقط بجانب القابها كما هو موجود فى لوحة وادى مغارة بمجاجر سيناء .

كما اصدر بى الثانى عدة مراسيم ملكية ، والكثير من الامتيازات الممنوحة للمعابد شملت معابد الاله مين بقط ، ومعابد ابيدوس ، ومنف ، مما يتم على البذخ الملكى وتناقص ثروات الملك نتيجة هذه الاعفاءات الملكية وتزايد نفوذ الكهنة وحكام الاقاليم، الأمر الذى أضعف الملكية وافقدها مصادر ثرواتها فى النهاية .

مرن ان رع (عنتى ام سا اف) :

كان حكم بى الثانى الطويل كارثة على مصر، وإذا كان هذا الملك مرن ان رع ابنا له فالأغلب انه كان فى الثمانين من عمره وتولى الحكم تبعا لبردية تورين لمدة عام واحد ، والفترة بعد وفاة بى الثانى مليئة بالغموض ويرى مانيتون أنه الملكة « نيتوكريس » جاءت فى نهاية الأسرة السادسة ولا توجد وثيقة معاصرة تؤكد وجودها ، وحسب وصف مانيتون لها بأنها كانت أجمل امرأة وأتبل نساء عهدها ، وذكر هيرودوت قصة انتحارها بعد مقتل أخيها مرن رع الثانى فانتقمتم لمقتله وأقدمت على الانتحار .

الفصل الخامس
عصر الثورة الاجتماعية الأولى
(عصر الفترة المتوسطة الأولى)

الفصل الخامس

عصر الثورة الاجتماعية الأولى

(عصر الفترة المتوسطة الأولى)

تعد تلك الفترة التي مرت بها مصر القديمة والتي اصطلاح على تسميتها بعصر الفترة الأولى أو بعصر الثورة الاجتماعية الأولى وغيرها من المسميات من أهم فترات تاريخها لما ساد فيها من روح جديدة لم يعرفها الإنسان المصري القديم من قبل والتي نتجت عن إنقلاب الأوضاع السياسية والاقتصادية للمجتمع وبالتالي تصدع بناء الدولة على أثر الثورة الاجتماعية والتي تناولتها «بردية ليدن Leiden»^(١) ، وغيرها من الوثائق المعبرة عن الحيرة والياس اللذين انتابا الإنسان المصري القديم عندما رأى أن مجتمعة بما يحويه من آلهة يكن لها كل الخشوع والتقدير وحياء مستقرة ثابتة كالأهرام فى خلودها ، كل هذا قد انقلب وتداعى ودبت فيه مظاهر الضعف والانحلال .

وتناولت الأعمال الأدبية التى خلقتها تلك الفترة كل مشاعر الدهشة والألم الذى أصاب مصر فى تلك الفترة فكان ذلك التساؤل إلى النفس ومحاسبتها وهو هذا الإزدواج فى الفكر الذى وضح تماما فى حوار ذلك الرجل الذى دفعه الألم والبؤس والفقر فى حياته إلى محاولة الإنتحار^(٢) .

وإتجهت نصوص تلك الفترة إلى إقتراح حلول مختلفة للقضاء على ما يتهدد حياتهم من فوضى شاملة والرغبة فى وضع قيم جديدة قد يكون فى بعضها تخلص من تلك القيم القديمة المنهارة والاعتماد على أسس إنسانية

Hayes, W., C., Op. Cit., P. 135.

(١)

Wilson , J., Op. Cit., PP. 206 - 207

(٢)

جديدة وقيام حاكم عادل إفتقدته البلاد مما يحىي الأمل فى إعادة الأمان والإستقرار والخير أو بمعنى آخر توفير العدل الإجتماعى لهذا المجتمع .

وعلى الرغم من إتفاق المؤرخين عن غموض الأسباب التى أدت إلى إنهيار حكومة الدولة القديمة بإنتهاء حكم الأسرة السادسة، إلا أن هذه هى النهاية المنطقية للتطور فى التداعى الذى بدأ تقريبا منذ منتصف الأسرة الخامسة حيث أصبحت الوظائف الهامة فى الدولة وخاصة فى الأقاليم مقصورة على عائلات معينة من كبار ملاك الأراضى ثم أصبحت الوظائف وراثية ^(١) .

وكما يرى «ولسون Wilson» أن العامل الإقتصادى كان له أثره الفعال - بجانب العوامل الأخرى - فى ذلك الضعف الذى هدد كيان الدولة المصرية واجمل عدة أسباب منها عبء تشييد مبان تهدد إقتصاد الدولة مثل قيام كل ملك جديد ببناء مقبرة له وتخصيص المخصصات والأوقاف الدائمة للإنفاق على مقابر الملوك والملكات والأمراء الأمر الذى يحرم الدولة من جزء كبير من الدخل نتيجة حرمانها من هذه الأوقاف ، كذلك إحتمال إنقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية وخاصة حينما عجز الملوك عن توفير الأمن والإستقرار فى البلاد وفى الانحاء البعيدة فى بلاد النوبة والسودان وغيرها مما كان له أثره السئ على مصر اقتصاديا وسياسيا ^(٢)، بالإضافة إلى محاولة الملوك كسب رضا وتأييد حكام الأقاليم المختلفة مما أدى إلى إزدياد روح الثقة بالنفس بين هؤلاء الحكام فاعتبروا انفسهم إما سادة الاقليم أو موظفى الملك . تبعا لقوة أو ضعف الملكية، وفى الوقت الذى كان فيه ميراث الوظيفة والمكانة منحة دينية من الملك الاله الذى يملك كل شئ بما فى ذلك عالم الآخرة فإن

Erman , A., Ranka , H., La Civilisation Egyptienne, Paris, 1963, (١)
P. 112.

Wilson , J., Op. Cit., PP. 93 - 110 .

(٢)

هذه المنحة أصبحت حق سياسى ، نتيجة ضعف الملوك وبالتالي أصبح حكام الأقاليم ملوك على مصر أو إذا شئنا الدقة على جزء كبير من أقاليم مصر كما أصبح حاكم الإقليم رغم مظاهر التقرب والخضوع الإسمى لملك البلاد يحكم الإقليم ويجمع حوله الحاشية وتؤرخ الأحداث حسب توليه حكم الإقليم كما لو كان ملكا .

وهكذا أصبح حكام الأقاليم بما يملكون من قوة وثروة من العناصر التى تهدد السلطة المركزية المتمثلة فى الملك ، ومما يشير إلى التداعى أن المقاطعات أصبحت لها نفس أهمية العاصمة .

كذلك أيضا فقد لجأ الملوك فى النصف الثانى من عهد الدولة القديمة إلى محاولة كسب وتأييد الكهنة إلى جانبهم عن طريق الاكثار من بناء المعابد لهم ووقف الأوقاف عليها وإصدار الأوامر الملكية بخصوص الإعفاءات الممنوحة لها، وقد عثر على عدد من هذه الأوامر الملكية بعضها يرجع إلى حكم « بى الثانى » وتهدف جميعها إلى حماية معبد الاله « مين » وكهنته وإعفائهم من القيام بأى عمل للقصر وكذلك عدم مطالبتهم بأى سلعة أو قطعان للماشية حيث أنهم معفون من أجل الههم كذلك يهدد الملك أى حاكم للوجه القبلى بجرؤ على استدعائهم إلى أى مكتب فى إدارة الملفات الملكية أو إلى مكتب رئيس المراجعة أو إلى أى مكتب فيه ختم (رسمى) ليفرض عليهم عملا للقصر ، فإن اللعنة ستحل عليه وتحق عليه كلمة الخيانة (١) .

وتشير هذه الاعفاءات والمنح من جانب إلى حرمان الخزنة الملكية من جزء غير قليل من دخلها وأيضا زيادة فى الثروة والقوة لهذه الفئات التى إستغلت ضعف الملوك من أجل مصالحها الذاتية .

Ibid ., P. 100 .

Gardiner , A., Op. Cit., 108.

(١)

وكذا

وبوفاة «ببى الثانى» فإن قوة الإدارة المركزية فى «منف» قد تلاشت وسادت الفوضى البلاد وبدأت بالنسبة لمصر أظلم فترة سياسية فى تاريخها وهى الفترة المتوسطة الأولى وتضم الأسرات من السابعة حتى العاشرة وجزء من الأسرة الحادية عشرة (١) .

ولقد تناول «فوركيتنه Vercoutter» هذه الفترة وقسمها إلى ثلاث مراحل، الأولى تمثل انهيار المملكة القديمة واضطراباتهما الإجتماعية والتسلل الأجنبى وخلال هذه الفترة لم يستمر حكم الأسرتين السابعة والثامنة فى «منف» أكثر من أربعين عاما (٢٢٨ - ٢٢٤٢ ق.م.) ، وفى المرحلة الثانية نجح أمراء أهناسيا (هرقليوبوليس) فى حكم مصر معتبرين من أنفسهم خلقاء لملوك «منف» تمتعوا فيها بفترة من الهدوء أثناء الأسرة التاسعة (٢٢٤٢ - ٢١٣٣ ق.م.) ، غير أنه تحت حكم الأسرة العاشرة حوالى (٢١٣٣ - ٢٠٥٢ ق.م.) انفجرت المعارك فى الوقت الذى كان هناك جزء من الأرض محتل بواسطة أجناب والمقاطعات تحارب بعضها البعض منهم يعترف بسلطة أهناسيا والآخر بسلطة طيبة ، والفترة الثالثة والأخيرة التى يراها البعض كجزء من الدولة الوسطى حيث كان النصر النهائى لطيبة وفيها أسست الأسرة الحادية عشرة حوالى (٢١٣٤ - ١٩٩١ ق.م.) التى حكمت الجزء الجنوبى من مصر ومسيطر على مصر كلها من الشمال إلى الجنوب مع إعتبار طيبة هى العاصمة الأساسية للبلاد كلها (٢) .

الحوادث التاريخية والاجتماعية :

خلف «ببى الثانى» عدد من الملوك الضعاف وتشير بردية تورين أنه بعد «نيتوكريس» فإن الأسرة السادسة قد استمرت مع أربعة ملوك بعدها، فى الوقت

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 327 . (١)

Ibid., P. 328. (٢)

الدى لم يضع فيه «مانيتو» أى حاكم بعد هذه الملكة ^(١)، التى وصفت بأنها كانت أنبل وأجمل امرأة فى عصرها، وتبعاً للإسطورة فإنها قد استولت على العرش بعد مقتل أخيها الأمر الذى جعلها تنتقم له وتقدم بعد ذلك على الانتحار ^(٢).

وفى هذا دلالة على تردى الملكية ومدى ما انتابها من ضعف عجل نهاية الأسرة السادسة وأصبحت الحالة السياسية فى البلاد شبيهة بتلك الفترة التى سبقت توحيد مصر قبل بداية الأسرات وتفتت وحدة البلاد واستقل حكام الأقاليم وحاول كل منهم أن يمد نفوذه إلى ما جاوره من مناطق ^(٣).

ومن الواضح أن تاريخ الأسرة السابعة غير واضح نتيجة لعدم وجود آثار معاصرة لهم بالدرجة الكافية حتى أن «مانيتو» يذكر سبعين ملكاً حكموا سبعين يوماً والأسرة كلها يعتقد أنها صورية وأن «مانيتو» كان يقصد من ذلك الإشارة إلى الفوضى وسوء الأحوال فى البلاد بعد سقوط الأسرة السادسة ^(٤)، أو أنها تعنى أن مصر قد حكمت فى تلك الفترة بما يشبه حكومة القلة التى تكونت من كبار موظفى وعقلاء تلك الفترة الذين حكموا معاً كمجموعة لفترة تقدر بسبعين يوماً ^(٥)، وطبقاً لآخر دراسة قام بها «هيز Hayes W.C.» فقد وجدت تسعة ملوك لهذه الأسرة ولكنها لم تحكم أكثر من ثمانى سنوات أى بمتوسط حوالى عشرة شهور لكل فرعون ^(٦).

(١) Petrie, F., A History of Egypt, London, 1963, P. 109.

(٢) Hawkes, J., The First Great Civilization, London, 1973, P.297.

(٣) Breasted, J. H., A History of Egypt, P. 143.

(٤) Gardiner, A., Op. Cit., P. 107.

(٥) Hayes, E.C., Op. Cit., P. 136.

(٦) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 329.

أما الأسرة الثامنة فتاريخها غامض رغم وجود أسماء ملوكها فى قوائم الملوك حيث ذكرت « قائمة أبيدوس » أسماء سبعة عشرة ملك وفى « قائمة تورين » نجد ثمانية ملوك فقط بينما ذكر « مانيتو » أن عدد ملوكها ثمانية عشرة دون أن يذكر أسمائهم، على حين أن قائمة سقارة لم تذكر أحداً بعد « ببي الثانى » حتى أوائل الأسرة الحادية عشرة كما لم نذكر أيضاً فى سقارة على أهرامات لهذه الأسرة (١) .

ومن واقع قائمة « أبيدوس » فإننا نرى أن ملوك الأسرة الثامنة حاولوا التشبه بالتمسك بالتقاليد القديمة وتسموا بأسماء الملوك القدامى فى معظم الأحيان وأنهم حكموا لفترات قصيرة وكانوا ذو سلطة ضعيفة ولم تمتد سيطرتهم أكثر من وسط مصر (٢) .

ويلاحظ أن « قائمة أبيدوس » لم تلتزم فى أسماء ملوك هذه الأسرة بتسلسلهم وخلطت بين أسماء ملوك الأسرة التاسعة ووضعتهم بين ملوك الأسرتين السادسة والثامنة (٣) ، وحرص ملوك هذه الأسرة على إتباع تقاليد « ببي الثانى » فى تخصيص إعفاءات ومنح لصالح معبد « الاله مين » وكهنته فى « فقط » وتضمن أحد هذه المراسيم تهديداً من أحد ملوكها لكل من يعتدى على المقدسات الدينية بحرمانه من ميراث آبائه ونفيه وعدم تقديم الطقوس الجنزية المعتادة له عند وفاته، مما يتضح معه أن الاعتداءات على المقابر والمعابد والتماثيل كانت قائمة بالفعل ولجأ الحكام الضعفاء لمحاولة منعها بشتى الوسائل (٤) ، والمعلوم أن آثار التخريب الذى قام فى خلال تلك الفترة إمتد وشمل حتى مقابر وأهرامات الملوك أنفسهم .

Drioton , E., Vandier , J., Op. Cit., P. 214 .

(١)

Breasted, J. H., Op. Cit., P. 147.

وكذا

Hayes , W. C., Op. Cit., P. 136 .

(٢)

(٣) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٤٠١ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

ويبدو أن حاكم مقاطعة « ققط » قد نجح في تكوين مملكة مستقلة تشمل مقاطعات الوجه القبلى السبعة الواقعة فى أقصى الجنوب وأسس منها مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة « منف » الحاكمة وبالعشور على مقبرة كل من « عنخ تيفى » وإلى « جبا (ادفو) » و « نخن » ، (هيراكنوبوليس) ، يتضح أن هاتين المقاطعتين بالإضافة إلى مقاطعة « ييو (الفنتين) » لم تقبل حكم ملوك « ققط » دون قتال ومقاومة وإنتهى الأمر بإنحسار نفوذ « ققط » وإنتقال السلطة فيما بعد إلى طيبة كما حدث وسنشير إليه فى حينه (١) .

وكما يرى « كورت زيته K. Sethe » بأن السلطة التى توفرت لهم لم تستمر أكثر من أربعين عاماً (٢) .

بينما يرى (هيز Hayes) ويؤيده فى ذلك (فوركتيه Vercoutter) بأن آخر الملوك الثلاثة فى الأسرة الثامنة المنفية قد سجلت أسماؤهم على مجموعة مراسيم ملكية أصدرها بشأن طقوس جنازية وجدت منحوتة على حوائط معبد « مين Min » فى ققط ، وتعيين « شماى » أميراً للأقاليم وأبنة « أيدى » وهما من أسرة قوية هناك فى منصب الوزير وحاكم مصر العليا وهى كغيرها من المراسيم الملكية التى كان يصدرها ملوك الدولة القديمة وتسجل على ألواح من الحجر الجيرى ووضعت فى مدخل معبد « مين Min » وبالتالى فإن هذا لايمكن أن يكون سببا فى الاعتقاد بأن هناك أسرة ملكية مستقلة قامت فى « ققط » أو فى « أبيدوس » والمدون فى معبد « مين » هى مراسيم ملوكها كما رأى بعض المؤرخين (٣) وأحد هذه المراسيم يثبت « شماى Shemay » فى وزارته على أقاليم مصر العليا الاثنتين والعشرين ، والثانى يعين ابنه « ايدى Idy » كحاكم

(١) Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., P. 215 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤٠٣ .

(٣) Hayes , W. C., Op. Cit., P. 136 .

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 331 . وكذا :

على مصر العليا في أقصى الأقاليم الجنوبية السبعة والنص الخاص بـ «أيدى»
كامل تقريبا .

ولا اثر هناك في هذه النصوص لاي اضطراب سياسى ولكن يمكننا أن
نستنتج أنها تدل على رغبة الملك فى إرضاء أحد كبار حكام مصر العليا
والضعف الذى إنتاب الملكية فى «متف» حيث تهدف هذه المراسيم إلى إبراز
التحالف بين الملك وكل من «شماى» وأبنه الذين كانوا بدورهم نبلاء
مقاطعات فى قفط، وهو برهان على أن الأسرة الثامنة شهدت تحولا من نبلاء
مقاطعات إلى مستخدمى قصر ملكى ضعيف يعترف فيه الفرعون بالأمر الواقع
من حيث قوة هؤلاء الحكام فى الوقت الذى عادت فيه مصر إلى مجموعة ولايات
متصارعة (١) .

ومن المرجح أنه خلال تلك الفترة المضطربة منذ أواخر حكم الأسرة
السادسة حتى الأسرة الحادية عشرة فإن الثورات لم تنقطع إلا لتعود بعد فترة مما
جعل فكرة الملكية الالهية نفسها موضع تساؤل .

ولقد وجد لدينا نص يشير إلى تلك الفترة المظلمة من تاريخ مصر وهو ما
يعرف «ببردية ليدن» * الخاص بذلك الحكيم المصرى «إيبور» وهو يصف

(1) Ibid ., P. 331 .

* بردية «ليدن» الخاصة بنبؤات وتحذيرات «إيبور» عبارة عن مخطوط كتب فى الأسرة التاسعة عشرة
أو العشرين ربما من نص أصلى من الفترة بين الملكة القديمة والوسطى حيث تطابق الحالة تلك
الفترة .

والنص فى حالة حفظ برئى لها، وقد ترجم النص الأول مرة بمعرفة العالم الأثرى الدانمركى «لنج
Lange H.» والدراسة النهائية للنص مازالت للعلامة «جاردنر Gardiner» تحت عنوان :
The admonition from Egyptian Sage (Leipzig, 1909)

وترجمت الدراسة إلى لغات أخرى متعددة منها الأرامية والفرنسية وغيرها .
عن مزيد من التفاصيل أنظر

WilSon, J., The Admonitions of Ipo-Wer, ANET, P. 441 .

الحالة فى مصر وما حدث فى البلاد من بؤس وشدة بعبارات تنم عن المعاناة كما وصف انعكاسات الحالة الداخلية على خارج مصر وأوصى فى مقالة بضرورة الإصلاح وإيجاد أسس جديدة يقوم عليها عصر جديد .

وعلى الرغم أن المخطوط مجزأ ولا يسمح بمعنى متكامل ومتصل ولكنه يبدو واضحا منه أن مصر عانت من إنهيار الحكم مصحوبا بفوضى إجتماعية واقتصادية وسياسية .

وقد قوبلت تلك المصائب من السلطة المهيمنة على الأمور بعدم المبالاة منا جعل مفكروا تلك الفترة ومنهم حكيمنا « Ipu-wer » الذى لا نعرف عن شخصيته شيئا يقدم تقريراً للملك عن الفوضى الضارية فى البلاد، والفرعون المشار إليه غير معروفة شخصيته ويرى « جاردنر Gardiner A » أن الفرعون المقصود ربما كان من بين آخر فرع لملوك منف (١) .

ويتفق معه كل من « ويلسون Wilson » و « وفوركتيه Vercoutter » و « هيز Hayes » بأن تلك الحالة الموصوفة تنطبق على تلك الفترة من التاريخ المصرى بعد سقوط الملكية وأن الفرعون المشار إليه ربما هو أحد حكام الأسرة السادسة أو أحد ملوك الأسر الضعيفة اللاحقة (٢) .

ويتفق الجميع أنه من المستحيل تحديد الوقت المعين لحدوث ذلك الاضطراب الخطير الذى أشارت إليه بردية « ليدن » ولو أنه حدوثه حقيقة لا شك فيه، ومن المحتمل أن الفوضى ظلت مستمرة بصورة مستمرة أو متقطعة خلال عصر الفترة الأولى وحتى قيام الأسرة الحادية عشرة .

Gardiner, A., Op. Cit., 109 - 110 .

(١)

Wilson , J., Op. Cit., P. 441 .

(٢)

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 329 .

وكذا :

والبردية مثلها مثل نصوص مصرية كثيرة ضاع أولها وآخرها وهى لا تتبع نظاما أو ترتيبا منطقيا للأحداث ولكنها من الآثار الهامة جدا والتي تلقى ضوءا عن الحالة الفعلية لتلك الفترة، كما تعطينا صورة للاضطراب العام بين الحكومة والادارات التابعة لها، والعلاقة بالأجانب فى مصر وتسلسل عناصر البدو الآسيويين إلى الدلتا الذين بدأ دخولهم الأراضى المصرية أواخر حكم «ببى الثانى» منتهزين فرصة الفوضى وتفتت السلطة لكى ينعموا بالخير والاستقرار على أرض الدلتا الغنية بخيراتها .

ويتضح من تلك الرواية التى سردها لنا «ونى» أن مصر واجهت مشاكل من هؤلاء الرجل الذى أشار إليه نصه بإصطلاح (عامو حريوشع C3m- hrywsa بمعنى أولئك الذين فوق الرمال) (١) .

ولقد اختلفت آراء العلماء عن الكيفية التى جاء بها هؤلاء الآسيويين إلى مصر وفى الوقت الذى يعتقد فيه «جاردنر Gardiner» بأن هذا العصيان أوكلت مهمة القضاء عليه إلى «ونى» فإنه يمثل فى الواقع أول موجة من الضغط الآسيوى التى سببت لمصر المتاعب أثناء محنتها بعد سقوط الدولة القديمة (٢)، ويؤيده فى هذا رأى مجموعة من العلماء حيث يرى «دريوتون وفاندييه Drioton , Vandier» أنه على الرغم من الهزيمة الثقيلة التى نزلت بالبدو أيام «ببى الاول» إلا أنهم تحينوا القرصة المناسبة لكى يغزوا مصر وقد لاحت لهم فى نهاية الحكم الطويل للملك «ببى الثانى» حيث كانت الحالة مهيئة لهم، ففى صعيد مصر كان الحكام مشغولين بتنظيم أقاليمهم كممالك صغيرة مستقلة وفى العاصمة (منف) كان الملك المسن عاجز عن المقاومة، أما

Breasted , J.H., Ancient Records of Egypt , P. 142 .

(١)

Gardiner, A., Op. Cit., P. 99.

(١)

فى الدلتا فلربما كانت هناك محاولة للمقاومة ولكن فى غياب الوثائق الدالة عن ذلك فإنه لا يمكن تأكيد هذا الغرض (١) .

وكذلك يؤكد «بيكى Baikie» آراء «بتري Petrie» التى ترى أنه بنهاية الأسرة السادسة ضعفت البلاد واضطربت نتيجة شيخوخة الملك «ببى الثانى» ولذا غزوها وربما إحتلت الدلتا وجزء من صعيد مصر وذلك بواسطة عناصر من الشمال الشرقى لسوريا (عناصر آمورية)، بل ويضيف «بتري» أن مصر قد تعرضت لغزو آخر من الجنوب نجح فى تهديد طيبة وفيما بعد أعطى مصر فرعين من الملوك وهم ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة (٢) . وهناك رأى آخر لمجموعة من المؤرخين الأجانب ومنهم (هيز Hayes, W.) وغيره الذين أرجعوا دخول هؤلاء الآسيويين البلاد مستغلين حالة الفوضى والحرب الأهلية والتنافس بين الأقاليم المختلفة ووجود جماعات النهب حيث تسلل هؤلاء البدو من سيناء وجنوب فلسطين مقيميين فى الدلتا (٣) . وهونفس رأى مجموعة من المؤرخين الوطنيين التى أشارت إليه أنه كان تسلا وليس غزوا قامت به جماعات مهاجرة منتهزة ضعف الملكية المصرية والحالة التى كانت عليها البلاد من تنافس وفساد الكهنة وجشعهم (٤) . وهو ما يؤكد «ولسون J. Wilson» حيث يرى أن النصوص المصرية القديمة ترجع مسئولية الفوضى والضعف التى انتابت مصر إلى دخول البدو الآسيويين للدلتا فى حين أن هذا يعد تهريا من مسئولية الفساد، لأن هؤلاء البدو لم يأتوا غازين بل أنهم انتهزوا فرصة اختلال الأمور بالدلتا ليتوغلوا فى البلاد، مما زاد الأمور اضطرابا وأدى إلى انفصال الدلتا وإنقطاع الضرائب عن العاصمة وبإنتهاء عصر

(١) . Drioton, E., Wandier, J., 22 P. Cit., P. 213 .

(٢) . Baikie, J., Op. Cit., P. 221 .

(٣) . Hayes, W. C., Op. Cit., P. 135 .

(٤) محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ، ص ٨٢٢ - ٨٨ .

الفترة الأولى فإنهم كانوا قد امتزجوا بالمصريين^(١)، ويبدو أن الإنسان المصري القديم ولأسباب نفسية قد تجاهل العوامل الأخرى التي سببت الإضطراب والقي بمسؤولية ذلك على الأجانب وحملهم أسباب هذه القوضى ويصف «ايبور» ذلك :

« حقا ، الصحراء منبسطة في البلاد المقاطعات
مدمرة البرابرة من الخارج أتوا إلى مصر ، لا يوجد
أناسا في أي مكان »^(٢) .

كان المصريون يستعملون كلمات : الناس ، الإنسان ، الرجال للدلالة على أنفسهم على عكس الأجانب الذين لم يكونوا يعتبروا أناسا حقيقيين لسبق المصريين الحضاري عليهم وإحساسهم بذلك ويستمر النص :

« ... حقا أرض الدلتا الخصبة لن تخفى بعد الآن
وثقة أرض الشمال أصبحت طريقا معبدا ، ماذا
نستطيع أن نفعل أنظر أنه في أيدي الذين لم يعرفوا ،
والذين عرفوا ، الأجانب الآن مهرة في العمل في
الدلتا »^(٣) .

ويقصد «ايبور» أن خيرات الدلتا أصبحت مباحة بسبب الإهمال في حماية حدود مصر الشرقية وأن الطريق في مصر السقلى ممهدة للأجانب ليدخلوا البلاد ويقيموا بها في الوقت الذي عجزت السلطة عن القيام بأى شئ

Wilson , J., The Burden of Egypt, P. 106 ff. (١)

Wilson , J., The Admonitions of Ipr.- Wer, ANET, P. 441 . (٢)

Ibid., P. 442 . (٣)

وكذا :

Hayes , W.C., Op. Cit., P. 135 .

لوقف هذه الجماعات^(١)، وأيضا عجز السلطة حتى عن ارسال الحملات والبعثات التي كانت ترسل إلى الخارج مما يعود بالخير والرخاء من جراء تلك الأنشطة الاقتصادية ويصف النص ذلك :

« لا أحد يبحر اليوم شمالا إلى «بيلوس»
(في اتجاه بيلوس) ماذا سنفعل (بشأن خشب
شجرة الأرز لاستبدال أكفان موتانا التي يستخدمها
الكهنة، النبلاء كانوا يدهنون بالزيت الذي يأتي من
«كفيتي» (يرجح أنها كريت) ولكنه لم يعد يجيء ،
والذهب يتناقص (-) ، كم هو مهم (الآن عندما
يأتي سكان الواحات حاميين المؤن....»^(٢) .

ومن المرجح أن منتجات الواحات لم تكن ذات قيمة بالنسبة إلى تلك
البعثات الاقتصادية التي اعتاد الملوك أن يرسلوها إلى الشمال والجنوب التي
توقفت لإنهيار الحالة الداخلية وتعرض حياة المسافرين للأخطار والسلب
والنهب والمنازعات بين المقاطعات المختلفة وحدث الثورة الاجتماعية التي
جاءت مصحوبة باستمرار التسلل الأجنبي للبلاد .

والمعنى السابق يتفق مع ما ذكره المتنبئ «نفر هو»* الذي أشار أن قلة
تدابير الأمن هي التي سببت دخول البدو والرحل للبلاد :

(١) ج. برستد : تطور الفكر والدين ، ص ٢٩٢ .

Wilson , J., Op. Cit., PP. 441 - 442 . (١)

* «نفر هو» (نفرتي) : Neferti : كاهن حكيم ولد في مقاطعة أون (هليوبوليس) وكان كاهنا
في «هواسطة» ويرجح أن نبوءته كتبت في عصر الدولة الوسطى ، انظر :

Wilson, J., The Prophecy of Neferti , Anet, P. 444 ff.

« ... حيث جاء الأعداء الآسيويين من الشرق إلى
مصر لن يصغى أحد من الحماة ، سيشرّب وحوش
الصخراء (المقصود بهم الآسيويين) من مياه النيل .
وسيمرحون على ضفتيه لعدم وجود القوة التي
تطردهم ... » (١) .

ومن المؤكد أيضا ان السبب فى توقف التجارة الخارجية مرجعه إلى إنهيار
التركيب الاجتماعى للمجتمع وسوء الحالة الداخلية التى شغلت حيز كبير من
نص « ايبور » ، يختار منها الدارس بعض الفقرات المعبرة عن ذلك .

« يقول [حارس] البوابات : هيا بنا نذهب ...
الرجل المكلف بالتنظافة يرفض حملها ... [رجال]
الدلتا يحملون الدروع (دليلا على القسوة والعنف)
الرجل الفاضل يسير فى حزن لما حل بالبلاد ...
لماذا حقا الوجه شاحب وحامل القوس مستعد
السرقه فى كل مكان ، لا يوجد رجل الامس (حيث
المضى باستقراره والوقت
الطيب الممنوح له من الآلهة) -
النيل يفيض (ولكن) لا أحد يحرق لنفسه لان كل
واحد يقول : اتنا لا نعرف ما عساه يحدث للارض
لماذا حقا لقد فضبت النساء ولم تعد تستطيع
الانجاب ... » .

Ibid., P. 444.

(١)

لقد انقلبت الأمور وهو لذلك يستخدم تشبيه ملموس في حياته الدينية والعملية وهو الاله «خنوم» وعجلة الفخار للدلالة على سوء الحالة الاجتماعية

« . . خنوم لا يستطيع تشكيل الأدميين بسبب حالة

الأرض ، الرجال الفقراء أصبحوا يمتلكون الكنوز،

الذى لم يكن يستطيع أن يعمل لنفسه زوج صنادل

أصبح (الآن) يمتلك الثروات (١) »

ويستمر الحكيم في وصفه موضحا الأحوال التى طرأ عليها التغيير :

« . كثيرا من الموتى دفنوا في النهر والمجرى

أصبح (بمثابة) مقبرة ومكان التحنيط أصبح مجرى

(النهر) ، النبلاء فى حزن بينما الفقراء فى مرح ،

وكل مدينة تقول دعنا نطرح (نقص) كثير منا (ربما

للدلالة على الفقر والجوع) والقذارة تعم البلاد ولا

يوجد أحد (ذو) ملابس بيضاء فى ذلك الوقت ،

الأرض تدور (الأوضاع تنقلب) مثل عجلة الفخار،

اللص (أصبح الآن) هو سيد الثروة

النهر (ملئ) بالدم وإذا شرب منه أحد فهناك

من يمنعه ويظل عطشان . . » (٢)

Ibid., P. 441 .

Ibid., P. 441.

(١)

(٢)

وفى هذا دلالة على العنف والقسوة التى انتشرت فى البلاد حيث يغطى الدم كل مكان (١) ، وامتدت سوء الأحوال فشملت كل شئ حتى الإدارات وموظفى القصر أنفسهم الذين أهملوا واجباتهم حيث إمتدت الثورة إلى قاعة المحكمة وأرشيفها ممزقة ناهبة كل شئ، والمكاتب العمومية انتهكت وكشوف الاحصائيات مزقت ، والمعروف أن المكان السرى للإدارة ، يحتوى على مكاتبات مدنية ودينية لا تفتح للمعادين من الشعب وللحصول عليها والرجوع إلى ما فيها يلزم للفرد أن يتبع قواعد معينة بهذا الصدد (٢) .

« ... مكاتبات الكتبة نقلت من مكانها (وحملت

بعيدا) وقوت (غذاء) مصر فى متناول أى شخص

(ربما يعنى هذا أن المخازن الحكومية قد نهبت) ،

والقوانين ألقى بها بعيدا والناس يسرون عليها فى

الطرق والفقراء يمزقونها فى الشوارع ... » (٣) .

ويتضح من النص أن القوانين التى تنظم الحياة والتبادل فى غياب الحق لم تعد ذات قيمة فالعامة تدوس عليها بالفعل فى الطرقات والفقراء يقطعونها فى الطريق والضرائب لا تجبى بسبب الحرب الأهلية :

« ... الفنتين واقليم ثنى و [المكان المقدس] لمصر

العليا لا يدفعون ضرائب بسبب الحرب [الأهلية]

... وببيت المال بدون دخل ..

(١) Hayes , W.C., Op. Cit., P. 135 .

(٢) ج. برستد ، نفس المرجع السابق، ص ٢٩١ .

(٣) Wilson , J., Op. Cit., P. 442 .

أنظر لأن النار تصاعدت أعلى ولهيبتها امتد تجاه
أعداء البلاد (الأرض) .

أنظر الآن لقد حدث شيء لم يحدث أبدا منذ زمن
بعيد لقد استولى الفقراء على الملك .

أنظر الذى دفن على أنه صقر (اله) (يرقد الآن)
فى تابوت عادى، وما كانت الأهرام تخفيه أصبح
خاليا، أنظر الآن لقد وصلنا إلى درجة (نقطة)
تدار معها الأرض الملكية (تنهب) بواسطة عدد
قليل من الرجال غير المسؤولين،

أنظر الآن لقد وصلنا لدرجة يشور معها (الرجال)
ضد آريوس (علامة الملكية) . . لـ «رع» الذى يجعل
الأرضين سالمين .

أنظر سر الأرض التى لا يعرف حدودها أصبحت
مكشوفة . أنظر الشعبان (الحارس) قد أخرج من
حجرة (الشعبان المؤله الذى كان يحرس المعبد
والقصر) وأسرار ملك مصر العليا والسفلى
أصبحت عارية مكشوفة^(١)

Ibid. , P. 442 .

(١)

ويتضح من العبارة السابقة سوء الحالة التي وصلت إليها البلاد وهي نتيجة طبيعية أو تطور لملك ضعيف لا يملك القدرة على إصلاح الأمور وإعادة الأمن والاستقرار إلى ما كان عليه وبالتالي اتسعت الثورة حتى عليه نفسه وعلى جهازه الإداري البعيد عن أداء الواجب بالصورة المطلوبة ويبدو من بعض الفقرات أن الأيدى قد امتدت إلى الملك نفسه وإلى المقدسات الدينية التي إعتقد فيها الإنسان المصري منذ فجر تاريخه وفي هذه الفقرات السابقة فإن كاتب النص يوجه إتهامه العلني للملك ويحمله مسئولية محاربة هذا الفساد الذي رغم فداحته فإن القصر وعلى رأسه الملك لا يبالي بسبب ضعفه الشديد أو أن مظاهر الفساد قد بلغت درجة أعظم من طاقته .

والسطور السابقة عن مصير الملكية في نص «أيبوور» غير واضحة تماما وتضعنا أمام تساؤلات عدة .

هل خلع الملك بواسطة الجماهير وحل محله ملك آخر شرعى أو غير شرعى حاول بدون جدوى إعادة النظام لأرض الكنانة .

وبرغم أن هذا الحدث وفي تلك الفترة المؤلمة من تاريخ مصر يعد من مفاخر ذلك العصر الذى قام فيه شعب مصر فى ثورة عاتية مطالباً بحقه فى الحياة والعدل الاجتماعى، فإن الأدلة تعوزنا وخاصة أن النص ملئ بالفجوات والتناقضات مما يزيد من غموضه .

ويقترض «شبيجل Spiegel» أن الملك المخلوع هو «مرن رع الثانى» (الأسرة السادسة) وخلفه هو ملك الأسرة الثامنة على إعتبار أن الأسرة السابعة لم يكن لها وجود ^(١)، بينما يرى «دريوتون وفاندييه» أن الشعب قد انتهز الفرصة ليعبر عن سخطه للأحوال التى آلت إليها البلاد فى أواخر الأسرة السادسة

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 330 .

(١)

ليقوم بشورته التي حدثت مع آخر ملوك الأسرة « مرن رع الثانى » و
« نيتوكريس »^(١) .

ولقد وصف « ايبور » الملك المثالى الذى سيعيد المجد والاستقرار إلى
شطرى الوادى وسيحرر مصر من أعدائها ووازن فى عبارات تحمل كل الأمانى
بين الحاكم الحالى وبين عهد اله الشمس « رع » الحاكم العادل الذى لا يحمل
فى قلبه سوى الخير .

« ... سيأتى الوقت الذى يأتى فيه الهدوء إلى القلب ،
سيقول الرجال : انه راع كل الرجال الشر ليس فى
قلبه وربما قطيعه صغير إلا أنه أمضى النهار كله
للعناية به ... » .

ثم يعقب ذلك بفقرة غير واضحة وكما يرى « ويلسون Wilson » فإنها
ربما تشير إلى الاله « رع » ويحتمل أيضا أنها تشير إلى المستقبل :

« ... لينته قد أدرك أفعالهم منذ خلقهم فى
(الجيل) الأول لكان ضربهم (وقضى على) الشر
ولكان قد مد زراعته ضده ولكان قد قضى على بذرته
وارثهم ... »^(٢) .

ثم يتساءل « ايبور » عن شخص هذا الملك الذى هو بمثابة الحل
والاصلاح للأمور المضطربة :

Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., PP. 213 - 214 .

(١)

Wilson , J., Op. Cit., P. 443

(٢)

« ... أين هو اليوم ؟ هل هو نائم ؟ انظر المجد لا

يمكن رؤيته ... »

ثم يمضى فى بيان ما يجب أن يتحلى به الملك من صفات :

« ... السلطة أو ما يعنى النطق الأمر

الفهم (الادراك) .

ثم العدالة (الحقيقة والنظام)

وهى قد اضطربت معك فى البلاد ... » (١) .

ثم يعود الحكيم موضحا الحالة الكئيبة التى وصلت إليها البلاد وضرورة الإصلاح حتى يتحقق الرخاء ونهاية النص ورد الملك وإجابة « ايبور » عليه محذوفة ويبدو أن حكيمنا كان يجابه أعذار الملك الضعيف بما يمثلها الواقع من مرارة يتألم لها كل مصرى غيور على وطنه والذى يهيم الدارس أن يوضحه هو ما انفرد به عصر الانتقال الأول أنه كان العصر الأول الذى جراً فيه شخص من الشعب على الوقوف أمام مليكه معددا مساوئ الحكم مطالباً بضرورة الرجوع إلى الحكم الصالح مصراً على تحقيق العدالة ومعرفة الحقيقة وهو ما توضحه عبارة « ايبور » :

« ... يجب أن يغتبط قلب الملك حين تأتى

إليه الحقيقة » (٢) .

وفى وجود الملك لم يتردد عن الإفصاح عن النتيجة الضارة التى نجمت عن إحتفاظه وأمثاله من الحكماء والشعب بالحقيقة وعدم التصدى للفساد وهذا

Ibid., P. 443 .

(١)

Ibid., P. 442 .

(٢)

يعتبر مفخرة للحضارة المصرية وقيمها العظيمة التي حثت على ذكر الحقيقة
ونبذ السلبية وهو ما دعت إليه الأديان السماوية فيما بعد :

« ... لو كنت رفعت صوتي من وقتها كان ذلك

يريحني من العذاب الذي أعانيه الآن ... »

كذلك يتضح من نص « ايبوور » والصفات التي يجب أن يتحلى بها
الحاكم المثالي من أغراض خيرة وأخلاق لا تشوبها شائبة وجهاده من أجل الخير
وقضائه على الشر بعد إنجاز للفكر المصري القديم في تلك الفترة ^(١) ، وهناك
نص هام ينتمى إلى تلك الفترة سجله أديب مصري سام مظاهر الفساد وإضطراب
الأحوال في عصره فدخل في حوار مع روحه من أجل أن ينهى حياته وفي البداية
فإن روحه ترفض الفكرة ثم وافقتها ^(٢) ، ويمكن اعتبار النص كما يرى الدكتور
عبد العزيز صالح تعبيراً عن التشاؤم واليأس الذي انتاب الإنسان المصري القديم
في تلك الفترة أو انتابت ذلك الأديب صاحب ذلك الحوار الذي ناقش روحه
كانها شخص آخر قام بذاته شارحاً لها سوء الأحوال في عصره وسوء طالعها بينما
تمسكت روحه بالحياة الدنيا راغبة أن يترك الحياة في العالم الآخر عندما يحين
وقته، ثم اقترحت عليه الانتحار حرقاً ولكنه تردد وفي النهاية حكى لها أسباب
تشاؤمه ويأسه في أربع قصائد ^(٣) ، في الأولى وصف لها مقت المجتمع له بدون
وجه حق والظلم الواقع عليه بصفة خاصة .

وفي الفقرة الثانية يتحدث عن إضطراب الأحوال في المجتمع بصفة عامة

في عبارات أدبية منها :

« ... لمن أتحدث اليوم ، وما عاد أحد يتذكر

(١) ج. برستد : نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) Vercoutter, J., Op. Cit., P. 342 .

(٣) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

الماضى لمن أتحدث اليوم ولم يعد هناك الرجال المتحلين بالحق

وما يهمنا أن نوضحه الآن وحسب ما وجدناه من نصوص قليلة للأسرة الثامنة وهو أن آخر ملوك هذه الأسرة كان لهم نفوذ محدود فالدلتا تعاني فساد الأحوال الاقتصادية وإضطراب الأوضاع الاجتماعية وممثلة بالرحل الآسيويين كما أوضحنا وبالتالى أصبحت خارج سيطرة الحكومة المنفية ، والجنوب بما يحويه من مقاطعات هامة مثل (ثنى بالقرب من أبيدوس) بمركزها الدينى الهام، ومقاطعة « ييو (الفنتين) كمدخل للنوبة ، وغير ذلك من مقاطعات، الجميع يعترفون بالسلطة الملكية ولكنهم نادرا ما كانوا يطيعونها لما تعنيه من ضعف .

وهكذا لا يبقى للملك الجالس فى العاصمة سوى الحكم على منطقة صغيرة حول منف وبعض الأمراء القليلون الذين يدينون له بالطاعة مثل أمراء قفط وغيرها .

غير أن هذه السلطات أيضا قد نزعت من آخر ملوك الأسرة الثامنة نتيجة نجاح حكام اقليم « أهناسيا » (هرقليوبوليس) الذى أقام الأسرة التاسعة معتبرا من نفسه وخلفائه ملوكا على مصر كلها خلفا لملوك مصر القدامى (١) .
ملوك أهناسيا :

حوالى عام ٢٢٤٢ ق.م. استولى « خيتى » (الاول) على عرش مصر ونادى بنفسه ملكا على كل من الوجه القبلى والبحرى ، وبذلك إنتقل مركز الحكم والثقل من « منف » إلى « أهناسيا » (الاقليم العشرين من مصر العليا) (٢) ، والظروف التى أدت إلى نشأة أسرة « خيتى » تحيط بها الغموض .

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

Hayes , W. C., Op. Cit., P. 143 .

(٢)

Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., P. 215 .

وكذا :

وتقع عاصمة الاقليم «نن نسوت» وهي مدينة «أهناسيا» الحالية على الضفة الغربية من نهر النيل مقابل «بنى سويف» على بعد ٥٥ ميل إلى جنوب منف القديمة وعاصمة الملك الجديد «ختي» (الأول) كانت أصلا مركزا هاما قبل توحيد القطرين بصفتها عاصمة ملوك الوجه القبلي ومن الناحية الدينية. إرتبطت بآلهة «تاسرع أون» وبذلك كانت من الأماكن المقدسة في البلاد (١)

ومن الناحية الاستراتيجية كان موقف حاكم «نن نسوت» *Nen - neswt* ممتازا عند مصب نهر القيوم وهي منطقة تعد من إحدى أغنى مناطق مصر الزراعية، كان اذن قريبا من «منف» ولكن هناك مسافة كافية بين أراضيها وبين جماعات الآسيويين في الدلتا، كما كان أيضا بعيدا عن الجنوب وحكام مقاطعاتها المحاربين في طيبة وأبو (الفتنين) (٢)، وهم الذين تسببوا في نهاية حكمه فيما بعد حينما اكتملت لهم أسباب القوة .

ولم ينجى ذكر الملوك الأهناسيين في قائمة أبيدوس أو سقارة ومصادرنا الرئيسية «مانيتو» و «بردية تورين» .

ويأتى اسم «ختي» في أول قائمة «مانيتون» للملوك الأهناسيين وهو لا يفصل بين الأسرة التاسعة والعاشرة ولكنه جعل لكل منهما سنوات حكم منفصلة فقدر للأسرة التاسعة ١٩ ملكا حكموا ١٨٥ عاما .

Hayes , W. C., Op. Cit., P. 143 .

(١)

وكذا :

Baikie , J., Op. Cit., P. 222.

Drioton , E., Vandier, J., Op. Cit., PP. 215 - 216 .

(٢)

وكذا :

Maspero, G., *Historie Ancienne des Peuples de L'Orient*, Paris, 1978, P. 95 .

وبردية «تورين» برغم أنها دونت أسماء ثلاثة عشر ملك فإننا لم نستدل إلا على أربعة أسماء فقط، وابتداء من الاسم السادس حتى النهاية فهي ضائعة أو غير كاملة .

وتدل أسماء ملوك هذه الأسرة مثل «نفر كارع Nfr K3 Rc» و«نب كارع Nb K3 Rc» إلى أن الأسرة أيضا كانت تود التمسك بتقاليد المملكة الممفية القديمة (١) .

وهكذا فإننا لا نستطيع أن نجزم بترتيب فراغة هذه الأسرة لكن المؤكد حاليا أن «خيتي الأول» هو «مرى أيب رع» (بمعنى حبيب قلب رع) وقد حكم نحو ٤٢ عاما تقريبا (٢٢٤٢ - ٢٢٠٠ ق.م.) (٢)، و«مانيتون» يقول عنه أنه تصرف بفسوة أكثر من كل الملوك الذين سبقوه (ربما لتدعيم حكمه) وبعض الكتاب الأغريق (اسيبوس ، ارستينوس) يقولون أنه أصيب بالجنون في نهاية عمره وقتل بواسطة تمساح (٣) .

ومن الأدلة الأثرية التي تؤكد وجود «خيتي» (الأول) عشورنا على إنشاء من النحاس موجود الآن في اللوفر بالإضافة إلى عصا من الأبنوس وبعض الآثار الأخرى القليلة الأهمية عثر عليها في «مير» وتحمل اسمه، ثاني من حمل هذا الاسم هو «واح كارع Wh Ka Rc» عرفناه عن طريق تابوت عثر عليه في «البرشا» ، El-Bersheha وهناك أيضا ملك يحمل نفس اللقب هو «اختوى تب كارع» (Nb K3 Rc) وقد جاء اسمه في حفائر «بتري Petrie» في الرتبة كما جاء ذكره في قصة الفلاح الفصيح (٤) .

(1) Breasted , J. H., A History of Egypt , P. 147 .

(٢) سليم حسن ، مصر القديمة، ج١ ، القاهرة ، ص ٢١٦ .

(3) Petrie, F., Op. Cit., P. 112 .

(4) Gardiner, A., Op. Cit., P. 112 .

ومن المعروف أن اسم « خيتى Khety » من الأسماء الشائعة وهناك أكثر من ستة وثلاثون اسم فى تلك الفترة لملوك وحكام وغيرهم (١) .

وما يهمنا الآن أن أسرة هيراقليوبوليس (أهناسيا) سواء الأسرة التاسعة أو التالية لها أى منذ قيامها حتى حدوث الصدام بينهما وبين طيبة فى الجنوب فإنها قد أعطت مصر الوسطى قدراً كبيراً من الاستقرار مما جعل تلك الفترة هى الفترة الغنية للأدب المصرى وجاءت بنتائج هامة ساعدت الباحثين فى إلقاء ضوء على تلك الفترة بفضل ما تركته لنا من نصوص (٢) .

وتعتبر تعاليم « خيتى » إلى ابنه « مرى كارع » من أهم نصوص تلك الفترة فهى مرآة تنعكس عليها هذه الروح الجديدة التى كان لها أثرها فيما بعد وانتهج الحكام وعملوا عليه وهو ما طالعنا به الأيام فيما بعد بتلك الوصية السياسية الخاصة بنصائح الملك « أمنمحات » لمن سيخلفه من ملوك المستقبل .

وبالإضافة إلى تلك الإرشادات من فنون السياسة والادارة فهى تحوى اشارات واضحة إلى الأحداث المعاصرة وعن مجموعة من القيم الخاصة بالاخلاق والسلوك وأهمية الحياة المستقيمة الصالحة والحث أن يحكم ابنه وفى ذهنه الحياة فى العالم الآخر ، وهى المرة الأولى التى يعترف فيها أحد الملوك إلى ابنه ويتواضع خلقى غير مألوف بل مستحيل أيام الدولة القديمة أنه أخطأ ويستحق عقاب الآلهة .

ونستشف منها أيضاً ذلك التحول الكبير فى مفهوم الملكية الإلهية والقوة بين المملكة القديمة والفترات التى تلتها وهو ما أوضحته نصوص تلك الفترة

Pertrie , F., Op. Cit., P. 115 .

(١)

Wilson , J., The Burden of Egypt , P. 105 .

(٢)

حيث كان التعبير عن القيم الجديدة روحيا واجتماعيا مما كان له انعكاسه على أدب تلك الفترة . الأمر الذى حدا بالدارس إلى إلقاء مزيد من الضوء على ذلك النص الهام .

التعاليم إلى مري كارع :

لازال الملك صاحب تلك التعاليم الهامة غير معلومه لنا شخصيته بالتحديد، فبينما يقترح «شارف Scharff» أن يكون مؤلفها هو «خيتى الثانى Wah. Ka. Ra» فان «فوركتيه Vercoutter» ، معه «دريتون Drioton» يرون أنه «خيتى الثالث» هو التى تنسب إليه هذه التعاليم، فى الوقت الذى يرى فيه «جاردنر Gardiner» أنه ليس أول من يحملون لقب «خيتى» بينما يرى «هيت Hayes» أنه رابع من حمل هذا الاسم^(١) .

والى أن يكشف البحث العلمى القموض عن صاحب هذه التعاليم فإن المخطوط الرئيسى لتعاليم الملك «خيتى» لابنه «مري كارع» موجود فى بردية تعرف «ببردية ليننجراد رقم 1116 A» وقد نشرها "Golenischeff" وهناك مخطوطان ثانويان أحدهما بموسكو والآخر فى كبنهاجن وقد تمت ترجمتهما .

والمخطوطات الثلاثة حسب خصائصها الخطية ترجع إلى الدولة الحديثة (الأسرة ١٨) غير أنها وحسب ما تضمنته من وصف ترجع إلى تلك الفترة المعروفة بعصر الفترة الأولى والتى انقلب فيها نظام البلاد .

والجزء الأول من النص مفقود ويبدو أن هذا الجزء يخص السيطرة على ثورة من تلك الثورات المنتشرة فى تلك الفترة حيث ينصح ابنه بالحد من المشاغبين والتخلص منهم :

(١) Wilson , J., The Instruction for King Meri. Ka-Re, Anet, PP.414- 415.

« [إذا وجدت رجل] ... تابعيه كثيرين (-)

وهو لطيف في نظرتة لجماعته (متحيز) ... سريع

الهياج ... ابعده ، اقتله ، امسح اسمه (اقضى)

على جماعته واطرد ذاكرته هو وتابعيه ومن

يحبوه ، الرجل الميال للخلاف مزعج لمواطنيه ، وهو

يكون حزبين من خلال الشيباب وإذا وجدت

المواطنين إنحازوا إليه اتهمه علنا في حضور

(موظفى) القصر وابعده ، أنه أيضا خائن ... » (١) .

وبالرغم من قيعة تعاليم « خيتى » من الناحية السياسية ووصف الحالة الاجتماعية للبلاد فإنها قد تضمنت - كما سبق القول - مجموعة من القيم الخلقية تعد من أروع القيم للحياة والسلوك .

فبالنسبة لشخص الحاكم والرجل الحكيم فهو يشير إلى أهمية حسن الكلام ويدعو ابنه إلى الحرص فيه لكي تبقى مكانته لأن الحديث الجيد هو قوة الإنسان وهو بمثابة سلاح له ، وهو يتمسك بفضائل الماضى حيث المجد والحكمة :

« ... كن صانع ماهر للحديث أن هذا يجعلك قوى

اللسان (مثل) السيف (للرجل) والكلام أكثر شجاعة

من أى قتال ، لا يستطيع أحد أن ينال من الرجل

الواعى (المدرك) ، ومن تعرف حكمته لا تهاجمه ،

Wilson , J., Op. Cit., P. 415 .

(١)

الحقيقة تأتي إليه كاملة وتبعا لقول الاجداد : خذ عن والدك واجدادك، انظر كلماتهم تبقى مكتوبة ، افتح (الكتب) لعلك تستطيع قراءة ونسخ حكمتهم ، وبذلك يصبح الرجل الماهر متعلما^(١) .

ومن المؤكد أن تعاليم الحكماء أمثال «بتاح حوتب» وغيره كانت لا تزال تحظى بالاحترام والتقدير ، والفقرة السابقة تتفق في معناها من حيث أهمية الكلام الحسن مع تعاليم «بتاح حوتب» غير أنها تختلف في روحها نتيجة لما مر بالملكية ومصر نفسها من أحداث فبينما كان الوزير الحكيم «بتاح حوتب» مهتما بالنجاح الدنيوي ورضاء الملك الاله فإن مليكنا «خيتي» ينصح ابنه بأهمية ضمان رضى الاله للتمتع بحياة طيبة في عالم الآخرة ولذلك فإن عليه أن يتحلى بالشفقة :

« ... لا تكن شريرا ، فالشفقة طيبة ، اجعل ذكراك حتى الأبد من خلال حب الناس لك والاله سيمدحك كمكافأة لك وستقدر بسبب أفعالك (طيبتك) وسيصلى لك من أجل صحتك ... »

والعدل من أهم الصفات التي يجب أن يتمسك بها الحاكم الصالح ، ولابد أن مليكنا قد رأى عواقب عدم التحلى بها كسمه من سمات الحكم لذلك فإنه في صورة أمر خلقى يطلب من ابنه :

« ... أقم العدل لتوطد مكانتك على الأرض هدى الباكي ولا تظلم الأرملة ، ولا تغتصب من رجل

Ibid., P. 415 .

(١)

ميراث أبيه، ولا تضر المسؤولين في مناصبهم ، ولا
تتولى العقاب (بنفسك) أنه ليس مفيد بك،
(ولكن) أتركه للجلادين وبدون مبالغة ، وبذلك
تستقر الأرض (الأمور) ما عدا المتمرّد حينما
تتكشف خططه لأن الآله يعرف الخائن والآله يعاقب
بالدم ...»

(كانت خيانة الدولة تعد جريمة كبرى عند المصريين) (١) .

والإشارة إلى العدل تؤدي إلى فقرة من أهم الفقرات والمعاني وهو الجزء
الخاص بمحكمة الآلهة في العالم الآخر التي يخضع لها الملك، كما يخضع لها
كل من كان مصيره الموت ويلاحظ أن اللامركزية التي صاحبت فترات ضعف
الدولة وخاصة في أواخر الدولة القديمة بالإضافة إلى انتشار مذهب «أوزير» وما
يمثله من بعث وتسامح وعدالة للجميع – كما سبق وأوضح الدارس في الفصل
السابق – كل هذا كان له أثره في تلك المساواة والتي تتضح في النص :

« ... أنك تعرف أن القضاة الذين يحاكمون المذنب

لا يتسامحون في هذا اليوم ...

ولا تثق في طول السنين لأنهم يعتبرون مدة الحياة

كانها ساعة واحدة والإنسان يبقى (يبعث) بعد

موتة وأفعاله تبقى بجانبه كالأكوام لأن الخلود

مكانة هناك والغيبى من لا يكثرث بذلك (ولكن) من

Ibid., P. 415 .

(١)

يصل إلى هناك بدون أفعال خاطئة فإنه سيعيش

كاله ويتنزه بحرية مثل آلهة الخلود...»^(١).

ومن المعروف أن القبر وما يحويه من أثاث جتزي يستخدمه المتوفى في العالم الآخر كان من أهم الأشياء التي حرص عليها الإنسان القديم ولذلك يشير « خيتي » إلى أن روحه ستذهب إلى المكان الذي تعرفه :

« . . من خلال الناس جيل يمضي بعد جيل والاله الذي يعرف اخلاق (الناس) قد أخفى نفسه ولكن لا يستطيع أحد أن يتحمل (مثل) الاله أنه يهاجم ما تراه الاعين وقر (اعبد) الاله بطريقته مثل الفيضان الذي يحل محله فيضان (آخر) (دليل على إستمراريته وخلوده) إذ لا يوجد نهر يسمح لنفسه أن يخبيئ . أيضا الروح تذهب إلى المكان الذي تعرفه جمل بيتك الغربى (مكان المقبرة كالمعتاد) وجمل مكانك فى الجبانة لأنك رجل مستقيم يحكم بالعدل الذى يرتاح إليه الجميع ، أن اخلاق الرجل المستقيم العقل أكثر قبولاً (أكثر فائدة) عند الاله من ثور الظالم أعمل لاله يعمل من أجلك (ليكافئك) بقرىان يزود به مائدة القرىان وبالنفوش لأن ذلك يحمل (يخلد اسمك) والاله مسارك بمن يعمل من أجله...»^(٢)

Ibid., P. 415 .

(١)

Ibid., P. 417 .

(٢)

وفى الفقرة السابقة مثلها مثل فقرات أخرى فى النص يتضح فيها الاشارات الدالة على ضرورة الابتعاد عن المادية وأن الخلق الطيب والعمل الحسن خالد وراسخ للأبد بل أنه قد يفوق تلك القرابين التى تقدم للآلهة لضمان رضاها (١)، بل أن « خيتى » قد ربط فى وصفه بأن الاستقامة والعدل هم الذين يحظوا بتقدير الناس نتيجة لتوفر العدل الحقيقى ومن الواضح أن هذه الأفكار مثل غيرها من القيم كانت وليدة عصر الانتقال الأول .

ومع هذا فإن علاقته بالاله يجب أن تحظى أيضا بإهتماماته وفى هذا دلالة على تمسكه بخير الماضى وإيمانه بقدرة الآلهة التى تفوق كل وصف ولذا يقول ناصحا أبنه « مرى كارع » (عن الاله) :

« ... لقد صنع السماء والأرض طبقا لرغبتهم
(حسب رغبة أهل مصر) وطرد وحش البحر (يقترح
شارف Sharff بأن المقصود بذلك وحشا هزمه الاله
المخالق عند بدء الخليقة) ولقد صعد إلى السماء طبقا
لرغبتهم ، لقد خلق لهم النبات والحيوان والطيور
والسمك ليطعمهم ، لقد قتل أعدائه وأصاب أولاده
أيضا لأنهم فكروا فى الثورة لقد صنع لهم ضوء النهار
تبعاً لرغبتهم وأبحر لكى يراهم وأقام لهم أماكن
العبادة، وعندما يبقوا يسمعهم لقد صنع لهم حكماً
(حتى وهم) فى البيض . ومؤيد (حامل لظهر
العاجز... » (٢) .

Wilson , J., The Burden of Egypt , P. P. 120

(١)

Wilson, J., The Instruction for King Meri-Ka-Re, Anet, P. 120.

(٢)

وطبيعى فإن الاله الذى يقوم بكل هذه الأعمال الطيبة من أجل اسعاد رعاياه ويمتلك تلك القوة العظيمة لابد وأن يحظى فى قلب وعقل الانسان المصرى القديم بكل طاعة وتقدير ولذلك فإنه على الرغم من أن مليكنا قد اهتم بضرورة الحياة المستقيمة الصالحة فوق الأرض إلا أنه قد جعلها هى الركيزة والمقدمة للحياة فى العالم الآخر فجاءت كلماته لتؤكد تلك الموازنة بين تصوره للقيم الخلقية التى يحب التحلى بها وبين تلك التقاليد الموروثة والتى لم يكن من السهل التخلي عنها أو تركها وخاصة فيما يتعلق بتلك المعتقدات الدينية .

ولذا يوصى ابنه «مرى كارع» :

« ... أعمل آثار (للاله) لأنها تجعل أسم صاحبها

يبقى، الرجل (الملك) يجب أن يفعل لمنفعة روحه :

الخدمة الشهرية ويرتدى الصندل الأبيض ، ويزور

المعبد ، ويكشف أسرار العقيدة (يتعمق فيها)

ويدخل فى المعبد لإجعل مائدة القرابين مضاعفة،

زود الأربعة وزود العطايا اليومية ، أنه مفيد لمن

يفعل ذلك، أجعل آثارك خالدة حسب قدرتك، يوم

واحد يعطى للمخلود ، وساعة واحدة تنفع فى

المستقبل ، والاله يدرك من يعمل من أجله ...»^(١)

ويتضح فى الفقرة السابقة أهمية بناء المباني والمعابد للآلهة والعمل على زيارة هذه الأماكن المقدسة وإقامة شعائرها الدينية وتقديم القرابين اللازمة

Ibid. , P. 416 .

(١)

والتمسك بالطهارة والنقاء للحصول على عطف الآلهة .

وتطرق النص إلى أشياء دنيوية أخرى كثيرة بعضها يتعلق بشخص الحاكم وإقامته للطقوس الدينية ومحاكاة الأقدمين والأجداد ، وفي حديث لا يخلو من حكمة وعدالة يتناول النواحي السلوكية والادارية لكبار رجال الدولة وكيفية اختيارهم وضرورة احترامهم والعمل على رخاء المجتمع وما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم ورعيته :

« ... احترم النبلاء وأجعل شعبك فى رخاء ... »

قدم الرجال العظماء الذين يمكنهم تنفيذ قوانينك
ومن كان غنيا فى بيته لا يظهر تحيزا (أو محاباة)
أنه لا يريد لأنه يملك ، (ولكن) الرجل الفقير لا
يتكلم إلا حسب مصلحته وهو ينحاز لمن يملك
مكافأة له، بينما الرجل العظيم شجاع ، (وإذا)
كان الملك يملك فى حاشيته العظماء فهو
غنى ... » .

ومع هذا فإن عليه عند اختيار رجاله أن يختار الرجل المناسب الكفاء
وبذلك يضم بلاطه كل ذى مقدرة وكفاءة وهى أمور تستحق التقدير :

« ... لا تميز بين ابن رجل (ذو مكانة أو مولد) وبين

ابن رجل فقير ، (ولكن) خذ الرجل من أجل عمل

يديه (كفاءته) ، وكل عمل ماهر سيكون خبرة

(مران) تبعا إلى (-) الملك ... » (١) .

وفى جملة تحمل كل المعانى الخلقية ينصح الملك أبنه باتباع الحق والعدل حتى تستقيم له أمور البلاد ويهابه الجميع وأن يكون قدوة للجميع وضرب لذلك مثلا لمدخل المنزل وجزئه الأمامى إذا أحسن العناية به فهذا معناه أن البيت كله فى صورة حسنة :

« . إذا تكلمت الصدق (الحق فى بيتك) فإن عظماء

(القوم) الموجودين على الأرض سيخافونك ،

وصواب القلب (العقل) يناسب الملك ، لأن واجهة

المنزل هو الذى يبعث الاحترام فى داخله ... » (٢)

(كانت واجهة المنزل تعبر عن صاحبه من وجهة النظر المصرية القديمة) .

وبالإضافة إلى تلك الارشادات عن فنون الادارة والسياسة وما اتسمت به من قيم وأفكار فالنص يحتوى أيضا الجانب السياسى والأحداث التاريخية التى عاصرت عهد الملك « خيتى » وهو فى حديثه من هذه الأحداث بما فيها من خير وشر يحاول الربط بينهما وبين ارشاداته لأبنه وهى تحوى اعترافات فريدة من نوعها فى التاريخ المصرى القديم ، كما أن الشك لا يتطرق إليها حيث يتحدث الملك بصدق عن حوادث معروفة له ولأبنه وللإنسان المصرى فى تلك الفترة ، وعلينا أن نستشف بقدر الامكان من النص الوقائع الصحيحة لتلك الفترة التى لاتزال يكتنفها الغموض .

Ibid., P. 415.

(١)

Ibid., P. 415 .

(٢)

ونستنتج من التعاليم أن والد « مري كارع » قد تولى الحكم مثله مثل من سبقه من ملوك « أهناسيا » الذين كان نفوذهم محدودا ولم يتعدى « ثنى » (إقليم أبيدوس) فى الجنوب ^(١) وبالرغم من نجاحهم فى إقامة علاقات مع بعض مقاطعات الجنوب ونجاحهم فى تطهير الدلتا من جماعات البدو فإن الجنوب الطيبى قد أخذ موقف العداء من هذه الدولة، والمعروف أنه منذ نهاية الأسرة التاسعة (٢١٣٣) ق.م. وطيبة ^(٢)، تحكم بواسطة أمراء يحملون أسم « أنتف Antef » وفى البداية اعترف أمراء طيبة بسلطان ملوك أهناسيا وهادنوهم ولم ينسبوا لأنفسهم أية ألقاب ، وتلقب زعيمهم « أنتف الأول » (٢١٣٤ - ٢١٣١ ق.م.) فى بعض نصوصه بلفظ عادى مثل : الأمير بالوراثة الحاكم العظيم لأقليم طيبة المحبوب من الملك بإعتباره الحارس على مدخل أقاليم الجنوب كبير الكهنة ^(٣).

هذا بالنسبة للجنوب، أما بالنسبة لمتف فلقد ظلت بمثابة العاصمة الإدارية كما كان الحال فى الدولة القديمة وقد ربطت بالعاصمة الجديدة فى « أهناسيا » عن طريق قناة ^(٤) أما شرق الدلتا فقد أغار البدو الآسيويين على البلاد

Baikie, J., Op. Cit., P. 224 .

(١)

(٢) مدينة « واسة » أو طيبة كما أطلق عليها اليونانيون فيما بعد لم تكن فى عصر الدولة القديمة سوى قريتين على الضفة اليمنى للنيل إحداهما « الأقصر الحديثة والثانية الكرنك » ، وعاصمة المقاطعة كانت تسمى قديما « أون » أو باليونانية (هرمنتس Hermonthis ، أرمنت الحالية) وهناك كان المعبد الرئيسى لاله المقاطعة « مونتن » الإله المحارب، غير أنه فى الأسرة ١٢ أصبح « آمون » هو الإله الرئيسى لطيبة وللدولة كلها ، انظر :

Hayes , W.C., Op. Cit., P. 147 .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 334 .

وكذا :

Winlock, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in (٣)

Thebes, Newyork , 1947, PP. 5 - 6.

Wilson , J., Op. Cit., P. 417 .

(٤)

ويبدو من النص أن الملك قد نجح في القضاء على خطرهم وما يسببوه له من متاعب وأعاد تنظيم البلاد إذ قسمها إلى مناطق إدارية صغيرة وأعطى الكهنة أقطاعات جديدة والنص يتحدث عن ذلك :

« .. أنظر [المنطقة] التي اجتاحتها مقسمة الآن إلى مقاطعات وكلها مدن كبيرة أملاك رجل واحد، الآن في أيدي عشرة رجال مثقلين بكل نوع من أنواع الضرائب الموجودة الكاهن مقدم بالحقول ويعمل من أجلك كجندي .

(وهذا يعنى أن الكاهن عليه أن يؤدي الضرائب المفروضة عليه) ولن يمروا من هنا لأنهم غشاشون في القلب، أنظر القيود تفرض في المنطقة التي قفلتها في الشرق حتى حدود « هابانو » وحتى طرق حورس (وهذا يعنى المناطق التي استعابها من الأجانب) ويضيف بأنه قد ملأها بالناس الذين اختارهم من كل مكان من مصر حتى يمكنهم صد هجوم الآسيويين... »^(١)

Ibid., P. 416 .

(١)

ثم يستمر في الحديث عن الآسيويين واصفا لهم بلادهم باحتقار شديد وهو احساس طبيعى :

« ... الآسيوى التعيس شر أينما يكون ، مبتلى بالمياه
يعانى من الأشجار طريقة غير ممهد بسبب
الجيال ، أنه لا يسكن (يقيم) فى مكان واحد ،
(ولكن) أرجله صنعت ليتجول ، أنه يحارب منذ
وقت حورس (ولكن) لا ينتصر ولا يغلب على أمره
أنه لا يعلن يوم الحرب مثل اللص ..
(انظر لترحاله وعدم اشتراكه فى معارك)
ولكن طالما أنا حى فالمحاربين على أى حال أغلقوا
الأنحاء لقد جلت المناطق الشمالية تذبذبهم ، لقد
أسرت سكانهم لا تقلق نفسك بهم أنه فقط آسيوى
شخص مكروه فى بلاده يمكنه سرقة شخص
واحد ولكنه لا يقوى على مواجهة مدينة بها
مواطنون كثيرون »^(١) .

وربما نستشف من كلمات الملك الاستهانة بهؤلاء البدو الآسيويين ولكنه
فى نفس الوقت يدعو ابنه لكى يعد العدة والتعاون من أجل القضاء على
خطرهم ، ويرى « ولسون Wilson » أن وصف الآسيويين بهذه الصفات وعدم
قدرتهم على مواجهة مدينة يؤكد أن مثل هؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا سببا فى
القضاء على الدولة المصرية القديمة وأن الانهيار كان مرجعه أسباب داخلية .

Ibid., P. 416.

(١)

ثم يعود « خيتى » وينصح ابنه « مرى كارع » بأن يبني الحصون فى الجهة الشمالية ويقصد الملك بالناحية الشمالية، الشمال الشرقى لأنه إذا قامت ثورة فى اتجاه الجنوب فإن ذلك سوف يعطى الفرصة للآسيويين فى الشمال الشرقى للقيام بغارات ويحذره من ذلك قائلا :

« ... أحترس من أن يطوقك اتباع عدوك سواء فى

الشمال أو الجنوب ... »^(١) .

ولهذا حث الملك ابنه « مرى كارع » أن يعمل على إحلال السلام مع الجنوب حتى لا يترك الحدود الشرقية بدون قوات فى حالة قيام حرب .

وهكذا اتجهت ارشادات الملك فى هذا الشأن إتجاهين، إحلال السلام مع مصر العليا وتقوية الحدود الشرقية لمصر لأهميتها الجغرافية .

ولابد أن هذه السياسة كان لها أثرها فى ثراء حكام « أهناسيا » نظرا لإستقرار الأمور لهم إلى حين وصول ضرائب الدلتا من جديد والجرانيت اللازم للبناء من الجنوب وكما يشير النص إلى « مرى كارع » .

« ... أن الأمور تسير فى صالحك فى المنطقة الجنوبية .. »

وبالرغم من صعوبة النص وسياق بعض الفقرات الهامة إلا أنه لا يحفى الواقع من حيث وجود صراع بين كل من مقاداعة « أهناسيا » ومقاطعة « طيبة » التى زاد نفوذها وأحست بقوتها م... جعلها تدخل فى صراع السلطة مع حكام « أهناسيا » .

ولذلك فإن خيتى « يتحدث إلى ابنه مفتخرا باستيلائه على مدينة « ثنى » منجزا عملا عظيما لم يستطع من سبقه من الملوك القيام به » :

Ibid., P. 417 .

(١)

« ... لا تتعامل بالشر مع المنطقة الجنوبية لأنك تعرف النبوءة لمدينة الإقامة الخاصة بها . أنهم لا يعتدون على حدودنا كما قالوا . لقد أخذتها مثل سحابة (يشير إلى أنه قد أخذ هذه الأماكن بسرعة) ، الملك « مري أيب رع » المنتصر لم (يستطع) أن يأخذها ، كن حليما بسببها .. أنه لمن الأفضل العمل من أجل المستقبل ... »^(١) .

كما ينفرد النص بفقرة تعد من أعظم الأشياء التي تركتها لنا تلك الفترة من قيم وهي اعتراف الملك بالفشل وكما يشير « ولسون Wilson » فإن الاعتراف بالفشل كان من الأمور الغريبة بالنسبة لأي مصري وبالذات لشخص الفرعون الذي يعترف بأنه غير معصوم من الخطأ وأنه مثل الآخرين يخطئ وعوقب نتيجة لذلك عقابا شديداً من الآلهة ، والنص يشير إلى ذلك (رغم غموضه) :

« ... لأن جيل سيضغط على جيل كما تنبأ الأسلاف مصر تحارب حتى في تكروبوليس بفتح المقابر - لقد فعلت نفس الشيء ونفس الشيء حدث كما يحدث لمن يقتحم طريق الآلهة ... »^(٢) .

Ibid., P. 416 .

Wilson , J., Op. Cit., P. 416.

(١)

(٢)

وكذا :

في إحدى حلقات الصراع بين أهناسيا ومؤيديها وطيبة ومؤيديها استطاع حاكم أهناسيا - كما يبدو من النص - أن يستولى على مدينة أبيدوس ذات الأهمية الدينية ولكنه استنكر فعلته هذه وربما اضطر أن يقلل تقسيم البلاد ، انظر :

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 336 .

ومن الطبيعى أنه كان يقصد من ذكر هذه الأشياء لأبنة «مرى كارع» أن يتجنب مثل هذه الأمور فى المستقبل لأنها تفضب الآلهة وتمس المقدسات ، وعلى أى حال فنحن لا نعرف ما إذا كان «مرى كارع» قد نفذ نصيحة والده أم لا ولكن الشئ المؤكد أن تلك الهدنة القصيرة بين الشمال والجنوب قد إنتهت عندما بدأ حاكم «طيبة» بالهجوم لتحقيق أغراضه السياسية ولم شمل البلاد .

ومن مجموعة النصوص الشخصية التى وجدت فى مقابر مصر الوسطى والعليا يمكن أن نستنتج أن بعض المقاطعات الجنوبية لم تتردد فى مؤازرة «أهناسيا هيراكليوبوليس» وذلك لمعارضة قوة طيبة من ناحية ومن ناحية أخرى فإن سياسة أهناسيا إزاء حكام الأقاليم المواليين لها قد أتت ثمارها - لفترة ما - أثناء صراعها مع طيبة والتى يبدو أن نتائج معاركها الأولى كانت فى صالح أهناسيا (١) .

ونستطيع أن نجد فى نصوص مقابر أمراء أسيوط التى تنتمى إلى الأسرات التاسعة والعاشرة ما يلقى الضوء على تلك الفترة (٢) ، وخاصة مقابر «نقبيى» وابنه «خيتى» الذى أطلق عليه «خيتى الأول» وتقع مقبرته إلى الوسط وذلك للتمييز بينه وبين «خيتى الثانى» التى تجئ مقبرته بعده، ومن نصوص مقبرة الأخير «خيتى الثانى» أقدم المقابر الثلاثة فإننا نستنتج من نصه ومن سرده لسيرة حياته أنه عاش تلك الفترة قبل اندلاع الحرب بين «أهناسيا» و «طيبة» ونقشه يبدأ باللقاب التقليدية باعتباره حاكم إقليم أسيوط وأنه لم يكذب فى سرد سيرة حياته لأن كل الأعمال الطيبة التى قام بها واضحة أمام الناس وشاهدا على كلامه (٣) ، وصاحب المقبرة يروى لنا كيف أمضى شبابه وكيف تعلم مع أولاد

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى للقديم ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) Petrie, F., Op. Cit., P. 115 .

(٣) Breasted , J. H., Ancient Records of Egypt, PP. 187 - 188 .

الملك، وكيف أصبح حاكماً للأقليم وهو لا يزال صغيراً لا يتعدى طوله القدم^(١)، وهو يحكى بأنه قام بشق القناة بأقليمه مما جلب معه كمية كبيرة من المياه أثناء موسم الجفاف :

« .. لقد أتيت، بهدية لهذه المدينة التي لا توجد عائلات من شمال البلد أو ناس من وسط مصر [...] . »

ويقصد من ذلك بأنه راعى أصول العدالة ولم يأتى بأى عامل بالقوة للعمل فى هذه القناة من أى مكان فى مصر وكان مهتماً بتحسين أحوال البلاد لأقامته مشروعات الري وتوفير سبل الغذاء لرعاياه .

« ... كنت متسامحاً كما هو واضح فى آثارى [-] (تحملت مسؤولية) الحياة فى مدينتى^(٢) وصنعت الـ [-] بالحسب وأعطيت المياه فى منتصف النهار إلى [-] (زودت المياه) إلى الأراضى والأنحاء العالية لقد زودت بالمياه هذه المدينة فى وسط مصر وأوصلتها إلى (الجبال) التى لم تكن ترى المياه (من قبل) ...^(٣) . »

Gardiner , A., Op. Cit., P. 113.

(١)

Breasted , J.,H., Op. Cit., P. 189 .

(٢)

Ibid., P. 189 .

(٣)

وواضح أن « خيتى (الثانى) » يفخر بحسن إدارته لإقليمه وذلك من خلال وصفه لقيامه بواجبه موضحاً عطفه وكيف سمح للمواطن أن يحمل الحبوب لنفسه ولزوجته وللأرملة وابنها وسماحه أيضاً بأن يعطى كل إنسان المياه إلى جاره وإلى كل من فى حاجة إليها الأمر الذى جعله يتباهى بأن عدالته كانت سبباً فى تقريب صداقته للملك فى « أهناسيا »

« ... كنت محبوباً لدى الملك وفى موضع الثقة من

أمرائه ... » (١).

ولابد أن هذه السياسة كان لها وقعها الطيب على نفوس مواطنيه الذين أيدوا هؤلاء الحكام عندما انحازوا إلى جانب « أهناسيا » فى صراعها مع « طيبة » وكان من أكبر المؤيدين لأهناسيا حكام أسيوط « وبنى حسن » ، و « أخميم » و « الأشمونيين » و « وحتنوب » الذين تقربوا بالأعمال الطيبة إلى أهل أقاليمهم رغبة فى تأييد هؤلاء الحكام فى أوقات الشدة (٢) ، وهو ما تشير إليه نصوص « تقيى * » التى تتحدث عن أول حلقات الصراع مع الجنوب وعن شجاعته ، ولكن النص غير واضح عن تفاصيل ذلك الصدام الذى اشترك فيه الملك .

« ... هو سارع إلى المعركة مثل [الضوء] ، كذلك معروفة نتائجه ... » (٣).

Ibid., P. 190 .

(١)

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ١٤٧ .

(*) « تقيى Tefibi » حاكم إقليم أسيوط وتوجد مقبرته ضمن ثلاث مقابر وتقع إلى الجنوب تليها مقبرة ابنه « خيتى الاول » فى الوسط وإلى الشمال منها تقع مقبرة « خيتى الثانى » التى قام « جريفت » بنشر نصوصهم فى :

Gruffth, F., L., The Inscriptions of Siut and Der Refeh, London, 1889.

عن مزيد من التفاصيل انظر :

Breasted , J., H., Op. Cit., PP. 179 - 180 .

Gardiner , A., Op. P. 114.

(٣)

Breasted , J., H., PP. 182 - 183 .

وكذا :

وهو فى حديثه عن الاحتكاك بيه وبين طبيبه وكذلك عن حسن إدارته لإقليمه لا يخفى شعوره القوى بالاستقلال الذاتى وهو يصف حكمه الصالح لإقليمه بأنه مد يد المساعدة لكل شخص فى إقليمه وكان محبوباً ونافعاً للجميع وعامل الأرملة معاملة طيبة وكان بمثابة النيل فى عطائه وفى خيره لأهل مدينته وعن توفيره للأمان وأستباب الأمن والعدل فى إقليمه فإنه يصف :

« ... عندما يأتى الليل من ينام فى الطريق يمدحنى لأنه مثل الرجل الذى ينام فى داره لأنه فى حماية جنودى ... »^(١).

ثم يضيف شيئاً من أهم الأشياء حيث يؤكد أن قيمة الشخص بعمله وكفاءته وفى هذا تأكيد على قيمة العمل والكفاءة مقروناً بالخير وكما يرى « عبد العزيز صالح » أن الشخص النبيل هو الذى يستطيع أن يتفوق بمآثره على مآثر أبيه^(٢) ، ثم يؤكد انتقال الحكم إلى ابنه « خيتى الأول » بالوراثة :

« ... ثم أتى أبنى مكاتى والموظفين كانوا تحت سلطته وحكم حينما كان طفل والمدينة إتهجت وفرحت به وتذكرت الشئ الطيب الذى فعله والده لأن كل نبيل يفعل الخير لمواطنيه سوف يكون مباركاً فى العالم الآخر وسوف يكون ابنه مطيعاً فى منزل أبيه وذكراه (سمعته) ستكون طيبة فى المدينة وتمثاله سيكون معظماً بعد موته (حينما يحمله أبناء أسرته) ... »^(٣).

ومع ذلك فلقد استمرت الحرب الأهلية بين المقاطعات فى محاولة للسيادة على مصر كلها حيث نجد أيضاً فى مقبرة « ابن تفيبى » « خيتى الأول » أضواء

Ibid., P. 181 .

(١)

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

Breasted , J., H., Op. Cit., P. 181 .

(٣)

على ما أُنْتَاب مصر في تلك الفترة من أحوال سياسية واجتماعية حيث يحكى « خيتى » أنه قد ورث الأرض والألقاب الخاصة بأبيه وبالأضافة إلى وظائفه العادية في أقليمه كان أيضاً قائداً للقوات فى كل الأراضى .

ونصفه فى غاية الأهمية لتاريخ الدولة الأهناسية ، ويبدأ النص فى وصف الخدمات التى أداها « خيتى » إلى الملك « مرى كارع » (Mry K3 Rc).

ومرافقته إلى الجنوب حتى الأقليم الحادى عشر (شاسحوتب Sheshotep) ثم عودتهم إلى العاصمة التى خرجت كلها لاستقبال الملك معبرة عن سرورها به ، ويبدو أن الغرض من حضور « خيتى (الأول) » إلى العاصمة هو المشاركة فى بيعة وتتويج الملك الشاب « مرى كارع Mry K3 Rc »^(١) ، الذى أمر فى تلك المناسبة بإجراء إصلاحات وتجديدات فى معبد « وب واوات Wp. Wawet » الآله ابن آوى لآسيوط : »

... آله المدينة أحب « خيتى ابن نفىبى » الذى
ينتظر للمستقبل لكى يعيد (بناء) معبده لكى يرتفع
البناء القديم ، المكان الأصى للعطايا إلى (-)
التى بناها « بتاح » بأصابعه وأسستها « تحوت » من
أجل « وب واوات Wp.Wawet » إله آسيوط...^(٢).

ولكن رغم حالة التقلب بين السلم والحرب فيبدو أنه كانت هناك منطقة هادئة نوعاً فى مصر وهى المنطقة الواقعة فى الأقليم المتوسط بين منف وطيبة حيث جبهانات الأقاليم الوسطى فى بنى حسن وأخميم تزخر بالمقابر الثرية ، ومن أجمل التوابيت المنتمية إلى تلك الفترة توابيت « البرشا » .

Gardiner , A., Op. Cit., P. 114 .

(١)

Breasted , J., H., Op. Cit., PP. 186 - 187 .

(٢)

وكانت البرشا في ذلك الوقت تحوى مقابر حكام اقليم «الارنب Hare» وكانت خمون Khamun (هرموبوليس الاشمونين الحالية) هي المدينة الرئيسية في الاقليم ، وقامت فيها أسرة جديدة من الأمراء قد حلت محل أمراء الدولة القديمة الذين عثر على مقابرهم في الشيخ سعيد إلى الجنوب قليلا، وهذه المنطقة كانت تحت نفوذ الأهناسيين ولكن هناك من الدلائل ما يشير أن ولاء حكامها إلى الشماليين لم يكن ولاء تام وتخلو جدران مقابرهم من أية اشارات لمثل هذا، غير أنهم استطاعوا أن ينهضوا بشئون اقليمهم وكان باستطاعتهم بناء المعابد واقامة المباني العامة وشجعوا الصناعات تحت اشرافهم المباشر مما تسبب في تقدم أحوال الاقليم الاقتصادية والاجتماعية^(١).

غير أننا نجد الكثير من النقوش التي تكيل المدح لحاكم الاقليم وذلك في محاجر المرمر في «حتنوب» وهي توجد إلى الشرق من هذه المنطقة وفيها نجد أسماء حكام الاقليم مصحوبة بصيغ كانت مقصورة من قبل في استعمالها على الملوك وحدهم مثل «فليعيش إلى الأبد» أو مثل «فلتكن حماية الحياة حوله كما «رع»^(٢) إلى الأبد» .

ولقد عثرنا على نصين من أقدم هذه الكتابات تتحدث عن العام ٣٠ ، ٢٠ من حكم هؤلاء الأمراء أنفسهم مما يدل على أن هذه الكتابات مؤرخة بسنين حكمهم وليس الملوك المعاصرين لهم مما يدل على أنهم كانوا أقل تأثرا من حكام الاقاليم الموجودة إلى الجنوب منهم حيث تقابلت المملكتان في قتال أخير^(٣) ، كان النصر النهائي فيها لصالح البيت الطيبى الذى أعد نفسه منذ

Gardiner , A., Op. Cit., P. 114 .

(١)

Breasted , J., A History of Egypt , Pp. 159 - 160 .

(٢)

Gardiner, A., Op. Cit., P. 114 .

(٣)

عهدود الأسرتين العاشرة والحادية عشرة للمعارك من أجل السيطرة على مصر تعرضت أثناءها البلاد لكساد اقتصادى كبير نتيجة للفوضى السياسية .

والنصوص الخاصة بتلك الفترة تذكر المجاعات التى نتجت عن الحرب الأهلية ويحدثنا (عنخ تيفى Ankhtifi) من هيراكونبوليس عن مجاعة رهيبة حلت بمصر العليا فى هذه الفترة بلغت من قسوتها أنها عرفت بعض حالات عن أكل لحوم البشر .

والظاهر أن مصر كلها قد ضعفت من المعارك الأهلية مما عجل بانسحاق طيبة نحو الوحدة ونجاحها فى ذلك الأمر الذى جعل مصر بحلول عام ٢٠٤٠ ق م . تقريبا تمتد من النوبة السفلى حتى البحر الشمالى وأصبح فى إمكان البلاد أن تنهض من الخطر الذى استمر طويلا سواء من الداخل أو الخارج وبذلك أكد فراغت الأسرة الحادية عشرة ما حققوه ^(١)، من نجاح .

وبرغم مما حفلت به تلك الفترة التى أعقبت نهاية الدولة القديمة وما نسميه بعصر الفترة الأولى من أحداث واضطرابات كان لها أثرها فى هبوط الفن من عمارة ونحت وتصوير ، إذا ما قورن بالأعمال الفنية فى الدولة القديمة بإستثناء بعض الأعمال فإن ما يعنى الدارس التأكيد عليه أن تلك الفترة كانت سببا فى ظهور بعض قيم جديدة مثل تنمية وإعادة الروح الحربية وتقدير الفردية والكفاءة، وأهمية العدالة الإجتماعية، والمحافظة على العقائد والتقاليد الموروثة ثم المناداة باتباع المثل العليا والاهتمام بالعالم الآخر وهى ما حوته

Vercoutter, Op. Cit., PP. 338 - 339 .

(١)

بنصوص تلك الفترة وأوئل الدولة الوسطى^(١). وهو ما يجعلنا ننظر إلى تلك الفترة بأنها فترة هامة في تاريخ التقدم الإنساني حيث رأى أن المثل والقيم الخلقية والمساواة هي التي يجب أن تسود مجتمعهم وبالتالي أصبحت « ماعت Meet » بما تعنيه من معاني على درجة كبيرة لدى الإنسان المصري القديم للحصول على رضا النفس وبلوغ السعادة في عالم الدنيا وفي العالم الآخر ولدينا من تلك الفترة نصا يعد من أهم النصوص تصويرا للاتجاه الجديد نحو المساواة الاجتماعية والعدل الاجتماعي والتمسك بالحقيقة ومراعاة أولى الأمر والقائمين على شؤون المجتمع بالتمسك بالحق والعدل وحث للإنسان المصري القديم على أن يتمسك بقيم الحق والمعاني الخلقية وهو ما عبر عنه نص « الفلاح الفصيح » الذي ترجع حوادثه إلى العهد الأهناسي^(٢)، وكما يرى « جاردنر Gardiner » في عهد الملك « خيتي الثالث » حيث جاء ذكر اسمه في حفائر « بترى Petrie » في الرتبة^(٣)، وفي نفس هذه القصة التي نقلت إلينا في نسخ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى^(٤)، وفي هذا دلالة هامة على أن القصة وما تضمنتها من قيم قد وجدت صداها في نفوس الشعب المصري القديم مما جعلها تتداول بعد ذلك وتكتسب الذبوع والشهرة لأنها صورت المبادئ الإنسانية في شكل مواقف ملموسة عبر عنها إنسان مصري قديم أو أديب مصري قدير^(٥)، من حملة الأقلام الذين طالبوا بضرورة العدالة الاجتماعية

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٢ .

(٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر وآثارها ، ص ٤١٤ .

(٣) Gardiner , A., H., Egypt of the PH. P. 112 .

(٤) النص موحود في أربع نسخ منها ثلاث نسخ في متحف برلين فيما يعرف ببردية برلين أرقام (10499 R, 3023 BI., 3025 B2) والنسخة الرابعة بالمتحف البريطاني تحت رقم (19274) ، انظر .

Wilson , J., The Protests of the Eloquent Peasant , Anet, P. 407.

Gardiner , A., H., The Eloquent Peasant , JEA, Vol., 9 , London, (٥) 1923, P. 7.

١. وأصر على حقه رغم ما تعرض له من إضطهاد ولم يخش في الحق غنى أو ذو مركز^(١)، كما صور كيفية الحكم في ذلك العصر سواء عن طريق الفرعون أو من يساعدونه من طبقة الموظفين وأمنية الإنسان المصرى القديم عن العلاقة التي يرجو أن تسود بينه وبين القائمين على أموره حتى يتحقق الخير والعدل الإجتماعى للجميع .

ورغم بساطة القصة فإن الموضوع يتيح للكاتب أن يقص كثيرا عما يعانى منه الناس فى تلك الفترة من فساد وإنعدام العدالة المنتشرة فى مصر فى تلك الفترة وعجز الملكية والسلطة عن تطبيق المثل العليا التي يجب أن تسود المجتمع المصرى .

والقصة بشكل عام تتكون من جزئين، الجزء الأول منها يحكى واقعة ظلم تعرض لها إنسان بسيط يعمل فلاح فى « وادى الملح »^(٢)، « وادى النطرون » يدعى « خون أنبو Khun - Anpu » الذى ترك زوجته وأولاده بعد أن ترك لهم جزءا مما يدخره من الغلال وأخذ الباقي للمتاجرة به :

« .. انظرى إتنى ذاهب أسفل إلى مصر لأحضر طعاما لأولادى وعليك الآن أن تذهبي وتكيلي لى غلالا من الجرن، الغلال التى تبقت من [العام الماضى] ثم قال لها انظرى هناك عشرين مكيال من الغلال لكى وللاولاد وعليكى أن تصنعى لى هذه

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٥٥ .

Wilson , J., Cit., P. 407 .

وكذا :

(٢) الاسم الحالى وادى النطرون شمال غرب أهناسيا ، أنظر :

Wilson , J., Op. Cit., P. 407 .

Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 7.

وكذا :

الستة مكابيل خبزاً وشراباً للأيام التي سأسافر فيها ...» (١) .

عند ذلك سافر إلى مصر بعد أن حمل حميره بالبضاعة المنتجة في وادي النطرون من أعشاب وجلود وأحجار شبه كريمة وكل الأشياء التي يمكن بيعها في مدينة «أهناسيا» العاصمة (٢)

ثم سار جنوباً في اتجاه «أهناسيا» «هيراكليوبوليس» ووصل إلى منطقة تسمى «برفيهي Per - fefi» إلى الشمال من مدينة Medenit (٣) .

وهناك رأى رجلاً واقفاً على شاطئ النهر يدعى «تحوت ناخت» يتولى أمر هذه القرية نيابة عن موظف كبير يتولى نظارة الخاصة الملكية يسمى «رنسي بن مرو» وعندما رأى «تحوت ناخت» ذلك الفلاح وبضاعته مال قلبه إليها وطمع في الإستيلاء عليها وحدث نفسه :

«... ليت لي صنما مؤثراً (وسيلة سحرية) حتى

أتمكن من سرقة بضاعة هذا الفلاح بعيداً عنه...» (٤) .

لذلك فقد لجأ إلى حيلة دنيئة وخاصة أن منزله كان يقع على ممر ضيق بجانب النهر كانت المياه تحيط به من أحد الجوانب بينما الغلال من الجانب الآخر ولذلك أمر «تحوت ناخت» خادماً بأن يحضر له ملائه (قطعة من القماش

(١) Wilson , J., Op. Cit., P. 407 .

(٢) عد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٤

Breasted , J., H., The Dawn of Conscience , P 183 ff. وكذا

(٣) موقعهم غير معلوم وقد تكون مدينة «أطفيح» بحالية بالقرب من الفيوم ، أنظر سليم حسن

Gardiner , A., H.. Op. Cit., P. 7 نفس المرجع السابق ، ص ٥٧ ، وكذا :

Wilson , J., Op. Cit., P 407 (٤)

من داره) وفرشها على الممر في الوقت الذي حضر فيه الفلاح وبضاعته فقال له « تحوت ناخت » كن حريصا أيها الفلاح ولا تطأ ثوبي عندئذ قال له الفلاح سأفعل ما يسرك وعندئذ سار إلى الأمام مرتفعا (بعيدا) عن ثوبه فقال له « تحوت ناخت » أتريد أن تجعل من غلالى ممرا فرد الفلاح عليه أن طريقى جيد والجسر عالى والطريق الوحيد لى تحت الحبوب وهو المكان الذى يوجد فيه رداؤك فهل تسمح لنا أن نمر على الطريق وفجأة قضم أحد حمير الفلاح حزمة من القمح فانتهاز الفرصة « تحوت ناخت » وأصر أن يستولى على الحمار جزاء ما فعل .

« ... أنظر سوف آخذ حمارك لأنه أكل قمحى ... »

فاحتج عليه الفلاح قائلا :

« ... أن طريقى جيد وحزمة واحدة فقط من الغلال

قد ضاعت لقد أحضرت حمارى بسبب [-]

وأنت تستولى عليه لأنه ملا فمه بحزمة من القمح

إني أعرف السيد (صاحب) هذه الناحية ... »^(١).

غير أن ذلك لم يثنه عن فعلته واستمر فى ظلمة قائلا :

« ... ان اسم الرجل الفقير ينطق (فقط) من أجل

سيده وأنا الذى أتحدث إليك فلماذا تذكر صاحب

الضيعة ... »^(٢).

ثم أخ فى ضرب هذا الفلاح البائس وأخذ كل بضاعته إلى داره مما جعل الفلاح يبكى بشدة لما أصابه من ألم وشياع ممتلكاته فقال له « تحوت ناخت » :

Ibid., P. 408 .

(١)

Ibid., P. 403

(٢)

« . . لا تكن مزعجا أيها الفلاح لأنك في أرض رب

السكون (قد يعنى هذا وجود ضريح الآله أوزير

قريب من المكان) ... » (١) .

فاجابه الفلاح :

« ... انك تضرينى وتسرق بضاعتى والآن تمنع حتى

الشكوى أن تخرج من فمى ... » .

· ووجه حديثه إلى رب السكون طالبا العدل :

« ... أنت يا رب السكون أعد إلى مملكتانى ولن أرفع

صوتى الذى يزعجك ... » (٢) .

واستمر الفلاح نحو عشرة أيام يتضرع فيها إلى « تحوت ناخت » لكى يرفع الظلم الواقع عليه ولكن بدون نتيجة فاتجه إلى العاصمة لمقابلة رئيسه « رنسى » ليعرض عليه شكواه ، وفعلا قابله وهو خارج من بيته إلى النهر ليستقل قاربه الرسمى ورجاه أن يرسل معه أحد تابعيه حتى يقص عليه قصته الحقيقية فاستجاب « رنسى » إليه ، وعرف منه القصة كاملة (٣) .

أقام « رنسى » تحقيق ضد « تحوت ناخت » أمام مجموعة الموظفين وبدلا من قول الحقيقة فإنهم إنحازوا ضد الحق ووقفوا إلى جانب زميلهم وشككوا فى

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤١٥ .

Wilson , J., Op. Cit., P. 408 . (٢)

Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 9 . (١)

وكذا .

Breasted , J., H., Op. Cit., P. 185 .

صحة كلام ذلك الفلاح المظلوم وأتهموه بعدم الصدق والمبالغة راغبين أن يقوم زميلهم بإوجاع ما أخذه لأن هذا الموضوع لا يستدعى أن يعاقب من أجله^(١)، ولكن «رنسى» ظل صامتا لم يؤيدهم في إنحيازهم ضد الحق ولم يجب الفلاح بشئ لتنتهى مقدمة القصة ويبدأ الجزء الثانى من القصة التى أراد الأديب أن يضمناها أراءه فى التمسك بالحق والكفاح بصبر وعزيمة حتى يتحقق، وتصوير الظلم وفاعليه والعدل والقائمين بتحقيقه فى صور محببه إلى النفس والقلب من خلال تسع شكايات :

فيبدأ الفلاح شكوته الأولى إلى «رنسى» نفسه بعبارة تحبب إليه فعل الخير وتحقيق العدل :

« ... إذا أبحرت إلى بحيرة العدالة فإنك ستبحر فيها بنسيم طيب ولن يمزق الهواء قلحك وقاربك لن يبطئ ولن يحدث لصاربك أى ضرر ومرساك لن ينكسر ولن يجرفك التيار بعيدا ولن تتذوق أضرار النهر (لن تغرق) ولن ترى وجها خائفا حتى السمك الخائف سوف يأتى إليك وسوف تحصل على أثمن طائر لأنك أب لليتيم وزوجا للأرملة وأخ لتلك التى نبذت و مؤزر لمن لا أم له (دليلا على عدله وشفقته) ودعنى أجعل أسماك فى هذه الأرض يتفق مع كل قانون طيب (عادل) وحاكم خالى من الطمع ورجل عظيم خالى من الأخطاء من يحطم الزور

Wilson , J., Op. Cit., P. 408 .

(١)

(الكذب) ويأتى بالعدل مكانه ، من يلبي بداء
المستغيث ، وعندما أتحدث فهل لك أن تسمعني ،
أقم العدل أنت ممدوح بهؤلاء الذين يحبونك ، أنظر
إني في عسرة ...» (١) .

ويتضح في سطور تلك الشكوى الأولى أن صاحبها مهذب يحاول
إستعطاف من يسمعها لرفع الظلم الذي تعرض له متخذاً من العدالة الضمان له
ولكل من يسير على نهجها النجاح في الحياة والذكرى الطيبة وهي الضمان
للبعد عن الطمع والكذب وكل سوء .

وعند هذا الحد من القصة فإن «رنسي» قد أعجب بفصاحة ذلك الفلاح
فعرض الأمر على مليكه .

«سيدى لقد وجدت أحد هؤلاء الفلاحين أنه حقاً
بليغ وقد سرقت بضاعته ، وأنظر أنه قد حضر
ليتظلم من أجل ذلك ...»
عندئذ رد الملك عليه :

« ... بحق ما تحب أن تراني في صحة دعه هنا
فترة أطول بدون أن تجيبه على شئ يقوله وعندما
يتحدث إلزم الصمت ثم أحضر لنا ما يقوله مكتوباً
حتى نسمعه، ولكن مد زوجته وأولاده بأساليب

Ibid., P. 408 .

(١)

وكذا :

Gardiner, A., Op. Cit., PP. 408 - 409 .

المعيشة ...» (١) .

وعمل «رنسى» بتوجيهات الملك فازسل إلى رئيس قرية وادى الملح الذى قام بإمداد زوجة الفلاح وأسرتة بثلاثة مكاييل من القمح يوميا (٢) .

وهكذا يتضح أنه فى الوقت الذى عبر فيه الكاتب عن وجود فئة من الموظفين الظالمين المستغلين لسلطتهم فإنه أحسن التعبير عن أهمية الكلام الجيد وفى هذا دلالة على أن الفصاحة كانت من الأمور الهامة التى تحظى بتقدير تلك الفترة وما قبلها، أيضا فإن من الأشياء التى يجب الإشارة إليها وتعبير من مميزات تلك الفترة أنها لم تحرم الناس من الكلام إذا اقتضت مصلحتهم ذلك حتى ولو كان هذا فى صورة احتجاج (٣)، بل وتجلت القيم فى أخلاق كل من «رنسى» عندما لم يأخذ جانب زملاء «تحوت ناخت» المجافى للحق، وكذلك الملك الذى أمر بالإحسان إلى عائلة الفلاح دون أن يعرف من هو المحسن عليه (٤) .

وعلى أى حال فلقد عاد الفلاح إلى بث شكواه وحتى الشكوى التاسعة فإنه سيصبح أكثر سخطا وتذمرا بسبب سوء المعاملة وسوف يتهم صاحب الضيعة نفسه بعدم العدالة لأنه بصفته أحد المسئولين فإنه لم ينصفه من هذا الظلم الواضح - بناء على تعليمات الملك - الذى تعرض له ومازال يتعرض له إذ يبدو أن مدير الضيعة قد قاطعه مهددا إياه بالضرب والعقاب إذا ما أصر الفلاح أن يسترد ممتلكاته الضائعة .

غير أن الفلاح لم يائس إلى ذلك ولم يشن التهديد على المطالبة بحقه بل أنه

(١) Wilson , J., Op. Cit., PP. 408 - 409 .

(٢) Gardiner , A , H., Op. Cit., P. 10 .

(٣) Wilson , J., The Burden of Egypt, P. 122 .

(٤) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ص ٤١٥ .

راح يعدد بعض مساوئ ذلك العصر والأنانية التي تفشت في بعض المواطنين
مما جعلتهم بعيدين عن واجباتهم في تحقيق العدل :

« إن كيال الحبوب يعمل لصالح نفسه وذلك الذى
يجب عليه أن يملأ للآخرين (يساعدهم) يسوى
نصيبه ، وذلك الذى يحكم تبعاً للقانون يأمر
بالسرقة ... »

ويضيف :

« ... الانصاف قصير ولكن الضرر يمتد تأثيره
طويلاً وحكمة الامس تقول افعل للفاعل حتى تجعله
يفعله... » (١).

أو بمعنى :

« ... عامل الناس بما تحب أن تعامل به » (٢).

وكما يرى « جاردنر Gardiner » فإن تعبير الامس هنا كان عادة الإنسان
المصرى القديم ليصف شكره وإمتهانه أو عدم شكره (٣) . ويبين له ضرورة
العدل :

(١) . Wilson J., The Protests of the Eloquent Peasant, ANET, P.409 .

(٢) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦١ .

Gardiner, A., H., Op. Cit., P. 12 .

(٣)

« ... اقم العدل يكن (مثل) تنفس الأنف » (١) .

وعن أهمية تحقيق العدالة بين الجميع بدون تحيز أو محاباة :

« .. وقع العقاب ضد من يستحق العقاب ولن يكون هناك شيء يعادل استقامتك هل يخطئ الميزان هل يميل إلى جانب هل ينحاز » تحوت « إذا أظهر الثلاثة تساهل إذا يمكنك أن تميل لجانب وخذ نصيحة فالرجل العظيم إذا كان طماعا فهو ليس حقا عظيم واللسان هو الإستقامة من الميزان والقلب هو الثقل والشفعتين هما ذراعه (٢) ... » .

من الأشياء العظيمة إستخدام كاتب النص تعبير القارب والميزان للعدالة وإتخاذه من أجزاء الميزان ومقارنتها باللسان والشفعتين عند الإنسان وإعادة نفس الكلمات بالمعاني المختلفة (٣) وهي المعاني التي جاء ذكرها في ذلك الأدب الإنساني وعبرت عنها الأديان السماوية بعد ذلك ، كما تهدف المقارنات بين أخلاق وتصرفات «رنسى» وفئة الموظفين من جانب والموازنين من الجانب الآخر إلى ضرورة قيام المسؤولين بإصدار الأوامر العادلة التي لا تخطئ كالموازنين التي لا تميل عن الحق ولا تخطئ .

وفى الشكوى الثالثة يقول :

« ... سيدى انك » رع Re « رب السماء فى صحبة

Wilson , J., Op. Cit., P. 409 .

(١)

Ibid., P. 409 .

(٢)

وكذا : سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٣ .

Gardiner , A., H., Op. Cit., PP. 6 - 7 .

(٣)

حاشيتك أن قوام بنى الإنسان منك لأنك كالفيضان
وانت « حعبى Hcny » اله النيل الذى يجعل المراعى
خضراء ويمد الاراضى القاحلة اكبح جماح
السارق ، دافع عن الفقير ولا تكونن فيضاننا ضد
الشاكى واحذر من قرب الآخرة ... » (١) .

وهى كلها صفات للملك الجالس على العرش رغم أنه لم يذكره صراحة
ولا يزال الغموض يكتنفها (٢) .

وتستمر الاتهامات من جانب الفلاح إلى المسئولين وفئة الموظفين
البعيدين عن الأمانة والشفقة الفاقدين لروح العدالة :

« ... إن « رنسى » لا يزال مستمرا فى خطئه
ووجهه (حواسه) أعمى عما ينظر ، لا يسمع ما
يجب أن يسمع ، ضالا القلب عما روى له ، أنظر
أنت مثل مدينة لا رئيس لها ، أو مجموعة لا رئيس
لها ، مثل سفينة لا ريان لها ، حلف بدون مرشد ،
انظر أنك مسئول يسرق ورئيس (قرية) يقبل
رشوة ، ومشرف ناحية واجبه معاقبة السارقين
ولكنه أصبح قدوه لهم ... » (٣) .

(١) سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

وكذا :

Gardiner , A., H., Op. Cit., PP. 13 - 14 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

Wilson , J., Op. Cit., P. 409 .

(١)

واستمر «خوان انوب» فى شكواه ينقد ويحذر البعيدين عن تطبيق العدالة ففى شكواه قبل الأخيرة ينصرف بالكلمات بحيث تؤدى الهدف منها^(١)، حيث يحذر عن عواقب التغاضى عن العدل :

« .. (الرجل) يسقط بسبب جشعه، والرجل الطماع خالى (بعيدا) عن النجاح لأن قلبه ملئ بالجشع ويفكر فى السرقة، أن السرقة لن تفيدك أنت يا من يجب عليه أن يسمح للإنسان أن يشرف على قضيته العادلة ذلك لأن ما يكفيك فى بيتك ولأن جوفك قد ملا ولأن مكيال القمح قد فاض وإذا اهتز فئانه يضيع فى الأرض ، أقم العدل من أجل اله العدل والذي عدالته موجودة ، وأنت أيها القلم والبردية ودواة «تحوت» (لوحة الكتابة الخاصة بالاله تحوت) كونوا بعيدين عن عمل السوء أنه طيب عندما يكون طيبا وهو طيب فعلا والآن العدل يبقى للأبد يذهب مع فاعله إلى الجبانة عندما يدفن ولكن اسمه لن يمسح (يمحى) من الأرض بل سيذكر دائما للخير^(٢) ، (الذى قام به) ... » .

لم يقتصر الكاتب فى العبارة السابقة ان يحذر من عاقبة الظلم ومن دعوته

Gardiner , A., H., Op. Cit., PP. 12 - 20 .

(١)

Wilson , J., Op. Cit., P. 410 .

(٢)

وكذا : سليم حسن : نفس المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٨ .

لإقامة العدل المرتبط بالآلهة، بل أن الإنسان المصرى القديم قد توصل إلى أن العدل خالد وباق للأبد وأن الإنسان حتى بعد موته ترافقه أعماله فى الحياة الدنيا سيظل خالدًا بسبب حرصه على العمل الصالح وإقامته لأركان العدل وهو ما يؤكد فى الشكوى التاسعة برمز واضح للإنسان المصرى القديم :

« .. لسان الناس هو ميزانهم وهو الذى يزيد
نقائصهم (يكشف طبيعتهم) نفذ العقاب على من
يستحق العقاب والكذب قد انتهى ولا يستطيع أن
يعبر معدية ولن يتقدم، أما من تنمو ثروته فلن
يكون له أطفال ولن يكون له وريث على الأرض، لا
تكن ثقيلا يا من لست خفيفا ولا تتأخر لأنك لست
مسرعا ولا تكن تستمع إلى قلبك (لا تنحاز إلى
أحد) ... » (١) .

وبالنسبة لمن يقلع به (الكذب) فلن يستطيع الوصول إلى الأرض وقاره
لن يستطيع أن يبلغ (الأرض) مدينته ثم يختتم شكوته بتحذيره من الاستمرار
فى التغاضى عن فعل الخير وتحقيق العدل وأنه سيذهب ليشكوه للاله «أنوبيس»
بعد أن شكى إليه بدون نتيجة (٢) .

عند ذلك أرسل «رنسى» اثنين من تابعيه لكى يحضروه وبعد أن طمانه
نتيجة خوفه لما بدر منه من كلام وأطلععه على شكواه مكتوبة (٣)، لكى يطلع

Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 20 .

(١)

وكذا :

Wilson , J., Op. Cit., P. 410 .

Ibid., P. 410.

(٢)

Gardiner , A., H., Op. Cit., P. 21.

(٣)

الملك عليها حيث أمره بأن يقضى فى القضية حسبما يراه فقام بتجريد « تحوت ناخت » من ممتلكاته واعطاها للفلاح تعريضا له عما أصابه من ظلم^(١).

ويتضح لنا من النص الحالة الإجتماعية والسياسية وكيف رأى الإنسان المصرى القديم أن العلاج الأمثل لن يتحقق إلا بوجود حاكم صالح وطبقة من الموظفين الأمناء وبذلك تعود العدالة إلى مكانها فى نظام وطيد الأركان وهو ما جعل ذلك المتنبي الحكيم « نقرر هو » بعد وصفه لما آلت إليه الحالة من اضطراب وفوضى ويرى العلاج فى ظهور حاكم صالح تعود به العدالة إلى أرض الوادى لأنه يحب العدل (ماعت) ، الأمر الذى يجد بالدارس أن يتناول معه الأفكار والقيم من خلال عصر الدولة الوسطى .

Wilson , J., Op. Cit., P. 410 .

(١)

وكذا :

عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٤١٧ .

الأسرة العاشرة ٢١٣٠ - ٢٠٤٠ ق . م

معلوماتنا قليلة عن هذه الفترة ، ولكن على الأقل أسماء ملوك هذه الأسرة معروفة لدينا من خلال المصادر الأثرية المختلفة ، من نهاية الأسرة التاسعة تولى الحكم فى طيبة عدد من الأمراء حملوا اسم « إنتف » (أنتوف) ، فى البداية دان أمراء طيبة بالولاء لملوك أهناسيا ولكن بحلول عام ٢١٣٠ ق . م بدأ حكام طيبة يشعرون بأنهم أحق بتولى زمام الأمور وأعلنوا ذلك صراحة يحملهم القاب ملك مصر العليا ومصر السفلى ، وبذلك أصبح هناك عاصمتان الأولى فى أهناسيا حيث الأسرة العاشرة ، ثم الأسرة الحادية عشرة وعاصمتها طيبة فى الجنوب ، وبذلك تعاصرت الأسرتان العاشرة فى أهناسيا ، والحادية عشرة فى طيبة كالتالى :

الأسرة العاشرة (٢١٣٠ - ٢٠٤٠ ق . م)

مرى حاتحور (نفر كارع) ٢١٣٠ - ٢١٢٠ ق . م

واع كارع (ختى الثالث) ٢١٢٠ - ٢٠٧٠ ق . م

مرى كارع ٢٠٧٠ - ٢٠٤٠ ق . م

الأسرة الحادية عشرة ٢١٣٣ - ٢٠٤٠ ق . م (والعاصمة طيبة)

سهر تاوى « إنتف الأول » ٢١٣٣ - ٢١١٨ ق . م

واح عنخ « إنتف الثانى » ٢١١٧ - ٢٠٦٨ ق . م

نخت نب تب نفر « إنتف الثالث ٢٠٦٨ - ٢٠٦٠ ق . م

سعنخ إب تاوى منتوحتب ٢٠٦٠ - ٢٠٤٠ ق . م

ثم تتابع الملوك المناطحة لمصر الموحدة حتى نهاية الأسرة الحادية

عشرة. (١)

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 333 .

(١)

ولابد من الإشارة إلى أن طيبة لم تكن في عصر الدولة القديمة أكثر من قرية قليلة الأهمية على الضفة الشرقية للنيل (تضم الأقصر الحديثة والأخري الكرنك) ، والواقع أنها ربما كانت في هذه المرحلة أصغر أربع مدن صغيرة تضمها المقاطعة الرابعة لمصر العليا ، أما المدن الأخرى فهي الطود على بعد عشرين ميلا إلى الجنوب الشرقي ، وأرمنت (Iun Reayt) « هرمونتس » مقابل الطود عبر النهر ، ومدامود إلى شمال طيبة بالقرب من الصحراء الشرقية ، والآلهة الرسمية لأقليم « واست » هو الآلهة « مونتو » (إله الحرب) - حيث لم يكن أمون قد نال الشهرة الكبيرة بعد إلامع بداية الأسرة الثانية عشرة - (١) ، ويمكن القول أن أمراء طيبة بالتدريج وتحت حكم الأسرة العاشرة نجحوا في أن يجعلوا من أنفسهم قوة لا يستهان بها وكونوا حلقة من الإقليم المجاورة ، حتى انتهى الأمر بزعامتهم للجنوب ، واشتهر حكامهم باسم « الأناقة » واتخذوا من طيبة عاصمة لهم (واست) ، وتعاقبت أدوار الصراع بين طيبة وأهناسيا حتى حسمت طيبة الأمر حوالي عام ٢٠٤٠ ق. م .

بداية عصر المتاحفة أو ما يمكن أن نسميه مؤسس الدولة الوسطى حمل بالتعاقب ثلاثة ألقاب حورية ، ولا زال عدد من الباحثين على غير بينه مما إذا كانت هذه الألقاب لثلاثة ملوك حكموا على التعاقب أم كانت لأقل من ثلاثة، (٢) بينما هناك وجهة للنظر ترى التالي : الملك منتوحتب الأول (نب حبت رع) ٢٠٦٠ - ٢٠١٠ ق. م وقد حمل اللقب الحورى « سعنخ إب تاوى فى الفترة من ٢٠٦٠ - ٢٠٤٠ ق. م ثم لقب « نترحجة » فى الفترة من ٢٠٤٠ - ربما إلى ٢٠٢٥ ق. م ، ثم اللقب الثالث « سما تاوى » - - إلى ٢٠١٠ ق. م .

Ibid., P. 333.

(١)

وكذا : Gardiner , A., Op. Cit., P. 116 .

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المدح السابق، ص ١٢٢

ثم الملك منتوحتب الثانى (سعنخ تاوى إف) ٢٠٠٩ - ١٩٩٨ ق . م .
الملك منتوحتب الثالث (نب تاوى) ١٩٩٧ - ١٩٩١ ق . م . (١)

منتوحتب الأول ٢٠٦٠ - ٢٠١٠ ق . م :

تعاقب اللقب الحورى لمنتوحتب الأول كان معاصراً لكل مراحل حكمه،
عند وفاة والده « إنتف الثالث » حمل اللقب « سعنخ إب تاوى (أى محى قلب
الأرضين) وتحت هذا اللقب قاد قواته لاختضاع شمال مصر ، وحينما نجح فى
هزيمة أهناسيا حمل حوالى عام ٢٠٤٠ ق . م اللقب الحورى « نترحجة » (سيد
التاج الأبيض) وحينما مد نشاطه إلى كل أنحاء مصر فى الجنوب والشمال أخذ
اللقب الحورى الأخير « سما تاوى » بمعنى موحد الأرضين ، وغير واضح
بالتأكيد كيف حقق هذه الانتصارات ، بالقوة المسلحة فقط ، أو باستخدام
الدبلوماسية ، المهم أنه فى أول سنى حكمه الذى دام نحو واحد وخمسين عام
أقام نفسه ملكاً على مصر كلها دون منازع .

لم تقتصر جهود « منتوحتب » على المجال الداخلى بل أهتم ببلاد
« واوات » النوبة السفلى التى قدمت الجزية ، وساعدت البعثات المصرية
وزودتها بالجنود ، كما أرسل حملة فى العام الثانى من حكمه إلى وادى
الحمامات لإحضار الفيروز من مناجمها ، كذلك أرسل قواته إلى ليبيا وقتل أحد
قادة التحنوتامين حدود مصر الغربية ، كذلك أهتم بتأمين واحات الصحراء
الغربية .

كذلك أهتم بالتشييد والبناء حيث أقام معابد كثيرة فى أسوان ، والكاب
والطود ودندرة وأبيدوس وغيرها ، (٢) وشهدت العمارة تقدماً ملحوظاً كما

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 348 .

(١)

Ibid., P. 348 .

(٢)

Gardiner , A., Op. Cit., P. 120 - 121 .

يتضح ذلك من معبد الجنازى الفريد فى نوعه . الذى بناه بين صخور الجبال على الضفة الغربية لطيبة ، فى المنطقة المعروفة بأسم الدير البحرى ، وهو يحوى فى تصميماته كثيراً من التجديدات ، حيث الطريق الجنازى الغير مسقوف الذى يبلغ طوله ثلاثة أرباع الميل ويمتد من مبنى الوادى إلى فناء كبير محاط من كل جوانبه ما عدا الغربى منها بجدران عالية ، وعند الطرف الغربى للفناء الأمامى أقاموا صفين من الأعمدة المربعة ، حجبت الجانب الشرقى من شرفة عريضة أقاموا فوقها المعبد ، وأقام الملك داخل حدود المعبد كلا من قبره الرمزي وقبره الحقيقى (١)

منتوحتب الثانى ٢٠٠٩ - ١٩٩٨ م

بعد وفاة « إنتف » الابن الأكبر لمنتوحتب الأول تولى ولده « منتوحتب الثانى » البالغ من العمر حوالى الخمسون عاما تقريباً الحكم لمدة قصيرة حوالى اثنى عشر عاما ، ومع ذلك فلقد كان دأب النشاط فى إقامة المعابد ، وهناك نص نقش فى العام الثامن من حكمه على صخور وادى الحمامات يروى كيف أن أحد رجاله المدعو « حننو Henenu » (حنو) أرسل إلى هناك على رأس بعثة قوامها ثلاثة آلاف جندي بعد أن ظهرت قوة من البوليس الطريق أمامهم من العصاة ، ويروى (حنو) تزويد جنوده بالمؤن والماء والخبز ، وعند وصوله إلى ساحل البحر الأحمر أمر جنوده بتركيب السفن ، وتم هذا بسهولة ثم أبحرت السفن إلى بلاد بونت ، وعند عودته قام بقطع أحجار تخص تماثيل للملك .

منتوحتب الثالث ونهاية الأسرة الحادية عشرة (١٩٩٧ - ١٩٩١ ق م)

بردبة تورين تنهى الأسرة الحادية عشرة بحكم الملك منتوحتب الثانى « ولكن هناك فجوة تتمثل فى فترة سبع سنوات بين نهاية حكم منتوحتب الثانى

Edwards , I.E.S., Op. Cit., PP. 172 - 176 .

(١)

وبداية حكم أمنمحات الأول (الأسرة ١٢) هذه الفترة تتطابق مع حكم متوحتب الثالث ولقبه الحورى ب تاوى ، والذي تولى الحكم لفترة قصيرة حوالى ٦ سنوات ومعظم معلوماتنا عنه تأتى من خلال نقوش عثرنا عليها فى وادى الحمامات حيث أرسل وزير له يدعى « أمنمحات » على رأس حملة يقدر عددها بنحو عشرة آلاف من الرجال وذلك لاستحضار أحجار لتابوت الملك ، وعادت بعد تحقيق هذه المهمة ، وتحدث الوزير « أمنمحات » بعد أن ذكر لقبه نجاحه وأفتخاره بإنجاز هذه المهمة التى كانت ذو أهمية كبيرة فى حياته، الأمر الذى جعله يخصص لها أربع نقوش لكى يسرد فيها تفاصيل هذه البعثة. (١)

بهاية الأسرة الحادية عشرة يكتنفه الغموض ، ولذلك رأى بعض الباحثين ومنهم « جريمال » أن الأسرة قد أنتهت بالملك « متوحتب الرابع » الذى خرج عليه وزيره أمنمحات صاحب البعثة السابقة ، على اعتبار أن الوزير « أمنمحات » والملك « أمنمحات » شخصاً واحداً ، وهى أمر فى حاجة لمزيد من الأدلة (٢) .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 354 .

(١)

(٢) جريمال ، نيقولا ، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويحاتي، مراجعة ركية طيورادة، القاهرة،

١٩٩٣ ، ص ٢٠٤ .

الفصل السادس

عصر الدولة الوسطى

الفصل السادس

عصر الدولة الوسطى

أمنمحات الأول مؤسس الأسرة :

حوالى ١٩٩٠ ق.م. (١٩٩١ ق.م. تبعاً للمؤرخ هيز W.Hayes) الوزير أمنمحات اعتلى العرش وحمل اللقب الحورى سحتب إيب رع هذا هو أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة الذى ذكره مانيتون باسم « أمنمس » ، ظروف توليه الحكم غير واضحة ، مع احتمالية نشوب حرب أهلية حيث الوزير « أمنمحات » لم يكن ينتمى إلى العائلة الملكية ، مع احتمالية نشوب حرب أهلية حيث الوزير « أمنمحات » لم يكن ينتمى إلى العائلة الملكية ، مع مراعاة عدم استبعاد قرابته للملك « منتوحتب الثالث » مع التأكيد بأن صعوده للعرش لم يكن بسبب صلاته بعائلة ملوك الأسرة الحادية عشرة وهو ما توضحه النصوص التى تناولت هذه الفترة ، وعلى وجه الخصوص « نبوة نفر رهو » (نبوة نفرتى) وغيرها من النصوص .

من الواضح أن « أمنمحات الأول » أراد أن يجعل من عصره بداية لعصر جديد كما يبدو هذا واضحاً من أحد ألقابه « وحم مسوت » أى معيد الولادات ، وكذلك من اختياره بحكمة عاصمة جديدة فى مكان أكثر مركزية يقع بين الدلتا ومصر العليا وأطلق عليها « إيثت تاوى » (أى القابضة على الأرضين بمعنى المهيمنة عليهما) . وهى قرب اللشت الحالية فى شمال الفيوم ، ومع ذلك فقد ظل بهتم بطيبة وأقام بها المعابد تمجيداً للإله آمون الذى بدأ نجمه فى الارتفاع حتى وصل إلى درجة كبيرة مع بداية عصر الدولة الحديثة .

أما سياسته تجاه أمراء الأقاليم فكانت فى غاية الحكمة ، فحتى ذلك

الوقت لم تبد فى الجو مسألة القضاء تماما على سلطان حكام الاقاليم ، مع مراعاة ان الظروف لم تكن مهياة لذلك بسبب تعاظم نفوذهم منذ عقود طويلة من السنين ، ويبدو هذا واضحا فى المقابر العظيمة التى شيدها لأنفسهم فى اقاليمهم ، وعلى سبيل المثال إقليم بنى حسن حيث مقبرة خنوم حتب حاكم إقليم الوعل (المقاطعة رقم ١٦ من مصر العليا) ، وكذلك فى مقبرة ابنه الذى يحمل نفس الاسم ما يشير إلى أنهم كانوا سادة فى ممارسة حقوقهم ، وتبعهم الكثير من الموظفين تذكروا القابهم بالوظائف التى كانت تتصل بالقصر الملكى ، وبالرغم من ذلك ومن خلال نقوش خنوم حتب على مقبرته نلاحظ ان أمنمحات الأول فى الوقت الذى اتبع سياسة حكيمة فى مخاطبة ود الكثير من حكام الاقاليم الاقوياء فإنه لم يتوانى عن استعمال الشدة فى ظروف أخرى فهو الذى ابقى على المواليين له وعزل غير المواليين له وخاصة من الحكام الضعاف ، وهو قد حدد حدود كل اقليم « ليجعل كل مدينة تعرف حدودها مع غيرها وقد ثبت أحجار حدودها كالسماء وعرفت مياهها طبقا لما جاء فى الكتابات .. كل ذلك بسبب عظمة حبه للعدالة » .

وقد سجل الانسان المصرى القديم تراثه الفكرى فى عدد كبير من الوثائق كما عبر عنه أيضا فى التراث الأثرى الخالد سواء فى العمارة أو النحت أو النقش

وقام العلماء بدراسة هذا التراث وتحليل مادته التاريخية واستنباط الحقائق التى سجلها التاريخ فى مجال القيم والمفاهيم والمثل العليا سواء فى الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجوانب السلوكية الفردية أو الجماعية .

وقد ترك الإنسان المصرى القديم المنتمى إلى عصر الدولة الوسطى تراثا فى هذا الموضوع ، وفى مجال المادة النصية يتضمن هذا التراث النصوص التالية :

نبوءة « نقر ر هو »

نصائح « أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول »

نص « أمينى » حاكم مقاطعة الغزال

نص « منتوحتب وزير الملك « سنوسرت الأول » بالاضافة إلى نصوص أخرى.

وعلى الرغم من تداخل المفزى السياسى مع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسلوكية فقد حاول الدارس تصنيف وتحليل مضمون المادة لتاريخية فى تلك الوثائق حسب الجوانب سالفة الذكر حتى يمكن أداء التحقيق الدقيق لتلك المثل العليا فى المجتمع المصرى القديم على المستوى الفردى والجماعى الشخصى والرسمى لتلك الفترة، وسوف يبدأ الباحث بالجانب السياسى .

تناولت النصوص الملكية فى عصر الدولة الوسطى التعبير عن القيم والمثل التى آمن بها الانسان المصرى القديم وإصراره على وجود حاكم صالح على رأس المجتمع حتى يحقق له الخير والاستقرار وعكست النصوص هذه الرغبة مع مراعاة أن كثيرا منها كان بتأثير من الملوك لتحقيق أهدافهم السياسية فى الحكم غير أنها حوت كذلك على حالة مصر الاجتماعية فى تلك الفترة^(١).

وينتمى إلى هذا النوع من النصوص الأدب الخاص بالتنبؤات وفيه يقوم المؤلف بسرد مجموعة من أحداث الماضى وما مر بالبلاد من أزمات بغرض التحذير من تكرار مثل هذه الأمور والاستفادة من دروس الماضى للحاضر والمستقبل مع ضرورة طرح الحلول والآراء السديدة للخروج بالبلاد مما تعانى من اضطراب وفوضى وسوء الأحوال إلى الخير والاستقرار والحكم الصالح وهى

Vercoutter J., Op. Cit., P. 380 .

(١)

كلها هدف دائم للإنسان المصرى على مر العصور وهو ما تضمنته نبوءة « نفر رهو Nfrw-hw » (١) ذات المغزى السياسى للتمهيد لـ « أمنمحات الأول » (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م.) الذى سيستولى على الحكم فى مصر من الشمال إلى الجنوب وسيبدأ عهد جديد يحقق فيه المثل العليا للإنسان المصرى القديم وأهمها العدل والخير والاستقرار (٢) .

ولكى يجذب المؤلف وهو من مصر السفلى آذان سامعية لذلك النص الهام فلقد وضع قصته فى إطار تمثيلى واضح لكل من يسمعه وادعى أن قصته قد أقيمت فى وجود الملك « سنقرو snfrw » الذى يحتفظ له الإنسان المصرى القديم بكل حب وتقدير لتمسكه بالعدل والخير الذى مكن لحكمه ولشعبه الاستقرار والتقدم الحضارى على أسس ثابتة وربما هدف الحكيم من ذكر « سنقرو » أن يكون قدوة لمليكه فى العدل والحب والاستقرار أو أراد الملك أن يوحى لشعبه عن طريق النبوءة بما سيحققه حكمه من عدل ورفاهية .

والوثيقة تبدأ بسرد عادى لما يحدث فى القصر الملكى حيث كان تابعو الملك يقدمون له التحية ويخرجون ثم يعودون مرة أخرى لتقديم التحية تبعاً للمعادن اليومية ، عندئذ قال الملك لمستشاره الذى يقف بجانبه :

« اذهب واحضر لى (ارجع) موظفى مقر الملك الذين

قد خرجوا من هنا ليقدّموا لى تحياتهم فى هذا

[اليوم] . . . » .

(١) نبوءة « نفر رهو » موجودة بمتحف لينتجراد وقد نشرها العالم : « جولنشف Golenischeff »

فيما يعرف بيردية « سان بطرسبرج رقم 116 B » والنص كان يستخدم للأغراض المدرسية

فى الأمريتين الثامنة عشر والتاسعة عشر ، انظر :

Wilson , J., The Prophecy of Neferti, ANET, P. 444 .

Ibid., P. 444

(٢)

فدخلوا للقاء جلالته للمرة الثانية حيث تحدث إليهم
بكل ود وتواضع :

« يا قومى . لقد أمرت بطلبكم لكى أطلب منكم أن
تبحثوا عن ابن لكم حكيم ، أو أخ لكم متمكن أو
صديق من أصدقائكم قد أنجز عمل طيب ، أى
شخص يتحدث إلي بكلمات حسنة وجمل مختارة
عند سماعي لها فربما [جلالتي] تجدها
مسلية ... » .

عندئذ أجابوا جلالته :

« يوجد كاهن عظيم ممثل للآلهة « باستت Bastet »^(١)
يقوم بالطقوس وملما بالسحر أسمه « نفر رهو »
انه شخص مهاب بذراعه (قوى الساعد) وكاتب
قدير بأصابعه ، انه شخص ذو منزلة وله أملاك
(أكثر من أى شخص) هل يسمح له برؤية
جلالتكم ... »^(٢) .

وبعد تلك المقدمة جئ بالحكيمة « نفر رهو » إلى الملك الذى دعاه
باعتباره صديقه ولم يقم باستدعاء أحد من الكتبة للقيام بالكتابة وإنما فضل أن

(١) الآلهة باستت : آلهة مدينة « باست » (هوباسطة) رمز إليها بشكل آدمى برأس قطة تحمل
بأحدى يديها صورة رأس الاسد الخاص بالآلهة « سخمت » وفى اليد الأخرى « ستروم »
الموسيقى وكان المصريون يتحدثون عنها باعتبارها شخص ودود محبوب ، انظر : ارمان :
نفس المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

Wilson , J., Op. Cit., P. 444 .

(٢)

يقوم بنفسه بذلك وأن يسمع من الأحاديث المختارة عما سيقع فى المستقبل .

وكما يرى « ويلسون Wilson » فإن اهتمام الإنسان المصرى القديم بالمستقبل يبدو معقولا وخاصة أن فيه دلالة على إعادة الماضى بخيرة المرتبط بحكم « سنمرو »^(١) .

ولكى يؤكد حاجة البلاد لهذا الملك العادل فإن حكيمنا يبدأ فى وصف الأوضاع التى تدعو تولى مليكه للحكم لتخليص البلاد مما تعانيه من الفوضى التى حولت البلاد (خراب) بسبب عدم الاهتمام بها وهى الأوضاع التى أصابت مصر منذ نهاية عصر الدولة القديمة وتوالى الملوك الضعاف الذين تضاءلت سيطرتهم على أنحاء مصر .

وأصبح من يمتلك القوة يطالب العرش لنفسه وأصبح حكام الأقاليم كل منهم بمثابة الحاكم فى اقليمه^(٢) ، والنص يعبر عن ذلك :

« ... ستعيش الأرض فى فوضى وأريكم الابن وكأنه

عدو والأخ كخصم والرجل يقتل أبيه المجاعة والفقر

يملآن الأرض ولكن زعمائها كثيرون ... »^(٣) .

ومن المحتمل - حسب النبوءة - وجود الأجانب فى الدلتا حيث قام « أمنمحات » فى النصف الأول من حكمه بطرد هؤلاء الأجانب الذين زحفوا على الدلتا خلال الفوضى التى أعقبت حكم « سنوسرت » (الإله المقدس) والتى استمرت نحو سبع سنوات وكانت العلامة المميزة لنهاية الأسرة الحادية

Ibid., P. 444 .

(١)

Breasted , J., H., Op. Cit., P. 216 .

(٢)

Vercoutter , J., Op. Cit., P. 355.

(٣)

عشرة^(١)، وللحيولة دون عودة مثل هؤلاء الأجانب فقد بنى الحصون القوية على حدود الدلتا^(٢) وربما أراد الكاتب كما يرى «بوزنر Posner» قد تعتمد أن يخلط أحداث عصر الانتقال الأول بأحداث نهاية الأسرة الحادية عشرة والقلائل التي وجدت فيها هادفاً من ذلك رفع شأن مليكه^(٣)، وخاصة أن تلك الأحداث لا زالت في ذكرى مؤلف النص ويرغب في التحذير منها عدم تكرارها^(٤).

ثم يتحول «نقر رهو» إلى هدفه الرئيسي ذو المغزى السياسى موضحاً الرأى السديد الذى سينقذ البلاد مما تعانیه من فساد فى الحكم والادارة معلناً قدوم الملك الذى سيخلص مصر :

«ولكن انظروا سيأتى ملك من الجنوب يدعى» أمينى
ymny «(اختصار لأسم أمنمحات) أنه ابن امرأة
نوبية^(١)، أنه ابن مصر العليا، وسيستلم التاج
[الأبيض] وسيلبس التاج الأحمر (موجداً بذلك
التاج المزدوج ذليلاً على وحدة البلاد) وسيرضى
بذلك الآلهة (كما يرى ولسون كلا من الآله حورس
والآله ست)، وسيفرح أهل زمانه وسيجعل ابن
الإنسان (الملك) اسمه باقياً إلى الأبد...»^(٥).

Winlock, H., E., Op. Cit., P. 54 . (١)

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 361 . (٢)

وكذا : و . ايمرى : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة هندوسية، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة
١٩٧٠ ، ص ١٤٥ .

Vercoutter, J., Op.Cit., P. 356 . (٣)

Wilson , J., Op. Cit., P. 444 . (٤)

قد يقصد بذلك تاستى .

Gardiner, A., H., Onom., Vol. 2, P. 2 انظر .

Wilson , J., Op. Cit., PP. 442 - 446 . (٥)

ويتضح من الفقرة السابقة أن المؤلف لا يحاول إخفاء الأصل الغير ملكي لأنمنحات الذى نجح فى إعادة سلطان مصر فى تلك الفترة بل أنه يركز عليه مؤكدا نجاحه فى تحقيق الأمان والاستقرار فى الحكم وهو الأمل الذى اهتم كل مصرى إلى تحقيقه وهو أهم فى نظره من الأصل الغير ملكي الذى يبدو أن هناك كثيرون غير « أمنمنحات » يطلبون العرش لأنفسهم لدرجة أن ظهوره قد أصبح أمراً عادياً لدى الإنسان المصرى الذى توصل نتيجة تجاربه أن قيام الملك بتحقيق متطلبات المجتمع يعد أهم من تلك القيم القديمة بشأن الأصل الملكى حسبما كان الحال من قبل فى الدولة القديمة .

ولا تزال الأدلة تعوزنا عن هذا النص وهل كتب بعد نجاح « أمنمنحات » فى تولي العرش وأن نجاحه فى اصلاح أحوال مصر كان متوقعا، أو أن « نفر رهو » كان مرسلا بمعرف « أمنمنحات الأول » إلى الوجه البحرى بعد نجاحه فى تنظيم أمور مصر العليا وذلك للقيام باعلاء شأن مليكه مبشرا ومؤكدا نجاحه فى ربوع مصر كلها^(١) ، وهو ما تؤكد اصلاحاته التى قام بها بعد نجاحه فى الاستحواذ على السلطة .

ويشير « هيز Hayes » إلى الظروف التى صاحبت نهاية الأسرة الحادية عشرة حيث تولى « سنوسرت » المسمى والد الاله الحكم بعد « منتوحتب الثالث » ثم أعقبته فترة خمس سنوات تولى فيها الحكم عدد من الملوك الضعاف تركوا بعض الآثار فى النوبة، وفى نهاية الأسرة الحادية عشرة والتى استمرت نحو سنتين تولى الحكم « منتوحتب الرابع » (نب تاوى رع) (١٩٩٣ - ١٩٩١ ق.م.) الذى أرسل البعثات إلى (وادى الحمامات) ومنها نستدل على قيام وزيره « أمنمنحات » بحملة من عشرة آلاف رجل إلى « وادى الحمامات » لقطع الأحجار الخاصة بتابوت الملك ويبدو أنه قد وجه هذه القوات الكبيرة بعد

Breasted , J.H., Op. Cit., P. 203 .

(١)

عودته لكى يستولى على عرش مصر كلها ويؤسس أسرة جديدة تتولى الحكم (١).

بينما يرى بعض المؤرخين أن «أمنمحات» كان وزيرا «لمنتوحتب الثالث» وأنه لم يكن من أصل ملكى وهو نفسه الذى تولى حكم مصر بعد عودته هو وفرقته البالغ عددها عشرون ألف رجل كانت مكلفة بحراسة إحدى البعثات الملكية أمام هجمات البدو الذين اعتادوا الهجوم على مثل هذه البعثات حيث نجح بعد عودته فى تأسيس الأسرة الثانية عشرة (٢).

وعلى أى حال فلقد كان على «أمنمحات» كحاكم طيب تقى واجب وطنى هام وهو حماية وطنه والقضاء على المغيرين ودفع غاراتهم وتأمين حدود مصر وواجب آخر وهو القضاء على الفساد والشر بإصلاح النظام الداخلى ولذلك فلقد قام «أمنمحات» بإعادة تنظيم مصر بعد الاضطرابات التى ميزت نهاية عهد «منتوحتب الثالث» فحدد حدود المقاطعات «لقد جعل كل بلدة تعرف حدودها مع الأخرى حتى تكون حدودها ثابتة كالسما» وخضع موقع العاصمة لتنظيماته الجديدة فأعاد «منف» كعاصمة إدارية للبلاد وقد يبدو ذلك لأن طبيعة لم تكن تبدو شديدة الاخلاص لشخصه أو أنها فى قلب مصر العليا لم تكن موقعها تصلح لتكون عاصمة لكل الدولة، كما يتضح من الاسم الذى اختاره «أمنمحات» لعاصمته الجديدة «ايت تاوى» ومعناها «القابضة على الأرضين» والتى يحتمل أن تكون بالقرب من المكان المسمى الآن «باللشت» حيث تم العثور على الهرم الخاص «بأمنمحات الأول» وذلك لسهولة الاشراف على جزئى

Hayes, W.C., Op. Cit., PP. 167 - 168 .

(١)

Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs , P. 124 .

(٢)

Hawkes , J., Op.Cit., P. 300 .

وكذا

منملكته من المواقع الجديدة والقضاء بالقوة على أى محاولة للنيل من سلطته (١) .

والخطر الحقيقى من حكام الأقاليم كان واردا فى ذهن « أمنمحات » وخاصة فى اللحظات الحرجة أو هذه الأوقات من الضعف المؤقت عند تغيير الملوك ، لهذا يبدو ان « أمنمحات الأول » قد تجنب ذلك عن طريق نقل السلطة قبل وفاته ويدل على ذلك العثور على لوح حجرى فى أبيدوس (٢) ، فى العام العشرين من حكمه يحكى انه اعطى لابنه « سنوسرت الأول » مكانة ملكية متساوية بينما كان هو نفسه لا يزال على العرش وهو اتجاه حكيم فبالإضافة إلى توريث أبنه والخبرة المكتسبة نتيجة ذلك فإنه سيجنب البلاد شر الاضطرابات للمطالبة بالعرش وهى أشياء لمسها « أمنمحات » نفسه وعانى منها الإنسان المصرى أشد المعاناة (٣) .

وعلى الرغم من محاولات « أمنمحات الأول » وجهوده فى إعادة النظام القديم وتثبيت دعائم ملكه بقدر ما سمحت له الأحوال مراعىا كل الظروف التى تمر بها البلاد فى تلك الفترة وقيامه بالموازنة بين رغبته فى مركزية الإدارة واللامركزية التى تمسك بها حكام الأقاليم غير مضحيا بتلك الروح الفردية وحقوقها الموجودة فى المجتمع (٤) ، برغم كل هذا فلقد تعرض لمؤامرة غاضمة دبرت للنيل منه ، اختلفت آراء العلماء فى تحديد وقتها الزمنى وبالتالي أيضا فى

(١) Breasted , J.H., A History of Egypt, P. 157 .

(٢) أبيدوس : تعرف باسم « العراة المدفونة » تقع على حافة الصحراء غربى مدينة البلينا أسسها القديم « أبدو » ضمن الأقليم الثامن من مصر العليا ، أنظر :

Gardiner , A. H., Onom., P. 36 .

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 361 . (٣)

(٤) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

التاريخ الخاص بنصه^(١)، الذى يتضمن نصيحة مختصرة إلى أبنه وتعد فى الوقت ذاته نوع من الوصايا السياسية^(٢)، وهناك من الآراء آيان الأول يميل إلى الاعتقاد بأنه قد حدث للملك مؤامرة لاغتياله فى العام العشرين من حكمه وأنه نجا منها وأشرك أبنه «سنوسرت الأول» وأفضى إليه نتيجة تجاربه والأسلوب الأمثل للحكم والحياة بما يساعده فى تمييز ما يقابله من ظروف الحياة^(٣)، وهو رأى مجموعة من العلماء منهم «برستد Breasted» ويتفق معه «جريفث Griffith» الذى يؤرخ النص قبل موت «أمنمحات الأول».

وهناك رأى ثان يرى أصحابه أن المؤامرة حدثت فى العام الثلاثين من حكمه وأنها نجحت فى القضاء على «أمنمحات الأول» وتمكن أبنه وخليفته أن يعود من حملته العسكرية أى الغرب فى المناطق الليبية تلك الحملة التى اشترك فيها «سنوهى» واستطاع بالفعل أن يجمع مقاليد الأمور فى يده خلقاً لأبيه مديراً أمور البلاد ويوصى أحد كتاب عصره أن يقص القصة على لسان أبيه «أمنمحات نفسه»^(٤)، وهو رأى «ماسبرو Maspero» وكذلك «دى بيك De Buck» الذى أخذ نفس وجهة النظر بأن النص بعد موت «أمنمحات»، وفى بحث للعالم «جن Gunn» فنه يميل إلى الموافقة على وجهة النظر التى تميل

(١) من المرجح أن كاتب هذا المقال يدعى «خيتى» للعثور على مخطوط من الأسرة التاسعة عشرة وفيه رجاء لصالح الكاتب المتوفى «هذا الممتاز لاختيار المنطوقات، أعطى اسمه للأبدية أنه هو من كتب تعاليم ملك مصر العليا والسفلى «سحتب أيب رع» حياة رفاهية صحة، عندما ذهب ليستريح عندما اتصل بالسماء ودخل بين سادة نكروبوليس، انظر :

Wilson, J., Op. Cit., P. 418.

Gardiner, A., New Literary works from Ancient Egypt, JEA, (٢) Vol. 27, P. 22.

Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, P. 229. (٣)

(٤) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ١٦٨ .

إلى أن النص قد كتب بعد وفاة « أمنمحات » الذى ظهر لابنه بعد وفاته فى حلم أو رؤية ليكشف له الحقيقة (١).

وعلى أى حال فلا زالت الأدلة تعوزنا حتى يمكن تحديد أى الآراء أقرب إلى الحقيقة العلمية لهذا النص الذى يظهر النصيحة التى قدمها « أمنمحات الأول » إلى ابنه وخليفته سنوسرت الأول، باعتبارها رد فعل طبيعى لحاكم من أعظم الفراعنة المصريين الذى أدار شئون مملكته بحنكة وخبرة وبرغم جهوده من أجل إقامة دولة ناجحة فإنه يقابل بجهود ومؤامرة على حياته نفسها كانت دافعا أن تعكس على نصه نوع من عدم الاقراط فى الثقة .

ويهم الدارس أن يوضح أن الإنسان المصرى القديم هنا ممثلا فى شخص « أمنمحات » أو فى شخص خليفته قد استطاع بفكره التابع من ضميره أن يحدد أن لكل إنسان دور يؤديه فى حدود وظيفته، والملك نفسه حسبما نجده فى نصائحه يوضح فى تلك الوثيقة قيامه بواجباته السياسية نحو رعاياه على الوجه الأكمل بل ويحث ابنه وخليفته أن ينهج نهجا سويا مستفيدا من تجارب أبيه .

ويبدأ الملك نصه باعتبار أن التعاليم موجهة من جلاله ملك مصر السفلى والعليا « أمنمحات » المنتصر (المتوفى) فى خطاب صدق إلى ابنه (خطاب الصدق يعنى حلم أو رؤية من الملك المتوفى للملك الحى) ويوجه الملك الحديث إلى ابنه وخليفته بصفة من صفات الالهة حيث يقول له :

« ... أنت الذى ظهرت كآله استمع إلى ما ينبغى أن

أقوله لك حتى تستطيع أن تكون ملك الأرض

وحاكم المناطق وحتى يمكنك تحقيق فائز من

Breasted . J., H., Op. Cit., PP. 228 - 229 .

(١)

وكذا :

Gunn , B., Notes on Ammenemes, 1, JEA, Vol., 27, P. 3 ff.

الخير....» (١) .

وتتضح فى تلك المقدمة اتجاه ملوك الدولة الوسطى فى استعادة ما فقدته الملكية من مكانة والارتباط الشديد بين الملوك والآلهة حين يخاطب أبنه باعتباره سيد الكل وكيف أنه تالق أو ظهر كاله واستخدام نفس الفعل *hꜥ* الذى يستخدم بانتظام للتعبير عن شروق الشمس وأيضا ظهور القرعون (٢) ، وهو ما سبق الإشارة إليه فى الارتباط بين ملوك الدولة القديمة والآلهة .

ومما يؤكد ما ورد فى هذه النصائح تلك النصوص المعروفة باسم « قصة سنوهى » لأنها تروى أن سنوهى كان مع ولى العهد سنوسرت (الذى اشركه أمنمحات معه فى الحكم ابتداء من السنة العشرين من حكمه) فى حملة على ليبيا حينما وصل رسول من القصر وأبلغ الأمير برسالة سرية بان والده الملك أمنمحات قد تعرض لمؤامرة على حياته وأن الظروف تقتضى عودته بسرعة، وقد أتاحت الفرصة لسنوهى كى ينصت إلى الرسالة ومن الجائز أنه كان على علاقة بالمتآمرين فخشى على حياته وفر هاربا إلى فلسطين حيث أقام هناك وتزعم إحدى القبائل إلى أن وصل إلى سن الشيخوخة، وحينئذ صدر عفو ملكى بالعفو عنه نتيجة التماس قدمه فعاد إلى مصر .

(١) المستندات الموجودة لهذا النص تأتى من الاسرات الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين (١٥٠٠ - ١١٠٠ ق.م. تقريبا) عندما كانت هذه الكتابات شائعة تستخدم كنوع من التمرين لتلاميذ المدارس وقد نقل النص فى أربعة برديات :

بردية ميالنجن Mellinger، بردية برلين رقم ٣٠١٩ ، بردية ساليه رقم ١١ ، بردية المتحف البريطانى رقم ١٠١٨٢ ، بالإضافة إلى ما يقرب من ٣ طاولات كتابة، ستون شقفة ولقة جلدية ،

أنظر :

Wilson , J., The Instruction of King Amenemhet, ANET, P. 418

وكذا :

Breasted , J., H., Op. Cit., Pp. 230 - 231!

(٢)

سنوسرت الأول : (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق.م.) :

نجح سنوسرت الأول فى التغلب على تلك المؤامرة التى جاء ذكرها فى بصوص والده، لكننا لا نملك تفاصيل كيفية تغلبه على هذه المؤامرة، وتولى العرش قرابة ثلاث وأربعون عاما، وفى خلال العامين الأخيرين قبل وفاته اشرك هو أيضا ابنه « أمنمحات الثانى » .

استمرت جهود « سنوسرت الأول » فى بلاد النوبة ، تلك الجهود التى بدأها منذ كان مشاركا فى الحكم مع والده، وتابعها بعد أن تولى العرش بمفرده، وفى العام الثامن عشر من حكمه حوالى ١٩٥٤ ق.م. وصل إلى « كوش » ، حيث ذكر « أمينى » حاكم قسم الوعل فى مصر الوسطى، أنه قاد فيلق من الجنود تحت قيادة مليكه سنوسرت وغزا النوبة وتوغل فيها حتى بلغ كوش .

والمعروف أن سياسة مصر خلال عصر الدولة القديمة تجاه بلاد النوبة تتركز أولا فى الناحية الدفاعية، للاهتمام بحدود مصر الجنوبية، ثم الاهتمام بالجوانب التجارية مع بلاد النوبة، وفى عصر الدولة الوسطى زاد الاهتمام ببلاد النوبة بسبب الدوافع الاقتصادية حيث أرسل سنوسرت الأول حملة عادت محملة بالذهب ، وأصبح الحصول على الذهب من بلاد النوبة من أهداف ملوك عصر الدولة الوسطى، بحانب تأمين الحدود الجنوبية لمصر فى الجنوب، وذلك بالسيطرة على بلاد النوبة وجعلها تابعة وموالية لمصر .

وبالنسبة لسورية (بلاد الشام) التى شهدت مع بداية الدولة القديمة نشاطا ملحوظا وزيادة البعثات التجارية إلى سيناء والمدن الفينيقية لجلب الفيروز والنحاس والأخشاب ، لكن فى نهاية عصر الدولة القديمة توقفت البعثات والنشاط التجارى ولم تعد إلا مع بداية الأسرة الثانية عشرة ، ومن خلال نص « سنوهى » نستطيع أن نستشف أنه خلال حكم « سنوسرت الأول » المنفرد الذى بلغ نحو ثمان وثلاثين عاما لا توجد خلالها أى حروب أو مشاكل

حدودية مع الجانب الآسيوي ، ورسل الفرعون المصري وصلت إلى كل مكان بدون عائق أو متاعب ، كذلك أكدت الحفائر الأثرية في فلسطين وسوريا تنامي الجوانب التجارية بين الجانبين ، فعثر في أوجاريت (حاليا رأس الشمر) على عقد على شكل تماثم تحمل اسم سنوسرت الأول ، وعدة جعارين وأوان نقشت بأسماء مصرية عثر عليها في فلسطين ، وسورية في مدن عدة منها غزة ، جازر ، بيسان ، مجدو وغيرها .

وكما يرى « فور كيته » فإن القصر المصري نجح في تقديم إهداءات الملوك الفراعنة إلى أمراء سوريا وأمراء آسيا في مقابل هداياهم ، وطلبها للتحالف والتعاون التجاري ، وأن هذه السياسة كانت موجودة منذ عهد « سنوسرت الأول » ، وشملت هذه السياسة أيضا بلاد النوبة وكريت مما يؤكد أن العلاقة بين مصر وكريت لم تكن فقط منذ عصر الدولة الحديثة وإنما تعود في جذورها لفترة بعيدة على الأقل إلى عصور الدولة الوسطى (١) .

ولما رأى « سنوسرت الأول » ما عاد عليه من المميزات والفوائد من اشتراكه مع أبيه في الحكم اشرك هو أيضا ابنه « أمنمحات الثاني » مع في الحكم لمدة عامين تقريبا وتوفي عام ١٩٢٨ ق.م. وأعقبه ابنه « أمنمحات الثاني » .

أمنمحات الثاني (١٩٢٩ - ١٨٩٥ ق.م.)

سار على سياسة والده تماما ، ثم اشرك معه في آخر حكمه ابنه « سنوسرت الثاني » في الملك لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، وشهدت مصر في عهده وعهد والده فترة من الرخاء والرفاهية ، ففي خلالها فتحت مناجم سيناء ، وكذلك محاجر الرخام ، وأكثر « أمنمحات » من حفر الآبار والمحطات على الطريق الموصل فقط بالبحر الأحمر فتمكن القوم من اجتيازه في خمسة أيام ، وهذا

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 367 .

(١)

الطريق شمال وادى الحمامات وينتهى بالقصير ، وساد السلم علاقات مصر الخارجية ، وأصبح مركز مصر الخارجى قويا ، وليست هناك نصوص عن قيام حملات عسكرية خلال حكمه ، ووطد صلاته بجيران مصر ففى النوبة كان موظفى الملك يترددون عليها بانتظام ، وفى آسيا سار على نفس سياسة والده بدليل العثور على تماثيل مصرية مغطاة بالذهب والبرونز^(١) ، وكان المصريون يستوردون القصدير اللازم للصناعات البرونزية عن طريق موانئ فينيقيا ، وقد عثر أيضا على أوان صغيرة مهداه إلى حكام جبيل^(٢) ، كما عثر على تمثال صغير على هيئة « أبو الهول » فى « قطنة » .

كذلك استمر فى إرسال البعثات إلى جهات مختلفة لكثير من موانئ البحر الأحمر (وادى جاسوس) ، وكذلك إلى بلاد « بونت » ، خلفه ابنه « سنوسرت الثانى » (١٨٩٧ - ١٨٧٨ ق.م .) الذى تابع سياسة والده ، أما عن نشاطه العسكرى الوحيد فقيامه بحملة تفتيشية على بلاد النوبة .

نبذ « سنوسرت الثانى » أهم التقاليد الثابتة فى عمارة الهرم وهو كون موقع المدخل فى الواجهة الشمالية ، وأصبحت الأهمية الأولى هى المحافظة على سلامة الهرم بوضع مدخله فى مكان لا يتوقعه من سيحاول سرقته - لكن الأثرى فلندرزبترى الذى حفر هذا الهرم المشيد عند اللاهون على حافة الفيوم نجح فى العثور عند الناحية الجنوبية من الهرم على بشر تهبط عمودية ثم تؤدى إلى مصر على عمق ٤٠ قدما تحت سطح الأرض يوصل عن طريق غير مستقيم إلى حجرة الدفن المبنية من الجرانيت ، ثم عثر بعد ذلك فى مكان بعيد فى الجنوب أيضا على بشر ثانية أكبر من الأولى تهبط أيضا إلى الممر ، وعن طريق البئر أنزل إلى هذا الممر التابوت الفخم المصنوع من الجرانيت الذى وردى والذي عثر عليه فى

Ibid., P. 371 .

(١)

(٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ص ١٨٦ .

حجرة الدفن، علاوة على مائدة للقرايين صنعت من المرمر، كذلك اختلف هرم « سنوسرت الثاني » فى بنائه العلوى فى كثير من النواحي عن أهرام أسلافه، فقد احتوى بناؤه الداخلى على ربوة من الصخر ترتفع عن سطح الأرض حوالى ٤٠ قدما، وفوق الصخر أقام شبكة من الجدران الساندة وملا المساحات المختلفة بين تلك الجدران بالطوب اللبن .

ثم كسى هذا البناء الداخلى بأحجار جيرية من نوع جيد، وشيد المدماك الأسفل داخل الأساس الصخرى ليتحمل ضغط البناء الخارجى، ويوجد حول كل جانب من جوانب القاعدة خندق غير عميق مملوء بالرمال الغرض منه امتصاص مياه الأمطار التى كانت تنزل على واجهة الهرم (١) .

سنوسرت الثالث (١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق.م)

نال « سنوسرت الثالث » (خع كاورع) شهرة كبيرة لم يحصل عليها أحد من ملوك عصر الدولة الوسطى، وعبرت وجوه تماثيله عن شخصية قوية تتميز بقوة الإرادة والحزم والصرامة، وأثبت بعمله فخر انتسابه لتلك الأسرة المجيدة، والمعروف عنه أنه اجتهد منذ توليه الملك لضم النوبة نهائيا إلى مصر، والظاهر أنه مع بداية الألف الثانى قبل الميلاد شهدت بلاد النوبة عناصر وتحركات كان لها تأثيراتها، فتحرك لها الملوك « منتوحتب » و « أمنمحات الأول » لتأمين النوبة السفلى « واوات » ، لكن تحركات هذه الجماعات عادت للظهور وربما استفادت من فترة السلم خلال عصرى « أمنمحات الثانى » و « سنوسرت الثانى » ، ويبدو أن مدينة « كرما » كانت أحد المراكز السياسية للقوى النوبية الجديدة وربما بحكم موقعها البعيد جنوب الجندل الثالث أصبح الأمر خارج عن السيطرة، وتقلصت العلاقات بين مصر وكرما، وبرغم عدم وضوح التفاصيل فلقد كانت مصر على وعى تام بالخطر الذى يتهدد حدودها الجنوبية، لذلك تدخل

Edwards , I.E.S., Op. Cit., P. 183 .

(١)

« سنوسرت الثالث » بنفسه وقاد ما لا يقل عن أربع حملات ناحية الجنوب للقضاء على أعداء مصر هناك، ومهد لذلك بتأكيد اتصالاته وتحسين القنوات، فشق لأسطوله طريقا بين الصخور في ناحية الجندل الأول بلغ عرضها ٢٠ ذراعا، وطولها حوالي ١٥٠ ذراعا، وعمقها نحو ١٥ ذراعا، وقد سمي هذا الممر « طريق سنوسرت » .

وفي العام الثامن من حكم « سنوسرت الثالث » أجريت إصلاحات وتوسيعات لهذا الطريق المائي قبل قيامه بحملة أخرى في النوبة، وتغلب الملك على كوش، وشيد عددا من الحصون في « سمنة وقمنة »، وأعلن رسميا أن تلك الجهات هي حدود مصر الجنوبية وأقام أثرين نقش عليهما :

« هذا هو الحد الجنوبي لحدود بلادنا، وممنوع مرور كل زنجي بطريق الماء أو الأرض سواء أكان في سفينة أم في قافلة ويستثنى من ذلك الزنجي الذي يخترق الحدود من أجل التجارة أو توصيل رسالة فهو لاء يعاملون بكل أكرام . . » وأتبع التعليمات بتشديد الحصون الحربية ومراكز المراقبة وبذلك نجح في تأمين الحدود والتجارة معا من ناحية الجنوب .

كذلك في سوريا فلقد غير « سنوسرت الثالث » سياسة أسلافه، حيث أعاد السلام إلى شبه جزيرة سيناء، وأصبحت حملات التعدين من الآن يجب أن تكون مصحوبة بحماية مسلحة .

وفي بداية حكمه قاد « سنوسرت الثالث » بنفسه حملة إلى فلسطين حيث دارت معركة حربية عند سكيم Sekmem (احتمال أن تكون سشم الحالية)^(١)، وغير واضح سبب هذه الحملة، وربما كانت بسبب إغارة بعض القبائل الآسيوية أو بدو الصحراء المتاخمين لفلسطين إغارة مفاجئة فوجه إليهم

Vercoutter, J., Op. Cit., PP. 377 - 378 .

(١)

هذه الحملة التي كسرت شوكتهم، ويحتمل أنه وجه كذلك حملة إلى ليبيا^(١) . وبذلك أصبحت حدود مصر آمنة من جميع الجهات .

أما عن سياسته الداخلية فلقد حقق نجاحا كبيرا في القضاء على نفوذ حكام الأقاليم ، وحرمتهم من امتيازاتهم وحقوقهم الوراثية في تقليد أولادهم نفس مناصبهم ومحاولة التشبه بالملوك، وغير واضح سبب قيامه بهذا الأمر، هل بسبب ثورة كان يعتزم هؤلاء الأمراء القيام بها عند تولية الحكم، أو لعدم موافقته بالنسبة للامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ودرجة الاستقلالية عن الملوك، وتعرف أنه حوالي ١٨٦٠ ق.م. خلال منتصف عهده اختفى نفوذ هؤلاء الحكام ، كما انتهت الألقاب المحلية التي كانت تشير إلى سنوات حكمهم الخاصة لأقاليمهم ، وأصبحوا في عهده مجرد موظفين عاديين، وأصبحت الأقاليم تدار من الإدارة الملكية بواسطة ثلاثة من الأقسام واحدة للدلتا، وأخرى لمصر الوسطى ، وثالثة لمصر العليا، يرأس كل قسم موظف كبير يساعده عدد من المساعدين ، وعدد من الموظفين ، والجميع تحت إشراف الوزير^(٢) .

وقد شيد هرمه في دهشور متبعا نمط « سنوسرت الثاني » في استخدام الطيب اللبن لإقامة البناء العلوى والاستزادة من عدد الحجرات والممرات في الجزء الأسفل .

وعندما تقدم « سنوسرت الثالث » في السن أشرك معه ابنه « أمنمحات الثالث » لفترة قصيرة توفى بعدها، فأعقبه على العرش « أمنمحات الثالث » .

(١) محمد أبو المحاسن عصفور : نفس المرجع السابق ، ص ١٤٤

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 374 .

(٢)

أمنمحات الثالث (١٨٤٢ - ١٧٩٧ ق.م.)

تميز عهده بفترة الحكم الطويلة التي بلغت نحو خمسة وأربعين عاما، تميزت بالمشروعات العظيمة التي قام بها والتي عادت على مصر بالرخاء وضاعفت حاصلات البلاد، كما أهتم بمشروعات الري، فقد أصدر الأوامر لحامية قلعة سمنا بأن تقيس في جهتها أقصى ارتفاع لمياه النيل كل سنة فتأسس هناك مقياس للنيل، كانت ترسل من خلاله ارتفاعات الفيضان وبالتالي يمكن تقدير كميات المياه الواردة مع مجئ الفيضان ، وتقدير كميات الحبوب الممكن انتاجها في خلال السنة، كما نجح في إقامة خزانات المياه في الجزء الشمالى الغربى من الفيوم في المكان المعروف حاليا ببحيرة قارون ذلك المكان الذى كان يتحول مع مجئ الفيضان إلى بحيرة عظيمة، فلما أتى ملوك الأسرة الثانية عشرة فطنوا إلى خزن المياه وتصريفها وقت التحريق وقد بدأ ملوك الأسرة هذا المشروع *، لكن الفضل الكبير في انجازه يرجع إلى أمنمحات الثالث الذى أطال السدود فزادت مساحة الأراضى الزراعية بدرجة عظيمة (حوالى ٢٧,٠٠٠ من الأفدنة الزراعية)، مما عاد على ميزانية مصر بالخير الوفير ومكن « أمنمحات الثالث » من القيام بنهضة عمرانية شاملة في كل مكان في مختلف البلاد، وخاصة ذلك القصر العظيم الذى شيده في منطقة الفيوم ، وأطلق عليه « اللابيرنت » تشبيه لقصر وجد في مدينة كونسوس بجزيرة « كريت » ، وتحدث عنه « هيرودوت » كأنما هو أعجوبة فاقت حتى الأهرام ، كما تحدث عنه « سترابون » بأنه كان يحوى عددا ضخما من الأبهاء والغرف متصلة بعضها ببعض

* مشروع سد اللاهون لتوسيع رقعة الزراعة في إقليم الفيوم والتحكم في مياه الفيضان المتجهة إلى بحيرة قارون، يبدو أنه بدأ في عهد سنوسرت الثانى، ثم اتسع مداه في عهد « أمنمحات الثالث » فنسب إليه ، انظر :

عبد العزيز صالح : نظم الملكية الزراعية والحقوق العينية، الجمعية التاريخية : القاهرة ، ١٩٧٤، ص ٣٤ .

عن طريق ممرات دوارة لا يستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها^(١) ، ومما ذكره «سترابون» :

« ... لدينا هنا أيضا (إلى جوار بحيرة موريس) اللابرنث ، وهو عمل يتساوى مع الاهرام ، ويلاصقه قصر الملك الذى بى اللابرنث ، فإذا ما تقدمنا بعد المدخل الاول للقناة بنحو ٣٠ أو ٤٠ استادا لوجدنا سهلا مستويا فيه قرية وقصر كبير مكون من عدد من القصور بقدر عدد ما كان فى مصر من الاقاليم سابقا ، ويوجد عدد مساو من الأبهاء الكبيرة المحاطة بالأعمدة وهى ملاصقة لبعضها البعض وعلى خط واحد مكونة مبنى واحداً يشبه جدارا طويلا أمامه هذه الأبهاء الكبيرة ، ولا يستطيع أى اجنبى أن يجد طريقه إلى هذه الأبهاء الكبيرة أو يخرج منها دون دليل يرشده ... »^(٢) .

ويقع هرم أمنمحات الثالث بالقرب من هواره فى الجانب الشمالى من اللابرنث ، وكان بناؤه العلوى حسب عادة عصره من الطوب اللبن ومكسيا بالحجر الجيرى .

أمنمحات الرابع (١٧٩٨ - ١٧٩٠ ق.م.)

حينما توفى « أمنمحات الثالث » تبعه ابنه « أمنمحات الرابع » وكان شريكا له فى الحكم مدة قصيرة قبل وفاته ، لكن هذا الملك لم يدم طويلا فى الحكم فقد توفى بعد حكم ٩ سنوات ، ٣ شهور ، ٢٧ يوم تبعا لبردية تورين ، ولم يترك خلال هذه المدة سوى بعض آثار صنيعة تدل على أنه أرسل بعثات إلى المحاجر والمناجم فى وادى الهمدى وسيناء وأنه شيد بعض العماير فى الفيوم . كما عثر على اسمه فى بيبيلوس (جبيل) ، لكن الصورة كانت تشير إلى

Gardiner, Op. Cit., P. 8.

(١)

Edwards , I.E.S., Op. Cit., PP. 138 - 189 .

(٢)

اضمحلال الدولة والأسرة التي حافظت على هيبتها مدة تزيد عن مائتي سنة تقريباً، ويبدو أنه لم يترك له وريثاً لملكه فتبعته الملكة « سبك نفرو » .

سبك نفرو «نفروسوبك» (١٧٨٩ - ١٧٨٦ ق.م.)

جاءت «سبك نفرو» فى ختام الأسرة وهى التى ينسبها «مانيتون» إلى أمنمحات الرابع بوصفها أخته، وتعطى لها بردية تورين ثلاث سنوات وعشرة شهور، علماً بأن قائمة اببيدوس تتجاهلها، بينما تذكرها قائمة سقارة باسم «سبك كارع» كخليفة لأمنمحات الرابع، وهناك احتمال أن تكون ابنة للملك «أمنمحات الثالث» وأن لم تتولى الحكم بعده حيث سبقها إلى ذلك أمنمحات الرابع الذى يصعب تحديد صلاته بها كما أنه ليس هناك من دليل على اشتراكها معه فى الحكم.

انفردت بالحكم بعد وفاة أمنمحات الرابع، ومما يدل على تقلدها العرش الألقاب التى حملتها مثل : ملكة مصر العليا والسفلى ، المنتمية للريشين ، سيدة الأرضين ...»

وبوفاة هذه الملكة وعدم وجود وريث للعرش، وربما لحدوث اضطرابات داخلية أو منازعات بين أفراد العائلة الملكية دخلت مصر فترة مضطربة من تاريخها السياسى .

وأما فن الأسرة الثانية عشرة فإنه من الصعب الإشارة إليه هنا وإنما سنعطى مثالاً للإرتباط بين الأحداث السياسية والفن وكما عكست النصوص التيارات الفكرية التى حفلت بها تلك الفترة فإن الفن أيضاً قد عبر عن تلك المشاعر البشرية التى تمثلت فى ملوك عصر الدولة الوسطى .

فبينما صور فنان الدولة القديمة ملكة كما رآه من الواقع فإن فنان الدولة الوسطى قد صور الواقع أيضاً فجاء تمثيله لملوكه كأدميين وليسوا آلهة فيهم

العواطف الإنسانية بكل ما فيها من سرور وحزن شأنهم شأن كل البشر بل أن شكل وجوههم بالصورة التي توضح الملامح الجادة للملك التي أرهقتها مشاكل الحياة بكل ما فيها من كفاح وجهاد لتأمين الدولة وبرخائها (١)

ويعنى أوضح فإن الدولة الوسطى تتميز بنوع من المشاعر البشرية تختلف اختلافاً كبيراً عن تلك التي لمسناها في الدولة القديمة وملوكها وخاصة ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة، ففي حين أن الدولة القديمة كانت تأخذ بعقيدة الملكية الإلهية الأمر الذي دعا الفنانين إلى إبراز ملامح وجوه التماثيل التي وصلت إلينا من هذه الفترة والتي تدل على الوقار المتزمت وعلى العظمة التي تكمن في شخصيته الملك الإله ، ولم يحاول أحد من الفنانين أن يكسب ملامح الملك شيئاً من المشاعر البشرية

سواء كانت مشاعر تدل على البهجة والسرور أو على الحزن أو أى نوع من المشاعر الداخلية التي لا تناسب معه كملك إله ، في حين أن ملوك الأسرة الثانية عشرة وخاصة في النصف الثاني منها قد تركوا لنا العديد من التماثيل المختلفة التي تدل على أن الملك كان يسمح للتمثال أن يصوره بكل ما يستطيع أن يبرزه سواء في ملامح الملك بالنسبة إلى موطنه أو فيما يرتسم على بعض أجزاء الوجه من علامات تدل على مشاعر إنسانية يشعر بها الملك .

ولعل من أهم الأمثلة التي يبرزها الدارس في هذا المجال هو ذلك الرأس الموجود في متحف «جامعة كمبريدج للملك «سنوسرت الثالث» المصنوعة من حجر الجرانيت الأسود بملامح وجهه (انظر شكل ١٧ أ، ب) من أهم القطع الفنية حيث نجد في ملامح هذا التمثال ما ينم على قوة الإرادة اعتزاز صاحبها بنفسه وأعماله كما تدل على بعض مشاعر الأسى والحزن ترتسم على عيني التمثال وخاصة تلك الجيوب الواضحة التي تقع في أسفل العينين والتي تدل

(١) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الرابع ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

على أن صاحبها لم يكن يتمتع بحياة الرخاء والهدوء بل كان رجلا شديد البأس قوى الشكيمة لا يترك فرصة دون انتهازها ، كذلك القم والتصاق الشفة العليا بالشفة السفلى وذلك الخط العميق الذى يرتسم على الذقن فى كل ناحية من نواحي القم مما يدل على نفس المشاعر والاحاسيس المرتسمة بوضوح على وجه هذا الملك والتي ما كان للفنان أن يجروا على تسجيلها إلا إذا كانت العقيدة الخاصة بالوهية الملك قد أخذت فى التداعى وحل محلها عقيدة أخرى تقوم على أن الملك ولو أنه كان حسب القابله التقليديه يعتبر نفسه من أسرة الالهة وأنه أيضا له غير أن واقعه يدل على أنه كان يمارس حياته اليومية ويتنقذ مشاريعه ويقود الجيش بنفسه فى حملاته الحربية لتأمين الحدود وتأمين سبل التجارة وتدير شؤون البلاد كرجل دولة ناجح استطاع أن يقضى على نفوذ الأمراء وحكام الأقاليم بما يحقق الخير والأمن للبلاد .

وإذا انتقلنا إلى عهد الملك «امنحات الثالث» (١٨٤١ - ١٧٩٢ ق.م.) آخر الملوك العظام للدولة الوسطى فنجد أن نفس الطريقة فى تمثيل ملامح الوجه باقية وتتضح الخبرة التى يتمتع بها صاحبها (انظر شكل ١٨) (١).

أيضا فإن من أهم الآثار التى وصلتنا فى عهد ذلك الملك هى مجموعة التماثيل الأربعة التى تمثل الملك على هيئة أسد رابض يوجد انسان غير أن طريقة تمثيل هذا الوجه تعتبر فريدة فى نوعها إذ تتميز بأن الوجه تحيط به « معرفة الأسد » بذلك الشعر الغزير، كما أن أذن الرأس هى لأسد (انظر شكل ١٩ أ، ب) ويتميز الوجه بتلك الملامح الشخصية لملك لم يرغب مطلقا أن يمثل نفسه فى أحسن مظهر من مظاهر البشرية بل حرص على إبراز ملامحه الشخصية أما جسم الأسد فهو يتميز أيضا بقوة التنفيذ وبروعه، تمثيل عضلات جسم

Hays, W.C., Op. Cit., P. 199 .

(١)

الأسد وهو ما أوضحته تلك التماثيل المعروفة باسم « تماثيل تانيس » ومن بين ما قاله « وولف Wolf » أن هذه التماثيل الرائعة هي محاولة بأن تمثل الملك والأسد أى الإنسان والحيوان فى وحدة لا انفصام فيها على أساس أن الجزء الحيوانى فى الإنسان قد ذاب فى الجزء البشرى والعكس صحيح (١) .

وإذا كانت تماثيل أبو الهول فى العصور السابقة تجمع بين جسد الأسد ورأس آدمى تمثل صورة الملك الاله حيث كانت الرأس البشرية ترتفع عالية دون أن يعطى الفنان أى من ملامح وصفات الأسد لتلك الرأس ، من أجل ذلك يعتقد أن الفكرة هنا فى الدولة الوسطى تتضمن فى الواقع نوع من انعكاس قوة الأسد ويطشه فى صفات الملك صاحب التمثال ، وليس من شك كما يقول « وولف » بأن هذا أمر ما كان يحدث إلا فى عصر وجد الملوك أنفسهم مضطرين أن يقاوموا بعض العناصر فى مصر تقف متربصة بالعرش والجالس عليه وأنه لا سبيل مطلقا إلا بالبطش والقوة وهو ما عبر عنه الفنان المصرى القديم .

(١) Wolf, W., Die Kunst A Egyptens , Stuttgart, 1957, PP. 329 - 330.

الفصل السابع

عصر الدولة الحديثة

الفصل السابع

عصر الدولة الحديثة

وحتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة

الفترة الواقعة بين نهاية الأسرة الثانية عشرة حوالى ١٧٨٥ ق.م. وبداية الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٥٧٠ ق.م.، من أشد الفترات فى التاريخ المصرى القديم اضطرابا وغموضا، ففى القسم الأول من هذه الفترة حكمت الأسرة الثالثة عشرة وحدها مصر، وتذكر القوائم الملكية حوالى واحد وخمسين ملكا لهذه الأسرة، ولكنها لا تتفق فيما بينها على ترتيب تعاقبهم على عرش مصر، ويعتقد العلماء أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة ينتمون إلى أصول طيبية، كما يعتقد العلماء أنه فى نهاية الأسرة أصبحت السلطة الفعلية فى ايدى الوزراء وليست بأيدي الملوك، كما يبدو أن العاصمة ظلت فى «ايت تاون» كما هو الحال فى الأسرة السابقة، وحسب رواية «مانيتون» فلقد نجح بعض أصحاب النفوذ فى الأقليم السادس من اقاليم الدلتا فى المكان المعروف حاليا باسم «سخا» على مقربة من كفر الشيخ الحالية فى تأسيس الأسرة الرابعة عشرة التى عاصرت الأسرة الثالثة عشرة، وفى نفس التوقيت نجح الهكسوس فى تشكيل أسرتين منهم هما الأسرة الخامسة عشرة، تلتها الأسرة السادسة عشرة، وجعلوا عاصمتهم أواريس فى الشمال الشرقى.

(أواريس «افاريس» اسمها المصرى «حت وعرت» اتجه رأى بعض العلماء إلى موقع تانيس وتعرف حاليا باسم «صان الحجر» شمال شرق الدلتا على مبعده ٢٠ كم إلى الجنوب من مدينة المنزلة الحالية، ويرى «جاردنر» أن حت وعرت وبررعمسيس وتانيس ثلاث مقاطعات متوازنة لنفس المدينة، وتبعها للحفائر الحديثة يرى كثير من العلماء أن افاريس تقع إلى الشرق من الصالحية بحوالى ٢٥ كم شرقى الختاعة - قننير الحالية.

وكما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح الملامح الرئيسية لعهود الأسرات الهكسوسية التي شملت الأسرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجزء من السابعة عشرة، وشغلت مائة عام وثمانية أو ما هو أقل من ذلك بكثير، وجمعوا بين أسمائهم الأجنبية مثل خيان وإيبى وبين أسماء مصرية، وأنهم تشبهوا بالفراعنة المصريين فى القابهم وملابسهم وهيئات تماثلهم وادعوا التقرب من الأرباب المصريين، وحاولوا أن يتمصروا.

وكما يرى كثير من الباحثين ومنهم «جون فوركيت» وسيد برج» أن بدء تسللهم كان فى منتصف الأسرة الثانية عشرة ثم ازداد عددهم مع نهاية الأسرة الثانية عشرة ومنتصف الأسرة الثالثة عشرة فى عهود كل من «نفرحوتب الأول» و «ساحتحور» و «سوبك حوتب الرابع»، واستمر ذلك فى فترات حكم الملوك : سوبك حوتب الخامس «ونفرحوتب الثالث» ويع ايب رع - إيبى، وقد جرت هذه الأحداث فى الفترة من ١٧٢٠ ق.م إلى ١٧٠٠ ق.م. استنادا للوح الأثرى المعروف «لوح الـ ٤٠٠ عام» الذى اقيم احتفالاً بذكرى تأسيس معبد الإله «ست» فى افاريس الذى رأى فيه الهكسوس أن هذا الإله المحلى هو صورة من الههم الآسيوى المقدس «بعل» أو «ريشوب» والمعروف أن هذا اللوح قد اقيم فى عهد رمسيس الثانى، وإن هذا اللوح نسخة منقولة عن لوح اقدم يعود إلى عهد الفرعون حور محب (الأسرة الثامنة عشرة حوالى ١٣٢٠ ق.م.)، وهذا يعنى أن المعبد الأصلي قد تأسس حوالى ١٧٢٠ ق.م.

استيلاء الهكسوس على مصر :

جاء استيلاء الهكسوس على الحكم فى شمال البلاد بالتدريج وعلى مراحل، واستغرق هذا الصراع حوالى ست وأربعون عاما : ويزيد (كما يرى فوركيت » حتى نجحوا فى توطيد نفوذهم حتى منف .

« ... أخيرا جعلوا واحدا منهم ملكا اسمه «سالييتس» قلده في منف أخذ جزيرة من مصر العليا ومصر السفلى وجعل حاميات في معظم الأماكن، وأمن (الحدود) الشرقية التي كانت مهددة من الآشوريين أعاد تشييد مدينة قديمة أطلق عليها أوريس (جعل منها العاصمة بعد تحصينها) »

وفي الوقت الذي كان فيه ملوك الهكسوس يبذلون غاية جهدهم لفرض سلطنتهم على مصر كلها دون جدوى، كان نفوذ أمراء طيبة يمتد ليشمل الأقاليم الثمانية الأولى من مصر العليا والتي تمتد من إيفانتين جنوبا وحتى أبيدوس شمالا، هناك أسرات محلية أخرى تسيطر على بعض أجزاء من أقاليم مصر العليا والسفلى، وأما النوبة فقد كانت دويلة مستقلة عاصمتها «بوهن» بينما سيطر الهكسوس على الدلتا متخذين من «أفريس» عاصمة لهم، وفي الوقت الذي حافظ فيه أمراء طيبة الأوائيل على هويتهم ومواردهم الاقتصادية، ويعدون العدة لدحر المعتدى وتخليص أرض الكنانة مما أصابها، وليس مصادفة أن يستعيد الأسلاف الثلاثة «تاعا الأول» أسماء أقدم أمراء طيبة «انتف» وهم الملوك الثلاثة قبل الملوك المناحة، وظلت ذكراهم باقية بسبب ما أدوه لمصر، فيشعرون أنهم خلفاء لجيل يستعيد أمجاد أسلافهم في الدولة الوسطى، والحقيقة أنهم نجحوا في إذكاء الشعور الوطني في نفوس أهل طيبة حتى أدى هذا إلى ضرورة قيام حرب التحرير ضد الهكسوس ووضع الأسس التي قام عليها ملكهم على كل مصر، في مثل هذه الظروف الدقيقة تزوجت «تنى شرى» بزوجها الملك «تاعا الأول» فادت دورها في حياة زوجها، ولقد أنجبت من «تاعا الأول» ابنها «تاعا الثانى» وابنتها «ايح حوتب»، ولقد ترملت وهي في ريعان شبابها غير أنها نجحت في تمكين ابنها «تاعا الثانى» من اعتلاء العرش تحت اسم «سقن رع» والملقب فيما بعد بالشجاع مع اخته «ايح حوتب» كزوجة وكمملكة لتأكيد حقه الشرعى فى ارتقاء العرش ومواصلة الكفاح ضد الهكسوس .

ورغم أن الدور الذى لعبته ليس واضحاً على وجه التحديد فإنه لا مجال للشك فى أنه كان لها دور فى النضال المبكر، وأنها قدمت فيما بعد لابنها وأحفادها كل خبرتها ونصيحتها وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار مركز المرأة وتأثيرها فى مصر القديمة .

وقد عكست النصوص والآثار مكانتها سواء فى حياتها أو بعد مماتها حيث أعطيت قطعة من الأرض فى شمال الدلتا بعد طرد الهكسوس كمكافأة على النصر، وهناك لوحة من الحجر الجيرى موجودة الآن فى متحف لندن وفيها نرى الملك «أحمس الأول» مرتدياً التاج الأبيض فى مواجهة الآلهة مونتو وهو يشرف على ترميم محراب له وخلفه تقف الأم الملكية «تتى شرى» لتمثل الأسرة فى تلك المناسبة الدينية الهامة .

ونستنتج من ذلك أن الملكة «تتى شرى» كانت على قيد الحياة حتى شاهدت تتويج الملك «أحمس» واشتركت فى إعادة تجديد معبد الآلهة «مونتو» فى طيبة .

هذا ولقد نالت «تتى شرى» درجة كبيرة من التكريم بعد وفاتها حيث كان حفيدها «أحمس» مجاملاً لذكراها، فهناك لوحة تعرف باسم «لوحة أبيدوس»^(١)، التى عثر عليها «وليم فلندرزيتى» فى أبيدوس، يوصف فيها أحمس وكأنما يجلس إلى زوجته «أحمس نفرتارى» يفكران فيما يستطيعان عمله من أجل أسلافهما، فقالت أخته (بمعنى زوجته هنا) «لما تتذكر هذه الأمور ماذا فى قلبك؟ وأجابها الملك نفسه قائلاً : لقد تذكرت أم أمى وأم أبى، الزوجة الملكية العظمى، وأم الملك «تتى شرى» المتوفاة، (على الرغم) أن لها غرفة دفن وضريحاً فوق أرض مقاطعتى طيبة وأبيدوس، ولكن أقول ذلك لأن

(١) لوحة أبيدوس : عثر عليها بتى سنة ١٩٠٣ ، وارتفاعها حوالى ٢٢٧,٥ سم . عمرها ٩١٥٠ سنة ومحفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة .

جلالتي انتوى أن يضع لها هدفا ومحرابا في الارض المقدسة بالقرب من أثر جلالتي كهبة تذكارية من جلالتي .

ويمضى النص فى سرد قيام الملك بالفعل ببناء ذلك الهرم والمعبد تحيطه بحيرة وأشجار، وقوائم القرابين ومنحه بالأراضى وامداده بالكهنة لاداء الطقوس الدينية ليؤدوا واجباتهم نحوها، ولقد عثر على معبدها، ولا شك أن هذه اللوحة كانت قد أقيمت فيه .

بالإضافة إلى سلسلة نسب الملكة «تتى شرى» جدة أحمس الأول كذلك لا يوجد وقت محدد لمعرفة المدة التى عاشتها جدة الملك «أحمس» وتاريخ وفاتها، ولكن يرجح وفاتها قبل اقامة اللوحة، وانها قد دفنت فى طيبة حسب ما هو واضح من النص، عن عمر يبلغ حوالى سبعون عاما خلال العقد الأول من حكم حفيدها الملك «أحمس الأول» .

وبالرغم من عدم العثور على قبر «تتى شرى» إلا أنه قد عثر على بعض محتوياته وضمنها تماثالان، لتشابههما الشديد من حيث الحجم وتمثل الملكة جالسة على العرش ونفس الملابس وطريقة لباس الرأس يبدو أنهما صمما معا، أحدهما محفوظ بالمتحف البريطانى والاخر فى متحف اللوفر^(١)، وقد نقش على الجانب الأيسر من التمثال دعاء «إلى الاله» أوزير لطلب القرين، أما على الجانب الأيمن فقد كان عليه دعاء إلى «آمون» لروح الأم الملكية «تتى شرى» والتمثال ذو قيمة من الناحية الفنية لما يعكسه من ملامح تدل على شخصيتها المؤثرة ونفوذها الهام اثناء حياتها وكما مثلت بعد وفاتها. (٢)

(١) التمثال من الحجر الجيري الأبيض وإرتفاع قاعدته حوالى ٣٨ سم ، ونقش على الجانب الأيمن من القاعدة اسم «سنسب» أنظر :

Winlock, H.E., , The Tombs of the Kings , P. 247.

Aldred , C., New Kingdom Art., 1961, PL. 3.

(٢)

الملكة ايعح حوتب :

هذا ولقد خلقت الملكة « ايعح حوتب » أمها فى ظروف شديدة القسوة واستطاعت بما تتمتع به من شخصية قوية ان تلعب دوراً سياسياً هاماً، وباعتبارها ابنة « ستخت ان رع » (تاعا الاول) والملكة تتى شرى فإنها حملت لقب : الابنة الملكية العظمى وأخت الحاكم وزوجة ملكية عظمى لـ « سقن رع تاعا الثانى ، الذى بدأ حرب التحرير ورفع راية الجهاد ضد المغتصبين الاجانب .

ومما اسفرت عنه تلك الجولة الاولى هى استشهاد « سقن رع » فى ميدان القتال ومضحياً بحياته فداء لمصر، وتدل موميأؤه على أنه لم يميت ميته طبيعياً، ومن اثار مقتله طعنات ثلاث فى فكه الأيسر ثم عاجله المعتدى بطعنيتين أخريتين أصابت احدهما ما فوق حاجبه الأيسر والأخرى عظام رأسه (١) .

« بعد استشهاد جده للدفن سريعا وأودع قبره فى جبانة طيبة، أما عن اولاد الملكة « ايعح حوتب » وزوجها سقن رع، منهم الأمير « أحمس الأكبر » الذى مات صغيرا اثناء حكم أبيه، الأمير « بينبو » ومات أيضا صغيرا فى نفس فترة أخيه الأمير « أحمس » ثم أميرة تسمى « أحمس » ثم الملوك : كامس، أحمس والملكة « أحمس نفرتارى » ولقد كان لها دورها السياسى الهام وخاصة فى تلك الاوقات العصيبة خلال حرب الهكسوس والتي سقط فيها رجال العائلة الملكية فى المعركة، فلقد دفعت بابنها « كامس » إلى ساحة الوغى بعد استشهاد أبيه، وحين ودع هذه الدينا، دفعت بابنها الثانى « أحمس » لينجز المهمة ويؤدى واجبه، ويبدوان الامور فى طيبة قد تعرضت لبعض الاضطرابات الخطيرة بعد وفاة

(١) بردية سالييه التى كتبت على أيام الملك مريبتاح (الاسرة ١٩) والصراع بين طيبة والهكسوس ،
أنظر :

محمد بيومى مهران : حركات التحرير ، ص ١٧٥ - ١٧٨ .

« كامس » مباشرة وتولى « أحمس » زمام البلاد فاستطاعت بما لها من حكمة أن تلعب دوراً كان له الأثر فى استقرار الأمور فى طيبة .

وعودة إلى دور « كامس » فى تحرير مصر من المحتل الهكسوسى ، فبدأ بالقضاء على الموالين للهكسوس من المصريين والنوبيين ، وذلك بتدمير مدنهم وسكناتهم فى المنطقة ما بين الإشمونين وأطفيح ، كما نجح فى القضاء على التعاون بين العدو الهكسوسى وملك كوش النوبى بمراقبة الطرق فى الواحات لمنع أى اتصال بين الجانبين ، كذلك راقب الامدادات التموينية عبر النيل كنوع من الحصار الاقتصادى .

ونص لوحتى « كامس » بالكرنك ، ولوح « كارنارفون » (الذى عثر عليه بين وحدات الاحجار كاساس لتمثال رمسيس الثانى بجانب الصرح الثانى بالكرنك) ، تشير إلى استمرار المعارك ضد الهكسوس حيث عقد الملك « كامس » لقاء مع كبار مستشاريه قائلًا لهم : « كيف امارس سلطتى ، وهناك ملك يحكم فى أوريس فى الشمال ، وآخر نوبى فى كوش ، بينما أنا هنا عاجز عن التصرف ، إنى لا استطيع بلوغ منف »

وتجاهل « كامس » نصيحة قواده وبعض مستشاريه بعدم اللجوء للحرب مفضلين السلم شأنهم شأن المتخاذلين فى كل زمن ، وسوف يواصل « كامس » الجهاد ضد المحتل : « انا سوف ادمر العدو وسوف اقطع كل اشجاره واسحق عجلاته ، وسوف ادفع نسائه إلى الأسر . . . »

وزحف « كامس » بقواته حتى استولى على مدينة « نفروسى » (وسط مصر العليا ويعتقد أنها شمال الإشمونين) ، كما استولى على بعض المدن الأخرى القريبة من النهر اثناء حملته التيلية فى طريقة إلى الشمال نحو « أوريس » ، كما نجحت قواته فى أسر رسول الملك الهكسوسى إلى حاكم كوش .

« أسرت رسول العدو (الملك الهكسوسى) فى جنوب الواحات
أثناء صعود حاملها إلى كوش، وفيها يقول «عا اوسر رع - أبيبى» الم ترى ما
فعلته مصر معى حيث حاكمها «كامس» هاجمنى فى ممتلكاتى بالرغم أنى لم
اناصبه العداء، حيث فعل معى مثل ما فعله معك (ربما إشارة إلى جهود حكام
مصر فى الفترات السابقة لتأمين بلاد التوبة) احضر فوراً إلى عاصمتى فى الشمال
ولا تخف حيث أنه (مشغول) معى (بالإضافة) لعدم وجود أحد يستطيع أن
يعارضك هنا فى مصر (بجانب) أنى لن أدعه يرحل قبل وصولك، وسوف
نقتسم مصر بيننا ... »

ومن المرجح أن «كامس» أرسل أكثر من حملة لتأمين الواحات، وكذلك
قطع كل طريق بين حدود مصر الجنوبية والشمال ومنع تبادل أى رسائل بين
العدو وإيضاً منع وصول أى امدادات إلى الهكسوس عن طريق الجنوب وبذلك
فشلت محاولة تحريض الجنوب ضد الشمال .

لم يسعف الوقت الملك «كامس» لتحقيق انتصار نهائى على المحتل
الهكسوسى ومات فى ظروف غامضة، ولا نعرف كيف مات هذا الملك العظيم،
والمدة التى حكم مصر خلالها، مقبرته تعرضت للنهب مثل غيرها من المقابر
فى عهد رمسيس التاسع، وفى عام ١٨٥٧ م عثر علي موميأؤه فى حالة سيئة
للغاية تحولت إلى تراب قبل فحصها بمعرفة المختصين، ولهذا لم نتمكن من
معرفة عمره عند الوفاة، لكن من المؤكد أن مصر كانت تمر بفترة حرجة
لتحرير ترابها الوطنى من المحتل الهكسوسى، وخلفه بعد وفاته أخوه الملك
«أحمس الأول» .

الملك أحمس الأول : (١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.)

توفى « كامس » بعد حكم قصير، فتولى بعده الملك « أحمس الأول » وهو فى الغالب أخيه، وقد اعتبره المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكان حكمه فى أول الأمر مقصورا على الوجه القبلى بإقليم طيبة، ويبدو أنه مارس نفس السياسة التى سار عليها أجداده من الأسرة السابعة عشرة نحو تحصين طيبة واستمالة الإقاليم القريبة منها، وتأمين الحدود الجنوبية، وأحكام السيطرة على طرق الواحات، ثم بدأ فى استكمال الجهاد لطرده الهكسوس من أرض الكنانة، ثم استكمل مسيرة الجهاد والتحرير بمهاجمة عاصمة الهكسوس « آواريس » فى الشمال الشرقى، وبعد حصار دام حوالى الثلاث سنوات سقطت العاصمة فى أيدي المصريين مما يشير على شدة تحصينها وعزيمة أحمس وجنوده فى تحقيق النصر وطرده الهكسوس من آخر معاقلهم فى مصر.

ثم جاءت الأنباء أنهم ذهبوا إلى حصن لهم فى منطقة « شار وهين » تل فرعة الحالية، ليستكملوا فيه عدتهم وعتادهم، ومعاودة الهجوم على مصر آمليين فى احتلالها من جديد، غير أن « أحمس الأول » فطن إلى ذلك فخرج على رأس جيشه للقضاء على هذا العدو اللعين الذى تحصن فى هذا الموقع، لكن إرادة أحمس وجنوده حفقت النصر بعد حصار دام ثلاث سنوات، واستمر فى تشتيتهم داخل سوريا ولم نسمع عنهم مرة أخرى فى التاريخ القديم بعد تلك الضربة القاصمة.

ومن المهم القول أن التاريخ لم يحفظ لنا الكثير من المعلومات عن المراحل التى عاصرت طرد الهكسوس، وكل ما اهتمنا به فى هذا الصدد تلك النقوش التى فى صدر قبر ضابط مصرى من جهة الكاب كان تابعا لملوك طيبة واشترك فى مهاجمة الهكسوس واسمه « أحمس بن إيانا »، ونصوص أخرى

لضابط آخر. يدعى «أحمس بن نخبت» تحوى بغض تفاصيل الجهاد ضد الهكسوس، حيث يتحدث القائد الأول «أحمس بن إيانا» بأنه بدأ شبابه جندياً صغيراً ولكنه أظهر كفايته فى المعارك التى خاضها، وظل محافظاً على تلك الشجاعة حتى ترقيته إلى رتبة القائد البحرى، وذكر أنه اشترك مع الملك «أحمس» فى محاصرة عاصمة الهكسوس حيث دارت موقعة بحرية بين القوات المصرية وقوات العدو بالقرب من قناة جنوبى العاصمة آواريس تسمى «بزدكر» حيث كان النصر حليفه هو والملك «أحمس» وكوفىء «بن إيانا» بتشان الشجاعة الذهبى، ثم تكرر الهجوم فى نفس المكان للإستيلاء على العاصمة، التى لم توضح النصوص كيفية الاستيلاء عليها وهل تم أسر حاميتها، أو سمح لهم بالانسحاب منها، وخاصة أن المؤرخ اليهودى «يوسفوس» قد ذكر أن الملك «أحمس» سمح لهم بالانسحاب منها بعد التسليم، وأنهم خرجوا منها وكان عددهم ٢٤٠ ألف شخص، وهو عدد فيه مبالغة، لكنه يوضح كبر عددهم فى آواريس المعقل الأخير فى مصر.

ثم يصف «أحمس بن إيانا» حصار «شاروهين» والاستيلاء عليها «(تم حصار شاروهين لمدة ٣ سنوات ثم استولى جلالته عليها...)» ولذلك كوفىء بمنحة قطعة من الأرض فى الكاب (بين آسنا وادفو)، وعدد من الأسرى.

كذلك تشير نصوص القائد المصرى «أحمس بن نخبت» إلى مصاحبته للمفرعون «أحمس» فى حملته إلى «جامى» لمتابعة فلول الهكسوس الموجودة هناك، وتأكيد ظهور قوة مصر العسكرية فى تلك الانحاء، بعد ذلك وجه «أحمس الأول» جهوده نحو التوبة لتأكيد سيادة مصر على الأجزاء الجنوبية من حدودها، لتبدأ البلاد مع عهده عهداً جديداً من التحرر، جعل المؤرخون يبدؤون به الأسرة الثامنة عشر أو ما سُمى بعصر الامبراطورية أو عصر الدولة الحديثة الذى شمل الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.

ولعل من المناسب هنا الحديث عن الدور الهام الذى لعبته السيدات فى تلك الفترة الحرجة لتحرير مصر، بداية من دور الجدة للأسرة « تنى شرى » التى كانت على قيد الحياة حتى شاهدت تتويج الملك « أحمس الأول »، وكما نالت درجة كبيرة من التكريم بعد وفاتها، هذا ولقد خلفت الملكة « ايعح حوتب » امها فى ظروف شديدة القسوة واستطاعت بما تتمتع به من شخصية قوية أن تلعب دوراً سياسياً هاماً، حيث دفعت بابنها « كامس » إلى ساحة الوغى بعد استشهاد أبيه، ثم دفعت بابنها الثانى « أحمس » لينجز المهمة ويؤدى واجبه، وهناك لوحة هامة عثر عليها بالكرنك محفوظة حالياً بالمتحف المصرى تعرف بـ « لوحة الكرنك » وما قامت به والدته الملكة ايعح حوتب من جليل الاعمال .

أما نالسة السيدات العظيمات فى الأسرة فهى الملكة « أحمس نفرتارى » وقد يعنى الاسم أن الاله القمرى يولد احلى النساء الجميلات، أو تعنى أحلامهم أو حلولتهم^(١) .

ويتفق الكثير من علماء المصريات على أن الملكة « أحمس نفرتارى » كانت أخت وزوجة الملك « أحمس الأول ١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م . مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، الذى حرص على الوراثة الشرعية للسلالة الملكية، حيث تزوج منها تأكيداً لحقه فى وراثة العرش خلفاً لوالديهما، واستمسك بما استمسكت به الملكيات القديمة المستقرة من مركزية^(٢)، وادعاء الحق الإلهى، والقول بالوراثة المقدسة، والبنوة للالهة الكبار .

(١) عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، القاهرة، ١٩٦١، ص ٦٦ .

(٢) سيد توفيق ، سيد أحمد الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٨٣ . وكذا .

Buttles, J., Op. Cit., P. 10 ff .

وقد عاصرت الملكة «احمس نفرتاري» الكفاح ضد الهكسوس - مثل الملكة ايعح حوتب - وكان لشخصيتها النشطة كرفيق مناسب لزوجها دور هام فى عملية اعادة البناء الكبير فى تلك الفترة التى اعقبت النصر على الهكسوس ، وتدل آثارها التى امكن العثور عليها على ارتباطها وقربها من نظام الحكم ، ففى جزيرة « ساي » بالنوبة وجد اسمها واسم زوجها على تمثال صغير ، كذلك فى نص المعصرة المؤرخ بالعام الثانى والعشرين من حكم الملك احمس وجدت القابها بجانب القابه بصورة تدل على مكانتها ودورها السياسى ، بالاضافة إلى آثار عدة فى عدة اماكن أخرى فى مصر وبلاد النوبة (١) .

ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٥٦٧ - ١٣٠٤ ق.م.)

- ١- الملك احمس الاول (نب بحتى رع) ١٥٧٠ - ١٥٤٦ ق.م.
- ٢- الملك امنحوتب الاول (جسر كارع) ١٥٤٦ - ١٥٢٦ ق.م.
- ٣- الملك تحوتمس الاول (عاخير كارع) ١٥٢٦ - ١٥٠٨ ق.م.
- ٤- الملك تحوتمس الثانى (عاخير ن رع) ١٥٠٨ - ١٤٩٠ ق.م.
- ٥- الملك حتشپسوت (ماعت كارع) ١٤٨٩ - ١٤٦٩ ق.م.
- ٦- الملك تحوتمس الثالث (من خبرو رع) ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م.
- ٧- الملك امنحوتب الثانى (عاخيرو رع) ١٤٣٦ - ١٤١١ ق.م.
- ٨- الملك تحوتمس الرابع (من خبرو رع) ١٤١١ - ١٣٩٧ ق.م.
- ٩- الملك امنحوتب الثالث (نب ماعت رع) ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م.
- ١٠- الملك امنحوتب الرابع (آخناتون) نفرخبرو رع) ١٣٧٠ - ١٣٥٣ ق.م.
- ١١- الملك سمنخ كارع (عنخ خبرو رع) ١٣٥٥ - ١٣٥٢ ق.م.
- ١٢- الملك توت عنخ آمون (نب خبرو رع) ١٣٥٢ - ١٣٤٣ ق.م.
- ١٣- الملك آي (خبر خبرو رع) ١٣٤٣ - ١٣٣٩ ق.م.
- ١٤- الملك حور محب (جسر خبرو رع) ١٣٣٩ - ١٣٠٤ ق.م.

(١) عن القاب الملكات راجع كتابى «الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة» ، رسالة دكتوراه منشورة ، ١٩٨٨ .

النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة .

الفرعون أحمس الأول :

سبق الحديث عن الدور العظيم الذى لعبه « أحمس الأول » لطرد الهكسوس، ولذلك وضعه المؤرخ المصرى « مانيتون » على رأس أسرة جديدة بعد تحرير البلاد، وكانت مهمة أحمس الأول فى تنظيم الحكومة المصرية وإدارة البلاد الداخلية فى غاية الأهمية، فكان اختياره لنوع الحكومة المناسبة لعصره نتيجة مباشرة لخبرته السياسية والحربية وظهور تيار فكرى يمجّد العسكرية، لذلك أندفع القطر المصرى فى التيار العسكرى، وأصبح سراة القوم الذين عاشوا بعد طرد الهكسوس وأمراء الامبراطورية المصرية يطعمون فى الخدمة العسكرية تحت لواء الملك بغية الحصول على المنح واللقاب التى تشرفهم وتعلّى مراكزهم بين قومهم كما أشارت اليه مقابرهم، كذلك بدأت مصر فى الاهتمام بالجيش المصرى الذى أصبح جيشا نظاميا وزاد الاهتمام بفرقة الفرسان وبصناعة العجلات، وصار لفرعون مصر اصطبلات تحوى الآلاف من أجود الخيول الآسيوية .

ومن الراجح أن أحمس الأول قد أبقى المواليين له من حكام الأقاليم الذين ساندوه فى حروب التحرير ، بينما نحى الضعاف منهم .

ولا يخفى أن نجاح الأسرة الطيبة فى الاستيلاء على الملك وتحرير مصر، قد رفع كثيرا من منزلة آمون إله طيبة فى البلاد حتى أصبح آمون إله المملكة المصرية الرسمية، وقد كان فى عهد الدولة الوسطى قد شبه بالمعبود الشمسى ولقب آمون رع، أى آمون الشمسى، أما بعد طرد الهكسوس فقد علت منزلته رفعة وسموا بدرجة منقطعة النظير، وزاد الاهتمام بمعابده وعمائره فى كل مكان وبطيبة بصفة خاصة .

ومع أن «أحمس الأول» حكم حوالى أربع وعشرين عاما فقد توفى غالبا شابا، وبقيت أمه على قيد الحياة إلى السنة العاشرة من حكم ابنه وولى عهده «أمنحتب الأول»

أمنحتب الأول : (١٥٤٦ - ١٥٢٦ ق.م.)

تولى الحكم وعمره حوالى سبع سنوات بعد وفاة والده، لذلك وكما يرى وينلوك Winlock أن الأم الملكة «أحمس نفرتارى» قامت بدور الوصاية على ابنها، لانجاز واجبات الحكم حتى يبلغ أشده، وذلك استنادا لنقش وجد فى المعصرة يصفها بانها «الأم الملكية، حاكم، وابنه لـ «رع»» كما تمتعت الأم «أحمس نفرتارى» مع ابنها الملك «أمنحتب الأول» بتبجيل خاص وعبادة لهم باعتبارهما من الآلهة العظام فى مصر عامة، وبين الطبقات الشعبية فى طيبة على وجه الخصوص، حيث قام «أمنحتب الأول» بتغيير يعد الأول من نوعه حيث فصل المقبرة التى نقرها فى الصخر عن المعبد الجنائزى، وأوجد مجموعة خاصة من العمال تخصصت فى نحت القصور وعاشت فى قرية دير المدينة وارتبطت بهذا العمل واطلق عليهم خدم مكان الحقيقة (خدم الجبانة).

وفى مجال السياسة الخارجية خرج علي رأس قواته إلى آسيا، والبعض يرى أنها نوع من السلام المسلح، كما جاء ذكر دولة «ميتانى» ضمن اعداء مصر فى تلك الفترة، كما سجلت النصوص قيامه بحملة على ليبيا بعد حملته على آسيا.

الملك «تحوتمس الأول» (١٥٢٦ - ١٥٠٨ ق.م.)

بعد وفاة «أمنحتب الأول» تولى «تحوتمس الأول» الذى لم تتأكد سلسلة نسبة، حيث يرى فيه البعض أن كان أخا غير شقيق لـ «أمنحتب الأول» والبعض يرى فيه ابن لامنحتب عن زوجة ثانوية تدعى «سنسنب» جاء ذكرها فى مرسوم تولية العرش الذى عثر عليه فى النوبة، وأغفل فيه ذكر اسم أبيه.

وعلى أى حال فليس لدينا أى دليل على أنه ينتمى إلى فرع ملكى وحتى لو كان من أصل ملكى فإنه ينتمى إلى فرع غير شرعى، ولا يمكن بالتالى اختياره كملك إلا إذا تزوج من أميرة تجرى فى عروقها الدماء الملكية للمحافظة على مبادئ توارث العرش، لذلك لجأ إلى الزواج من الأميرة الوريثة - وهى التى ستصبح أم الملكة حتشبسوت - لاضفاء الشرعية على اعتلائه العرش والملكة «أحمس» رآها البعض ابنة للملك «أمنحوتب الأول»، بينما تشير الألقاب التى حصلت عليها أنها كانت ابنة للملك «أحمس الأول» وبالتالى أخت لأمنحوتب الأول «وهو ما أيده معظم المشتغلين بعلم المصريات، حيث لا توجد أدلة تؤكد أنها كانت ابنة «أمنحوتب»، فى الوقت الذى عرفت الملكة «أحمس» زوج - «تحتومس الأول» بأنها أم الملكة حتشبسوت^(١)، ووضعت فى معبد الهير البحرى كاخت ملكية وزوجة ملكة، وأم ملكية، عمن «تحتومس» حاكما على بلاد النوبة حمل لقب «حاكم البلاد الجنوبية وابن الملك على كوش»، مع العلم أنه لم يكن دائما من أبناء الملك، والمعروف أن المنطقة ما بين الجندل الثانى والرابع هى المسماة بكوش، ولكن هذا اللقب يدل على اهتمام فراعنة مصر بالجنوب وضرورة تمصيره وحمايته من غارات البدو للجهات الجبلية المجاورة على مدن وادى النيل، وقد قاد «تحتومس» حملة على بلاد النوبة وصل فيها إلى «تومبوس» وأقام فيها قلعة ولوحا حجريا ذكر فيه انتصاراته ووصوله إلى تلك الأنحاء.

وبعد انتصاره فى بلاد النوبة، وجه جهوده نحو آسيا لتأكيد النفوذ المصرى على هذه الأنحاء وايضا ربما للقضاء على ثورة نشبت فيها بتحريض من دولة ميتانى، ومن النقوش التى تركها «أحمس بن إيانا» و «أحمس بن نخبت» عرفنا أن تحتومس الأول «كان قائدا عسكريا فذاً، يجيد التعامل مع قواده

(١) راجع كتابى الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة .

وتشجيعهم،

« ... كنت قائدا لفيلقى وكان جلالته يراقب أعمالى الحربية حينما أسرت
عجلة حربية بمن فيها واحضرتها لجلالته فكافانى على ذلك بالذهب ... »

وبعد هذا النصر شيد « تحوتمس الأول » أثرا حجرياً على منحى القرات
الكبير، ذلك النهر الذى وصفه الجنود المصريون باسم « النهر ذو المياه
المعكوسة » لأن المياه تأتى من الشمال وتصب فى الجنوب عكس نهر النيل

الملك « تحوتمس الثانى » (١٥٠٨ - ١٤٩٠ ق.م.)

من أبناء « تحوتمس الأول » من زوجة غير رئيسية تدعى « موت نفرت »،
وتبعاً لنظام وراثة العرش فى مصر القديمة فإن أيا من أبناء الملكة « اعحمس »
كان يمكن أن يخلف أباه على العرش، وتبعاً للواقع فلم يبق منهم إلا الأميرة
الوريثة « حتشبسوت »، ويبدو أن تحوتمس الأول وخاصة بعد موت أمها الملكة
الرئيسية « احمس » قد اضطر - ازاء رأى الذى يرى أن وراثة العرش تنحصر فى
ذرية أحمس » إلى اعلان حتشبسوت الوريثة الوحيدة لملكه وزوجها إلى ابنه
تحوتمس الثانى ليدعم بها شرعيته فى اعتلاء عرش البلاد، ليجنب البلاد
الاضطرابات والانقسام عندما يحل العرش بوفاة، وفعلاً تم ذلك فى سلام،
حسب نص المهندس « انينى » الذى عاصر وفاة تحوتمس الأول واعتلاء
تحوتمس الثانى حيث يصف ذلك بقوله :

« (ظهر) الصقر الذى فى العش كملك على الوجه القبلى والوجه
البحرى، عاخباران رع (تحوتمس الثانى) واصبح ملكاً على الأرض السوداء وراح
يحكم الأرض الحمراء فامتلك الأرض مظفراً ... »

وعلى الرغم من احتفاظ « حتشبسوت » باللقاب التى تشير اليها كزوجة
ملكية فإنها نجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى عهد زوجها « تحوتمس الثانى »

وعلى حساب وأن تمهد لخلافتها إياه، وخاصة أنها كانت تقاربه في السن، وربما كان كل منهما في الحادية والعشرين، قوية الشخصية مما مكنها من تحقيق طموحها ساعداً على ذلك أن تحوتمس الثاني لم ينجب مثل والده - وريث ذكر، ومن المرجح أنه انجب منها ابنة وحيدة تسمى نفرو رع»، (انظر كتابي الجزء الثاني)، في الوقت الذي له ابن هو تحوتمس (تحوتمس الثالث فيما بعد) من زوجة ثانوية حملت لقب الأم الملكية هي «إيزيس»، ويبدو أنه عينه كوريث ليخلفه على عرشه، وهو ما ذكرته قصة سجلها «تحوتمس الثالث» بعد ذلك بمعبد الكرنك مدللاً على أن اختياره قد تم بواسطة إله الدولة الإله آمون، الذي يبدو أن أباه قد دبرها مع كهنته، وذكرت أنه حدث خلال عيد ديني كبير في الكرنك أن انتحى «تحوتمس» الصغير جانباً من البهو الشمالي للمعبد ليشهد منه مركب آمون، وكان حين ذاك قد انتظم في التربية الدينية بالمعبد وعندما مر المركب والقرعون في مقدمته تعمد (تمثال آمون) أن يتجه بمركبه إلى البهو الشمالي ويطوف به وقد تبعه الكهنة ورجال الدولة دون أن يعلموا حقيقة هدفه، حتى بلغ موضع «تحوتمس» الصغير وتوقف عنده، فخر الأمير ساجداً واعتبرها الكهنة حينذاك آية وفسروها برغبة آمون في اختيار الطفل لعرش آبائه وبوحي الإله انهضوا الأمير وقدموه في الموضع المخصص للحاكم وبعدها انكشفت له أفاق ربه وطار إلى سمائه وتلقى منه القابه.

ويتضح من النص أن اختيار «تحوتمس الثالث» قد تم تبعاً لإرادة «آمون» في وجود أبيه «تحوتمس الثاني» الذي لم يذكر اسمه في النص، وهو ما يؤكد نص آخر للملك «تحوتمس الثالث» على الصرح السابع بالكرنك حيث يصرح الملك:

«... بأن (والدي) آمون رع حرختي (قد منحني) أن أكون (خلال عرش حور وعينني) أمامه في المعبد حكم الأرضين وعرش جب ومكانة (خبري) إلى

جانب، بجوار والدى الآله الطيب ملك الوجهين، عاخبيران رع « تحوتمس الثانى » له الحياة إلى الابد... »

ويبدو من النص أن « تحوتمس الثانى ربما لتجنيب طموح زوجته حتشبسوت ولكى يامن بقاء الأسرة فإنه لجأ إلى ذلك الاختيار الالهى لابنه نكى يمهده له الطريق إلى العرش، وهو حدث عند وفاته واعتلاء ابنه « تحوتمس الثالث » العرش، بينما مقاليد الأمور في أيدى الملكة « حتشبسوت ». وهو ما يؤكد نص « انيننى » مع تصوير واقعى للحالة السياسية بعد اعتلاء تحوتمس الثالث مباشرة للعرش حيث يصف ذلك :

« ... حينما صعد (تحوتمس الثانى) إلى السماء واتحد مع الالهة حل محله ابنه (تحوتمس الثالث) كملك للأرض وحاكما على عرش من انجبه (بينما كانت) أخته (أخت تحوتمس الثانى) الزوجة الالهية حتشبسوت تتولى (أمور) الأرض طبقا لإرادتها.... »

ويبدو أنه لكى يتدعم حق « تحوتمس الثالث » فى العرش فقد تزوج من ابنة حتشبسوت الأميرة « نفرو رع »، وعند وفاتها تزوج من « مريت رع حتشبسوت » الثانية ، وذلك - كما يرى قانر وهيز- ليدعم شرعيته فى إعتلاء عرش مصر.

حتشبسوت (١٤٨٩ - ١٤٦٩ ق.م.)

قامت «حتشبسوت» بإدارة شؤون مصر بعد وفاة «تحتمس الثانى»، ومن الناحية الرسمية لم تكن أكثر من أرملة ملكية تحمل الألقاب المعتادة التى سبق أن حملتها والتى تشير إليها باعتبارها أميرة ملكية، وزوجة ملكية عظمى، وزوجة إلهية، ثم سرعان ما أظهرت «حتشبسوت» نواياها الحقيقية يعاونها مجموعة من الموظفين المخلصين قلدتهم أعلى مناصب الدولة، وأعلنت نفسها ملكا على مصر، وقد اختلفت آراء العلماء بشأن السنة التى تولت فيها حتشبسوت الحكم كملك على مصر (انظر كتابنا الجزء الثانى)، وخلعت على نفسها الألقاب الخمسة كاملة مثل أى ملك. (١)

اللقب الحورى

اللقب النبتى

اللقب النسوبى

لقب حور نب (حور الذهبى)

لقب سارع

وهذه الألقاب لم تحصل عليها سيدة من قبلها، بالإضافة إلى النعوت الأخرى المعتادة مثل : هازمة كل البلاد، غنيمة آمون (صنيعة آمون)، نعت واحد أحجمت «حتشبسوت» من وصف نفسها به وهو «الثور القوى» باعتبارها امرأة حتى لو كانت ملكا، على الرغم أنها منذ ذلك الحين ظهرت وهى ترتدى ملابس الرجال واللحية المستعارة لتساير التقاليد التى كانت تأبى أن تجد على العرش حاكما فى زى النساء. (٢)

Urk IV, 261 - 398.

(١)

(٢) أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

Casson, L., Op. Cit., P. 24.

وهناك ما يشير إلى أنه رغم إعلان «حتشبسوت» ملكا، فإن تحرتمس الثالث ظل له الحكم الاسمي ولم تقم «حتشبسوت» بإقصائه عن العرش، وهناك ما يشير إلى أنها كانت تضع ألقاب واسماء «تجوتمس الثالث» إلى جانب القابها واسمائها، كما في الدير البحري وبنى حسن وجبل السلسلة وفي قطعة وجدت على الهرم المنحني تؤرخ بالعام العشرين، ولعلها بذلك أرادت أن تنال رصا كهان «آمون» الذين كانوا فيما يبدو إلى جانب «تجوتمس الثالث»^(١)

ويمكن القول أن قرار «حتشبسوت» في امتلاكها مقاليد الأمور والامساك بزمامها قد آثار العديد من الآراء، فالبعض يرى أنها خالفت التقاليد التي تجعل اختيار الفرعون من بين الرجال، وأنها اغتصبت السلطة وعطلت كثيرا حكم «تجوتمس الثالث» وبالتالي إنجازاته^(٢).

وبالعوض يرى أن «حتشبسوت» كان لديها من انمبررات القوية ما يؤيد سلوكها هذا الاتجاه، فهي صاحبة الحق في الوراثة الملكية بالإضافة إلى أن «تجوتمس الثالث» الذي كان لا يزال طفلا عند وفاة والده لم يكن من دم ملكي خالص، لذا حاولت أن تقلل من التتابع غير الشرعي والذي تمثل في تعاقب الملوك التحامسة الثلاثة، وأن تحل محله على أساس ديني، مستغلة من نظرية الوراثة القديمة من الشمس لتوضيح أنه في غياب الوريث الرجل تصبح البنت الوريثة هي التي يجب أن تتولى الحكم، فزعمت لنفسها مولداً إليها من الإله «آمون» نفسه وسجلته على معبد الدير البحري، حيث صور فنانوها مجلسا يعتقد من أرباب الوادي برياسة «آمون» للتشاور فيمن يخلقه ليجلس علي

(١) محمد بيومي مهران : نفس المرجع ، ص ١٥ - ١٦ .

وكذا :

Ratie , S., Op. Cit., P. 69 .

Steindorff, G., and Seele, K., Op. Cit., P. 40.

(٢)

عرش الكنانة، وإذا برز الحكمة « تحوت » يتقدم إلى آمون ليذكره « ناحمس » الجميلة روج « تحوتمس الأول » يعتلى العرش، وأنه قضى أن يكون المولود أنثى، وتحققت المعجزة بأن مضي آمون إلى قصر الملكة في غيبة زوجها، بعد أن تقمص صورته وتزيينه، ثم دلف إلى مخدع الملكة، ولم تكذب ترويه اليه بناظرها حتى رأت فيه زوجها، فجلس منها مجلس الرجل من المرأة، ولما قضى منها وطره، أخبرها عما يكون، فقرحت بذلك واستبشرت بما أودع في رحمها، وقبل أن يهيم آمون بمغادرة مخدعها أنبأها بأنها ستضع أنثى وسوف يكون اسمها « حتشبسوت خنت آمون » بمعنى « رروة النبيلات صفية آمون ».

وإذا ما حاول القارئ أن يعقد مقارنة بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث، فإن « حتشبسوت » يمكن أن نقول عنها أنها أنثى ناضجة يعاونها مجموعة من كبار الموظفين، كما أنها الوريثة الشرعية للعرش ذات الدماء الملكية، بالإضافة إلى أنها نسجت قصة الولادة الإلهية. بينما تحوتمس الثالث وتبعاً للعادة، فإن الرجل عادة ما يتولى الحكم إلا أنه كان لا يزال طفل صغير، دماء نصف ملكية من جهة أبيه، نجح في تدعيم مركزه بواسطة كهنة آمون، قيامه أيضاً بعمل قصة اختياره بواسطة وحى الآله آمون، ويمكن القول أن الكفتان راحجتان، وفي البداية كان هناك اسم الملك، ثم اسم الملك واسمها، ثم انفرادها بالسلطة، وإيضاً انفراده بالعرش بعدها.

استطاعت « حتشبسوت » بمالها من شخصية قوية، أن تستمر كحاكمة وملك طيلة عشرون عاماً وتسعة شهور، حيث تميز نشاطها الداخلي بالإنشاءات الهامة والتي كان أعظمها معبدها الجنائزى الذى اشتهر باسم معبد الدير البحرى والذى كرس لآمون وكذا حتحور وأنوبيس، فضلاً عن الطقوس الجنزية للملكة « حتشبسوت » وأبيها تحوتمس الأول.

٥٤٤ بدأت بناؤه فى العام التاسع من الحكم شمال معبد « منتوحوتب

الأول» وهو من أجمل المعابد فضلا عن قيمته الفنية والتاريخية، وقد شيد على ثلاث مسطحات كبيرة يعلو أحدها الآخر ويليه، واستبعد منه الهرم فجاء أمثل طراز، على هيئة شرفات من الحجر الجيري الأبيض الناصع فى وسطها طريق صاعد يؤدى إلى قدس الأقداس، وأمام شرفتين منها بهو أعمدة مغطاة، وكان يحيط بالشرفات نفسها أفنية محاطة بالأعمدة، ويمثل الجبل خلف المعبد حاجزا طبيعيا ضخما، وإلى الشمال من الفناء الأوسط ترى بهو أعمدة شيد كذلك من الحجر الجيري، والنقوش المنحوتة خلف الأعمدة المستديرة أو المربعة ذات أهمية فريدة، ففي الرواق السفلى منظر رائع للسفن التى تحمل مسلتين كبيرتين من الجرانيت الأحمر من أسوان إلى الكرنك، ويظن أنهما المسلتان اللتان كلفت الملكة المهندس «سنموت» أن يقيمها خارج الجدار الشرقى واللذان لم تبق منهما إلا أجزاء، وليس لنا أن نخلط بينهما وبين المسلتين اللتين وضعتهما بين الصرحين الرابع والخامس بمعبد الكرنك فى السنة السادسة عشرة من حكمها. (١)

أما الرواق التالى إلى أعلى ففيه منظر بعثتها الشهيرة إلى بلاد «بونت» فى السنة التاسعة، تلك الرحلة التى نفذتها «حتشيسوت» طبقا لوصى إلهى، وتمت فى خمس سفن كبيرة بقيادة أحد موظفيها المدعو «نحسى» والتى تعطى نتائجها دلالة هامة من الناحية الاقتصادية والثقافية والسياسية.

أما عن المسلتين العظيمتين التى أقامتها فى الكرنك فلقد حوى حديثها على هذين المسلتين حقائق هامة منها أنها أصبحت صاحبة الأمر والنهى فى

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

وكذا :

Murray, M., Op. Cit., PP. 57 - 58.

Naville, E., Deir El Bahari, III, P. 69 ff.

البلاد، ويبدو أن النقوش الموجودة عليهما قد تمت بعد أن أعلنت نفسها فرعون، ووضحت في نقوشها أنها قد أقامتها من أجل إبيها آمون، وإبيها «تحتمس الأول».

«.... الحورس وسرت كاو، محبوبة الأرضين، حورس الذهبي، المقدس [-]، ملك مصر العليا والسفلى، التى عملت (المسلتين) مثل آثارها لأجل إبيها آمون سيد طيبة، أنشأت من أجله مسلتين عظيمتين (بالصرح الخامس بالكرنك)....»

كذلك يذكر لحتشبسوت ميلها إلى اتباع سياسة سلمية ترمى إلى التوغل التجارى والثقافى لمنفعة مصر وجيرانها.

وكذا بتحقيق اصلاحات داخلية بدلا من الانتصارات العسكرية الخارجية، وذلك عكس سياسة «تحتمس الثالث» الذى كان يرى اتباع سياسة حربية خارجية من أجل انشاء امبراطورية مصرية عن طريق التوسع وراء حدود مصر الجغرافية، وضمان السيطرة على التجارة الخارجية عن طريق الجيش والاسطول المصرى وبذلك يظل لمصر نفوذها الدائم.

وقد خلقت «حتشبسوت» الكثير من الآثار، فلقد أقامت معبدا فى الصخر فى بنى حسن للالهة «باخت» التى تمثل احد مظاهر الالهة باست وكانت تمثل برأس القطه، وقد شبهها اليونان بسبب غير معروف - بالهتهم «ارتميدس» ومن ثم فقد سمي المعبد بكهف «ارتميدس» والمعروف الآن بأسطبل عنتر، هذا فضلا عن قيامها ببناء معابد لها فى النوبة فى فارس، وفى قصر ابريم، بينما ينتمى المعبد الجنوبى فى بوهن فى شكله الاساسى إلى حتشبسوت وزوجها «تحتمس الثانى»، كما ان لها عدة آثار فى كوم أمبو، ووادى مغارة بسيناء^(١)،

(١) Gardiner , A., Peet, E., and Cerny, J., Op. Cit., PP. 177- 182 ff.

والقوصية ومدينة هابو، وابيدوس والكاب، وغيرها. (١)

وقد حفرت «حتشبسوت» لنفسها مقبرة فى وادى السلوك على اعتبار أنها ملك، وقد كشف عنها «هرارد كارتير» عام ١٩٠٣، وكان للملكة مقبرة أخرى فى أقصى الغرب فى واد بعيد منعزل وضع فيها تابوت، غير أن المقبرة لم تستخدم أبدا، حيث دفنت فى المقبرة الأولى، ولسنا ندرى على وجه اليقين كيفية موتها، وإن كان البعض يرى أنها كانت وفاة طبيعية، ويرى كثير من العلماء أن التشويه والمحو الذى اصاب اثارها. كان بسبب تجاهلها لفترة حكم تحوتمس الثانى، وتحوتمس الثالث، وربما كان هذا السبب الذى اضطرت القوائم الملكية إلى تجاهلها. (٢)

تحوتمس الثالث ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م.

تجاهل فترة حكم حتشبسوت، وعكس كل التوقعات اثبت «تحوتمس الثالث» على أثر وفاة «حتشبسوت» وانقراذه بالعرش المصرى، أنه رجل دولة من الطراز الأول، سواء من الناحية الإدارية وتسيير أمور الدولة الداخلية، أو من الناحية الخارجية والقدرة العسكرية.

حيث واجه فى بداية عهده تحدى خطير استهدف تقويض النفوذ المصرى، حيث ثارت الدويلات الآسيوية، بتحريض من دولة ميتانى، التى ذكرتها النصوص بلادهم باسم «تاومتن»، واسم «خاسوت متن» وهم ينحدرون

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

Redford, DB., Op. Cit., P. 87 .

(٢)

وكذا :

Hayes, W.C., Royal Sarcophagi of the XVIII Dynasty , New York, 1935, P. 11.

Gauthier, H., L.R., II, P. 236.

ذكرتها النصوص بلادهم باسم «تاومتن»، واسم «خاسوت متن» وهم ينحدرون من عنصر هندو أوربي اشتهروا باسم «الميتانيين» ويكونون طبقة من النبلاء المحاربين، واتحدوا مع الحوريين من بنى عموماتهم والذين وفدوا على المنطقة قبلهم واتسعت دولتهم فيما جاورها من أرض العراق والشام، وضغطت ميتاني لفترة ما على نشاط جيرانها الاشوريين والخاتيين، وحاولت أن يكون لها ضلع في زعامة عصر الدولة الحديثة، حين امتد نفوذها فيما وبين الشلال الرابع جنوبا وبين ضفاف نهر الفرات شمالا، حيث بدأ الميتانيين تنفيذ أطماعهم بطريق غير مباشر فالبوا بعض أمراء سوريا وفلسطين على مصر منذ أواخر عهد الملكة «حتشبسوت» وخلال بداية حكم «تحوتمس الثالث»، وبلغ عدد الأمراء الثائرين على النفوذ المصري حوالي ٣٣٠ أمير بزعامة أمير قادش المتحالف مع ميتاني، وهناك من العلماء من يرى أنه كان من أصل ميتاني، وتحصن الأمراء الثائرين في حصن مجدو (تل المتسلم الحالية)، ولما وصلت هذه الأنباء إلى تحوتمس جمع جيشه وسار على رأسه، متجها نحو بلاد الشام مبتدئا من مدينة «ثارو» قرب مدينة القنطرة، ومنها إلى مدينة غزة في فلسطين وهي على بعد مائة وستين ميلا من ثارو، أي بعد مسيرة تسعة أيام، وهو زمن قياسى في تلك الفترة، وبعد احتفال قصير بعيد تنويجه، عول على الزحف شمالا في صباح اليوم التالي للاحتفال، متوغلا داخل فلسطين متجها إلى «يحم»، وتبعد هذه المدينة عن غزة بنحو ثمانين ميلا أو تسعين، وهي على المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال الكرمل، والمعروف أن جبل الكرمل أول حاجز منيع ضد القوات المصرية الزاحفة على آسيا، أيضا فإن تمركز القوات الثائرة في حصن مدينة مجدو يزيد الأمر صعوبة على القوات المصرية، وهناك في مدينة «يحم» عقد تحوتمس الثالث مجلسا عسكريا من كبار ضباطه وتداولوا في الأمر، في أحسن الطرق الممكن اتباعها لعبور جبال الكرمل والوصول إلى «مجدو»، وكان أمامهم ثلاثة طرق، أولها يبتدى من يحم ويتجه إلى مدينة عارونا (ممر عارونا) مخترقا

الجنوب الشرقى لمجدو، والثالث ينتهى من الشمال الغربى لمجدو، فاختر تحوتمس الطريق الأول لقصره بالرغم من صعوبته، وتعهد تحوتمس أن يكون فى مقدمة جنوده، ولكنه نزل علي نصيحة قواده بانتظار مؤخرة الجيش حتى تلتحم مع المقدمة، وفى فجر ١٥ مايو أمر تحوتمس الثالث جيشه بالزحف والهجوم على العدو - وهناك تضارب بين العلماء فى ميعاد الهجوم وتوقيته - وتشير النقوش على جدران «صالة الحوليات» فى معبد الكرنك أنه قد بدأ هجومه على الجيش الآسيوى فى اليوم الحادى والعشرين من شمو الموافق عيد القمر فى العام ٢٣ من حكم تحوتمس الثالث الذى قام بهجوم خاطف على العدو محققا المفاجأة المطلوبة، مقسما جيشه إلى قلب وميمنه وميسرة، ونجحت تلك الخطة واضطرت العدو إلى الفرار والعودة إلى أسوار المدينة المغلقة، ولولا انشغال الجيش المصرى بجمع الغنائم التى تركها الامراء والعدو فى ميدان المعركة لكانت النهاية مؤكدة، لكن هذا التباطؤ قد ساهم فى هروب هؤلاء الامراء وتحصنهم داخل أسوار المدينة التى قام تحوتمس الثالث بحصارها لمدة سبع شهور، وفى النهاية طلبوا من تحوتمس الثالث العفو والصلح، فوافق بعد أن قدموا له الهدايا والخيول، والموافقة أن يرسلوا ابناءهم ليتعلموا فى مصر ويشبوا على حب الحضارة والتقاليد المصرية ويدعم النفوذ المصرى فى تلك الأنحاء .

ومع أن الغنائم التى استولى عليها المصريون فى حومة الوغى كثيرة فقد كانت صغيرة جداً بالنسبة لما وقع فى يد فرعون اثر سقوط مجدو وتسليمها لجيشه، حيث استولوا على عدد كبير من العجلات الحربية والخيول والأغنام، وكميات كبيرة من الذهب والفضة لا يمكن تقديرها بالضبط لأن الكاتب المصرى أضافها إلى كميات الذهب والفضة التى استولى عليها المصريون فى المدن الأخرى الآسيوية .

ثم زحف تحوتمس الثالث إلى لبنان واستولى على ثلاث مدن فيها وشيد قلعة عظيمة ووطد النظام الإدارى فى شمال فلسطين بتعيين الموالين للنفوذ المصرى فيها، ثم عاد سالما ظافرا إلى طيبة مهديا إلى آمون هذا الانتصار العظيم .

تتابعت حملات الفرعون المحارب العظيم «تحوتمس الثالث» إلى بلاد رتنو لتأكيد النفوذ المصرى فى تلك الأنحاء واستعراض القوة العسكرية المصرية، والقضاء على كل من تسول له نفسه الخروج على الطاعة، وكمثال الحملة السابعة فى العام الحادى والثلاثين من حكمه حينما قضى على ثورة ملك «توب»، وفى الحملة الثامنة التى توافق العام الثالث والثلاثين من حكمه استولى على مدينة «قرقميش» وهزم الملك الميتانى، الذى فر من ميدان المعركة ناجيا بنفسه، وسجل «تحوتمس» انتصاره فى هذه الحملة على نصب تذكارى أقامه على شاطئ الفرات .

واستمرت حملاته حتى بلغت ست عشرة حملة حتى العام الثانى والاربعين من حكمه .

ووصلت أخبار حملاته كل مكان، فدان له الأمراء والحكام فى كل مكان، وتسجل النصوص قيام آشور بأرسال الهدايا الجزيلة من الأحجار الكريمة والخيول فاعتبرها المصريون وقعة جزية اشارة إلى ولاء آشور لمصر .

وقبل أن يتم تحوتمس الثالث السنة الرابعة والخمسين جالسا على عرش مصر توفى فأسدل الستار أمامه على هذه الدنيا التى قام فيها بأعمال باهرة، وتولى بعده ابنه «أمنحوتب الثانى» ١٤٣٦ - ١٤١١ ق.م.، وشهد بداية تولية الحكم ثورة شاملة لبلاد النهرين وميتانى وفينيقية، لكن أمنحوتب الثانى واجه ذلك الخطر ببسالة ونخوة ورثهما عن والده، فقاد جيوشه بنفسه، وانتهت

المعركة بهزيمة أعدائه هزيمة تامة، ويقال أن نشاط هذا الفرعون ويقلته أثر كبيراً في أعدائه فقد جاء في الآثار أن جلالته لما أسرع إلى أخضاع أعدائه الشائرين هابه سكان المناطق الأخرى فلم يتجاسر أحدهم على شق عصا الطاعة عليه .

وعلى عكس توازن نصوص أبيه وتواضعه مع أعدائه مالت النصوص إلى المبالغة ومن ذلك توجيه همتة إلى اظهار حدود مملكته وتوسيعها جنوباً ولذلك لما وصل إلى طيبة أرسل إلى النوبة بعثة عسكرية معها أحد الأمراء السوريين كان قد أسره فصلب على نبتة (نباتا) عظة لمن يتجاسر من النوبيين على معارضة مصر .

ولما توفى « امنحوتب الثانى » ولى بعده « تحوتمس الرابع » عرش مصر .

تحوتمس الرابع ١٤١١ ق.م. - ١٣٩٧ ق.م.

وردت بخصوص هذا الملك قصة تداولتها الألسن بعد وفاته بعدة قرون تتلخص فى أنه لم يكن منتظراً أنه يرث الملك عن والده فخرج يوماً ما قبل وفاة والده بمدة للصيد بجوار أهرام الجيزة واستراح فى ظل أبى الهول، فرأى هذا المعبود فى المنام طالبا منه نقل الرمال المحيطة به من قديم الزمان ووعدته إن فعل ذلك أن يساعده على ولاية الملك، فلما انتبه تحوتمس الرابع من نومه أقسم أنه سيفعل ما طلبه المعبود وقد نفذته فملا بعد توليه، وذكر هذه القصة علي حجر جرانيتى مقام أمام تمثال « أبو الهول » فى لوح يسمى لوحة الحلم ...

وقد تشير هذه القصة إلى شكوك فى وراثة العرش بالنسبة لهذا الفرعون، الذى لجأ فى سياسته الخارجية كما يرى أستاذى الدكتور عبد العزيز صالح إلى وسيلتين، فاتبع سياسة القوة فى بداية عهده، حيث وجد نص من عهده يصفه بأنه قاد جنوده وحقق انتصار كبير على نهارينا التعسة .

وبعد أن ثبت أركان حكمه واستقر السلام فى دولته، اتجه إلى تحقيق الشق الثانى من سياسته الخارجية وذلك لضمان السلم فى الشرق القريب بسبب ادراك كل من مصر وميتانى بأهمية استقرار الاحوال السياسية بينهما واثره على تجارتها البرية فى أسواق الشرق الأدنى، علاوة على شعور كل من الدولتين وخاصة ميتانى ببيادر الخطر من أطماع دولة خاتى (دولة الحيثيين) فى آسيا الصغرى التى امتدت أطماعها إلى الفرات الأعلى وإلى شمال سوريا، ورات كل من مصر وميتانى أن توثيق روابط الصداقة والتقارب بينهما يمكن أن يحد من إطماع تلك الثالثة، وأن أفضل تدعيم لتلك الصداقة هو رباط المصاهرة. (١)

كذلك استجابت مصر لمساعى الأسرة الكاسية التى كانت تحكم بابل من حوالى عام ١٥٩٥ ق.م. والتى أرسل ملكها «كارينداش» لاقامة علاقات دبلوماسية مباشرة مع مصر وليدعم تلك العلاقة فإنه أرسل ابنته لتتزوج من الفرعون المصرى، الذى يظن أنه ربما كان «تحوتمس الرابع». (٢)

كذلك يعتقد أن عهد «تحوتمس الرابع» قد شهد زواجه من الأميرة الميتانية ابنة «ارتاتاما»، كما يلاحظ انتهاء الحملات العسكرية لتحوتمس الرابع ضد ميتانى فى آسيا نتيجة مباشرة لهذا النوع من الزواج السياسى.

ويرى كثير من علماء المصريات أن الأميرة الميتانية ابنة «ارتاتاما» التى جاءت إلى مصر فى حاشية من النساء الميتانيات قد اطلق عليها الاسم المصرى «موت أم ويا» واصبحت إحدى الزوجات الرئيسيات لـ «تحوتمس الرابع» وأم خليفته الملك «أمنحوتب الثالث».

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٤٨٩.

Drower, S.M., Op. Cit., P. 465.

(٢)

وفى ضوء الآثار والوثائق المتاحة لدينا حتى الآن لا يمكن التأكد من أصل الملكة «موت أم ويا»، وافترض كونها من أصل آسيوى وأنها اعتمادا على أن تقاطيع وجه ابنها اثيوبية، أو حتى كونها مصرية باعتبارها ابنة لأمنحوتب الثانى أو احدى أخواته، وفى هذه الحالة ستكون أخت شقيقة أو غير شقيقة لزوجها «تحتمس الرابع» ولكن يقف عقبة أمام هذه الافتراضات كلها عدم وجود أدلة تدعمها، كما يقف عقبة أمام كونها مصرية عدم حملها للقب «ابنة ملكية» أو «أخت ملكية» ضمن القابها، وفى نفس الوقت فإننا لا نعرف اسم الأميرة الميتانية ابنة «ارتاتاما» وهل هى نفسها الملكة «موت أم ويا» احدى زوجات تحتمس الرابع، وأم خليفته على العرش الملك «أمنحوتب الثالث»، كما أن النقش الموجود بقاعة الولادة بمعبد الأقصر حيث الملكة «موت أم ويا» مع «آمون» لانجاب «أمنحوتب الثالث»، تلك القصة للولادة الالهية، والتي قد تعنى أن أم «أمنحوتب الثالث» لم تكن من دم ملكى خالص، الأمر الذى جعله يلجأ لتلك القصة ليدعم حقه فى الجلوس على العرش، ويتعد عن التقاليد التى تجعل وراثته العرش مقصورة على من تكون أمه وأبيه من نسل ملكى، وفى انتظار مزيد من الأدلة حتى نتمكن من تكوين رأى علمى فى هذه المسألة.

النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة :

أمنحوتب الثالث ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م.

بفضل جهود اسلافه من الملوك المحاربين وآخرهم الفرعون « تحوتمس الرابع » الذين نجحوا فى بناء وتدعيم الامبراطورية المصرية سواء حربيا أم سلماً حتى غدت مصر فى عهده « مركز العالم المعروف » ولقد بدأ « أمنحوتب الثالث » عهده وخلال العشرة اعوام الاولى من الحكم باظهار قوته الرياضية فى العديد من ألعاب الصيد ولم تكن هناك حاجة إلى الاسهام بقيادة حملات عسكرية سوى قيامه بحملة إلى النوبة فى العام الخامس من حكمه لخماد ثورة قامت فى بعض اقاليم النوبة خلف الشلال الثانى، وهناك من العلماء من يعتقد ان « أمنحوتب الثالث » لم يخرج أبدا علي رأس أى حملة من حملات الحرب، يدعم هذا لوحة موجودة الآن فى المتحف البريطانى للقائد « مرموسى » (نائب الملك فى النوبة) وبداية اللوحة مهشم ولكنها تشير إلى حملة قام بها هذا القائد بتكليف من الفرعون للقضاء على ثورة ربما تكون هى نفس حملة السنة الخامسة، وان عدد الاسرى بلغ ١٠٥٢ أسير، أما ذكره عن ظفروه ببعض البلاد الاسيوية فلا يعدو أن يكون تصوير لخضوعها له، واظهار لسلطانه عليها، فالمعروف أن قدمه لم تطلأ أرض آسيا طوال حياته، حيث ساد السلام عصره، وتسابق الجميع لخطب وده وانهالت الجزية من كل مكان، ولم يكن فى حاجة إلى الجهود الحربية، واستخدمت مصر بدلا منها ما يمكن أن نطلق عليه بالدبلوماسية الدولية التى جاءت من مركز القوة مستخدمة فى ذلك وسائل منها: الزواج السياسى ، والهدايا الدبلوماسية، وأحيانا الاثنين معا.

وفى العالم القديم كان الحكام الذين تمتعت بلادهم بالحرية والاستقلال والثروة يطلق على ملوكهم ملوك عظماء، ويليههم الملوك الأقل، وفى حالة أن يكون الملوك بدرجة أقل، فيذهب ملزمين بأن يؤدوا (الجزية) ويقدموا مؤنة،

وحقوق تجارية لقوات الملك الأعلى التابعين له، وكان عدد الملوك العظماء قليل جداً، وفي مقدمة هؤلاء الملوك العظماء يجيء «أمنحوتب الثالث» ثم ملك ميتاني ثم ملك بابل، ثم بدرجة أقل كل من خيتا وآشور، ثم ملوك قبرص وكريت الذين لم يكن لهم تأثير في عالم السياسة.

وبالنسبة لدولة ميتاني (انظر حديثنا عنها خلال فترة حكم تحوتمس الثالث)، وعندما تولى «أمنحوتب الثالث» العرش كانت الأمور في غرب آسيا قد استتبت ولم يعد هناك من تحدثه نفسه الخروج على الحكم المصري أو القيام بتلك الثورات التقليدية عند مجيء ملك جديد في مصر، وكان الملك الميتاني «شوترانا الثاني» قد جاء إلى عرش الميتان بعد تولى «أمنحوتب الثالث» بعام تقريباً وربما قبل ذلك بقليل، وفي تلك الفترة كان النفوذ المصري في سورية يبلغ قمته، ففي جعران زواج الفرعون من الملكة «تى» في بداية حكمه أعلن الفرعون أن حدوده تصل حتى نهرينا (قد يعنى الاسم ما يمتد بين نهر الفرات وبين فرعه نهر الخابور)، كما أن رسائل العمارنة تعطى الدليل على النفوذ المصري حيث البلاد الواقعة على الساحل السوري حتى أوجاريت في الشمال (ميناء رأس الشمرا) تحت السيطرة المصرية، كذلك منطقة دمشق وعمقا، وقادش، وتونيب كلها تابعة لمصر، والعلاقات بين مصر وميتاني علاقة صداقة مدعمة بالزواج السياسي.

القوة الثانية كانت بابل وكانت تسيطر عليها عناصر من أصل كاسي أسست الأسرة الثالثة التي بلغ عدد ملوكها ستة وثلاثون ملكاً، وبداءت تحكم من (١٥٩٥ - وحتى ١١٦٨ ق.م.) وهي عناصر هندو - أوربية أيضاً عرفت في مرتفعات بلاد النهرين باسم الكاسيين أو «الكاشيين» واعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين، وسارت العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاسية في نطاقها العادى المحدود.

وسارت قوافلها التجارية فى مساراتها التقليدية فى بلاد سوريا وفلسطين ومصر، واكتسبت العلاقات المصرية البابلية بطابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر ق. م. ، والملك كارايندش Karaindash ربما كان أول ملك يدخل فى علاقات دبلوماسية مع مصر، وليدعم حلفه معها أرسل أبنته إلى القرعون المصرى للزواج ربما « تحوتمس الرابع » وفى عهد الملك الكاسى « السادس عشر بين الملوك الكاسيين » كوريجلزو "Kurigalzu" طلب بعض الكنعانيين الخاضعين للحكم المصرى عوناً من الملك البابلى ضد الحكم المصرى ولكنه رفض قائلاً :

« إذا كنتم تريدون تكوين حلف ضد أخى ملك مصر وتريدون أن تتحالفوا مع الآخرين فلن انضم إليكم ولن أنهب معكم، لأنه فى حلف معى (١) .
والقوة التالية هى آشور :

وقد شغلت آشور فى عصورها الأولى المنطقة فيما بين نهري الزاب الأكبر والزاب الأصغر وأطلت على نهر دجلة بضفتيه وينتسب الآشوريين إلى العناصر السامية التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية منذ أواسط الألف الثالث ق. م. وقد تارجحت سياستهم مع أسرة بابل الأولى بين السلم والمهادنة، وبعد سقوط أسرة بابل الأولى ظل دورها ثانوياً وفى أحداث عصرها وفى عهد تحوتمس الثالث ونتيجة لانتصاراته العظيمة تقربوا من مصر عن طريق الهدايا .

كما سبق القول، وكذلك ارتبطوا بالملك الكاسى فى بابل بحلف، وكانت علاقتهم بمصر أيضاً علاقة صداقة خلال حكم أمنحتب الثالث وبالنسبة للحيثيين فمن المرجح أنهم وفدوا إلى حضبة الأناضول فى بداية الألف الثانى

Ibid, P. 467 .

(١)

ق. م. من مواطنهم فى أواسط آسيا إلى الشرق من البحر الأسود، وأنهم فرع من فروع الشعوب الهندوأوربية .

وأحتل الحيثيون عند مقدمهم جزء كبيراً من وسط هضبة الأناضول عند منحنى نهر إخناليس وكانت عاصمتهم تسمى « خاتوساس » وموقعها الحالى المدينة الأثرية المعروفة باسم « بوغاز كوى »، ولم يكن للحيثيين (خيتا) دور يذكر خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشرة، وخلال عهد أمنحتب الثالث ولم يمثلوا تهديداً لمصر وإنما مثلوا تهديداً حقيقياً لدولة ميتانى وعندما تولى عرش خيتا ملكهم الطموح « شوبيلوليوما » الذى وصلت بلاده إلى أوج قوتها بفضل سياسته وقوته العسكرية، فهاجم بجيوشه أرض الميتان ولكن ملكهم « توشراتا » استعان بصهره الفرعون المصرى أمنحتب الثالث . فاعانه بجيوش ردت الخاتين على أديارهم .

تلك كانت الظروف الدولية التى وجد فيها « أمنحتب الثالث » نفسه وهى فى مجملها علاقات يسودها الود بالدويلات السورية والفلسطينية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وقد سار أمنحتب الثالث على سياسة أبيه « تحوتمس الرابع » فى توثيق عرى المودة بينه وبين ملوك وأمراء هذه البلاد عن طريق المصاهرات، وفى السنة العاشرة من حكمه تزوج من جيلوخيبا Giluhepa ابنة الملك الميتانى « شوتران الثانى » "Sutarna II"

« العام العاشر من حكم جلالته [.....] ملك مصر العليا والسفلى، نب مارع، المختار من رع، ابن رع أمنحتب، له الحياة، والزوجة الملكية العظيمة تى لها الحياة، العجائب التى أحضرت لجلالته كانت ابنته شوتران ملك نهارين جيلوخيبا، وحاشيتها من الحريرم البالغ عددهن ٣١٧ امرأة »

هذا الحدث الذى سجله « امنحتب الثالث » لمجئ عروسه الميتانية فى أربع مجموعات من الجعلان، يشير إلى مدى قوة الفرعون كما أن كلمة « التى أحضرت » قد نظر إليها البعض بأنها فى كتابة حوليات الأسرة الثامنة عشرة قد تعنى نوع من الجزية، وبالنسبة لهذه الأميرة الميتانية قد اختفت داخل البيت الملكى المصرى، ولم تحمل القاب ملكية، كما أنها لم تكن الوحيدة فى حريم الملك المصرى وإنما وجد غيرها أميرات كثيرات داخل البلاط المصرى.

كذلك بالنسبة لبابل فلقد تزوج « امنحتب الثالث » على الأقل أميرتين أحدهما ابنة الملك البابلى « كاردوناش » والثانية بنت أخيها كادشمان خاربى أو « كادشمان انليل » الذى وافق على زواجها إلى الفرعون المصرى ولكنه اشترط وصول الذهب أولاً حتى يستطيع أن يستكمل بناء أحد قصوره.

ويبدو أن العلاقات بين مصر وبابل كانت بمثابة علاقات الأقوى والأقل قوة لأن الملك البابلى قد أظهر استياءه أكثر من مرة فى رسائله التى تضمنت أحياناً شكواه ومنها أن الفرعون « امنحتب الثالث » لم يرسل للاستفسار عن صحته عندما كان مريضاً ومرة أخرى تأخر رد الفرعون المصرى لمدة ست سنوات .

ولابد من الإشارة إلى أن هذا الزواج السياسى كان من جانب واحد فبالرغم من ترحيب « امنحتب الثالث » بالزواج من الأميرات الأجنبية إلا أنه يرفض طلب أى من هؤلاء للاقتراح بأميرات مصريات وربما كان هذا مبعثه تقليد وراثة العرش فى مصر إنما كان عن طريق المرأة وكذا فإن دماء القراعنة ليست مثل غيرها وإنما هى دماء عزيزة مقدسة، وإن بناته اللاتى يعزى فى عروقهن ذلك الدم المقدس أرفع من أن تحتويهن مضاجع هؤلاء الملوك غير المصريين، وفى النصوص المصرية فإن هؤلاء الملوك كان يشار إليهم بتعبير *W r* « ور » (بمعنى عظيم) باعتباره أمير أو رئيس ليس أكثر من ذلك .

هذا فضلا عن أن المصريين إنما كانوا يعتقدون إنهم وحدهم المتمدينون وإنهم الشعب الوحيد حقا، الذى يستطيع أن يحمل عن جداره اسم « الناس » بمعنى « متحضر » وأما الأجانب فلا، كان القوم يسمون أنفسهم الناس أو الرجال تمييزا لهم عن جيرانهم من الليبيين والافريقيين والاسيويين. (١)

ونجد مثال واضح لرفض الفرعون أن يزوج إحدى الأميرات المصريات لمثل هؤلاء الملوك، وذلك أن ملك بابل « كادشمان نليل » سولت له نفسه أن يطلب الزواج بأميرة مصرية، فكان الجواب من الفرعون المصرى بالرفض بحجة أنه « لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى واحد وحين يعيد الملك البابلى سؤاله لم يكن نصيبه هذه المدة بأفضل من الأولى، ومن ثم نراه يطلب أن يزوجه الفرعون أية امرأة مصرية، ومن هذا يتضح أن الملك البابلى إنما كان يرضى بأية امرأة مصرية ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من البيت المالك، ولكن « امنحبت الثالث » رفض هذا الطلب حتى لا يختلط الأمر على أحد وتحسب على أنها ابنة ملك، ولعل سبب رفضه بسبب أن موافقته قد تدل ضمناً على فقدان وجه وهيبة مصر ولكنها أيضا ترفع ذلك الحاكم الأجنبى لمستوى الفرعون .

وبرغم تعالى الفرعون الذى يعكس مركز مصر وقوتها فإن ملوك الشرق القديم ومنهم ملوك بابل - كانوا يدركون أهمية صداقة مصر وقيمتها فهم فى حاجة إلى ذهب مصر وهو ما تعكسه باستمرار رسائل تل العمارنة، كذلك استمرار الملوك البابليين فى إرسال أولادهم ليكن زوجات للقراعة المصريين، حيث رأينا خليفة « كادشمان نليل » الملك « بورنابورياش الثانى » II

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

وكذا :

Schulman , A., Op. Cit., P. 19.

Burnaburias يرسل ابنته إلى «امنحتب الرابع» (اخناتون) لتكون ضمن حريمه. (١)

أيضا تزوج «امنحتب الثالث» من ابنة حاكم «ارزاوا» Arzawa (٢) الملقب «تارخان درادو Tarhundaradu»، ويبدو أن الثاني قد أراد أن يقوى مركزه في بلاده فدخل في حلف مع «امنحتب الثالث» الذي كتب إليه باستخفاف طالبا منه ارسال ابنته لتكون زوجة له.

«امنحتب الرابع - آخناتون» (١٣٧٠ - ١٣٥٣ ق.م.)

تولى «امنحتب الرابع» الحكم في ظروف كانت فيها مصر في أمس الحاجة إلى رجل من طراز «تحتمس الثالث» وليس من طراز «امنحتب الرابع» (اخناتون) الذي وإن كان يحتل مكانة سامية بين عظماء الرجال على طول عصور التاريخ، إلا أن ظروف الامبراطورية المصرية كانت تتطلب جنديا يستطيع أن يخرج إلى أطراف دولته لطمأننة الموالين له والحد من أطماع خاتى، و «أشور» الذين أغروا ضعف النفوس من حكام الدويلات بالعمل لصالحهم.

ولقد بدأ الخلل في أواخر عهد «امنحتب الثالث» حيث تشير رسائل «تل العمارنة» عن بداية المتاعب التي ثارت في وجه مصر هناك في نهاية عهده وفي رسالة من حاكم «قطنة» بالقرب من دمشق يستنجد بالملك لأن المناطق الموجودة حول دمشق قد تمردت (٣)، ربما بسبب العناصر الأمورية بتحريض من

(١) Seele, K., and Sleindarff, G., Op. Cit., P. 112.

(٢) أرزاوا أحد الدويلات المستقلة في الأناضول موقعها غير معروف بدقة - راجع كتابي : الدور السياسي للملكات .

(٣) Petrie, F., A History of Egypt , Vol., III, P. 267.

الحيثيين واشتد تدهور النفوذ المصرى فى عهد ابنه اخناتون الذى انصرف إلى دعوة الوحدة معقدة أن دعوته يمكن أن تربط بين مصر وجيرانها واتباعها بروابط أوثق من كل ما جربه اسلافه من روابط القوة والسياسة، ولقد استقبل ملوك الشرق وأمراؤه عهد اخناتون بمد يد الصداقة والرغبة فى استمرار علاقات الصداقة التى كانت موجودة قبل عهد اخناتون وخاصة بين مصر وميتانى التى أرسل ملكها «توشراتا» لـ اخناتون طالبا أن تستمر علاقات الصداقة بينهم كما كانت مع ابيه من قبل بل أنه يطمح أن تزيد عما كانت عليه من قبل عشرات المرات. (١)

أيضا كانت هناك رسائل ود بين مصر و «شوبيلوليوما» ملك الحيثيين الذى كان وراء ثورات الامارات التابعة لمصر فى سورية، وقد حاول أن يعقد صلات الود مع «اخناتون» على الأقل حتى تبين له سياسته الخارجية بوضوح غير أن العلاقات بين مصر وخاتى سرعان ما تتوقف ربما لأن ملك «خاتى» يحرض أمراء وسط سوريا وشمالها بغرض زعزعة النفوذ المصرى، وتحقيق أغراضه فى غربى آسيا، وقد استجاب له «ايتوجاما» أمير قادش الذى بسط نفوذه على سهل سورية الشمالى وهزم الأمراء التابعين لمصر. (٢)

وفى أواسط سورية وشرقها، تكشف لنا رسائل تل العمارنة عن نوعية من الأمراء ظلوا موالين لمصر، وآخرين استفادوا من الصراع بين القوى وظلوا يعملون لحسابهم ومن النوع الأول «ربعدى Rib-A-dda» أمير «جبيل» والذى يشرف على منطقة تمتد من الساحل إلى الداخل حول ميناء جبيل ولقد ظل يرسل توسلاته المستمرة والتى بلغ عددها نحو سبعة وستون أو ثمانى وستون رسالة إلى الفرعون «امنحتب الثالث» وابن اخناتون يطلب العون ضد «عبدى شرتا»

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

Stanley, A. C., CAH, III, 1965, P. 312 .

(٢)

الذى كان حاكما على أمور ويشرف على جزء كبير من حوض العاصى ، واتبع سياسة بسط نفوذه على حساب جيرانه، وفي نفس الوقت التى تفيض رسائله إلى الفرعون نفاقا وتملقا .

وتابع «عبدى شرتا» سياسته فى نفس الوقت التى كانت رسائله إلى الفرعون مليئة بالخضوع والعبودية، حتى لا يتأثر الفرعون بما يسمعه عنه وعندما خلف «عزىرو» أبيه «عبد شرتا»، فإنه اتبع نفس سياسة والده، ارسال الرسائل إلى اخناتون مليئة بعبارات الود والولاء مدعيا أنه يستولى على المدن ليحميها من الحيثيين، وأنه يخرب بعضها حتى لا يستفيدوا منها، وبلغت به صفاقة أنه كان يرأسله بأمل أن يرى وجه مولاه البهى وذهب إلى مصر لمقابلة الفرعون وعاد بثقته. (١)

ونتيجة لذلك فلقد تمكن من بسط نفوذه على حساب جيرانه فاحتل عرقه وقطنه ونى (جنوب قرقميش على الفرات) فى الداخل، ثم استولى على الازا «شمال طرابلس» واردانا (قرب زغرتا) وحرق أو جاريت ودمر سميرا.

وتوالى الرسائل إلى اخناتون شاكية «عزىرو» وسياسته الرامية إلى تقويض نفوذ مصر وممتلكاتها، ومن ضمن هذه الرسائل، رسالة «ربعدى» أمير جبيل أحد المخلصين لمصر الذى أرسل إلى الفرعون يتساءل كيف ينفذ تعليماته ويحمى نفسه ويحمى مدينة الملك (أملاكه) ويتحسر على الماضى حيث كانت مصر ترسل حملاتها لتأديب العصاة والملك نفسه يقود هذه الحملات، ويحذر الملك من هجوم «عازىرو» على أراضيه أكثر من مرة مما أدى إلى أن يهجر المزارعين لأراضيه، ومحاوله عزىرو الدائمة أن يستميله إليه مثلما فعل

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

وكذا :

Aldred, C., Op. Cit., P. 84 .

مع غيره، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن عزيزو من تابعي «شوبيلوليوما» المخلصين وأنه استبدل النفوذ المصري بالقوة الحيثية التي لم تكن تعرف رحمة ولا هوادة تجاه الموالين لها ومن المعروف أن نظام إدارة الامبراطورية المصرية منذ أيام الفرعون تحوتمس الثالث كان يقوم على تعيين نواب له في كل منطقة، بالإضافة إلى مفتشين مقيمين في المدن الهامة للإشراف على الأمراء المحليين وجعل من غزة في فلسطين المركز الرئيس للإدارة بالإضافة إلى أنه أخذ أبناء الأمراء وحكام البلاد الاسيرية لتنشئتهم تنشئة مصرية مع أبناء كبار رجال الدولة في مصر وبالتالي ينشئوا على حب مصر وصادقتها بعد أن درسوا معاً وارتبطوا برباط المودة والصداقة والوفاء وعلى هذا النحو نمت أواصر الصداقة - مع الخضوع - بين الأسرات الحاكمة في سوريا وفلسطين وبين الفرعون والإدارة المصرية، وكان عليهم أن ينفذوا تعليمات الفرعون في بلادهم وإن يوفروا المؤن لقواته وإن يخبروا الفرعون بالأحداث الهامة في أقاليمهم وتحركات القوات المعادية وكان ممنوعاً عليهم الاتصال بالقوى الأجنبية أو حتى استقبال مبعوثيهم. (١)

وفي جنوب سوريا أي بفلسطين الوسطى والجنوبية قام بدور الحيثيين «جماعات الخابيرو» الذين يهتمهم القضاء على النفوذ المصري في فلسطين وخاصة أن المنطقة لم تكن مستقرة بسبب التنازع بين الأمراء المحليين الذين لم يكن لهم هم سوى الحكم وفي أثناء حكم اخناتون تعرضت المنطقة لاضطرابات من خلال أحد هؤلاء الأمراء ويدعى «لابايا Labaya» حاكم «سيشم» الذي هاجم مدينة جازر وغيرها من مدن جيرانه وتعاون هو وأولاده مع قبائل الخابيرو وسمح لهم بدخول مدينته وصاروا مصدر ازعاج على غيره من الولاة

(١) محمد بيومي مهران : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٦٥ .

وكذا :

Alder, C., Op. Cit., P. 85 .

المتمسكين بالولاء لمصر أمثال «عبدى خيبا» أمير القدس، ولكن «لابايا» يكتب لاختاتون.

ويتنصل «لابايا» من كل ما نسب إليه، لكن الفرعون لم يصدق مزاعمه ومن ثم فقد أرسل حملة بقيادة «بنخام» لضرب العصاه، ولم يستطيع بنخام أن يقبض على لابايا، الذى اغتيل أثناء فراره وتولى أبنائه من بعده وسارا على نهج أبيهما فى نفاق الفرعون بينما يعملان لصالحهما مما جعل «عبدى خيبا» أمير القدس فى إحدى رسائله يكتب إلى اختاتون متسائلا عن السبب فى عدم ارسال القوات لتأديب العصاه فى أملاكه.

وهكذا اضطربت أمور فلسطين أمام عيني فرعون الذى أدرك الخطر المحقق بالامبراطورية واستجاب لنداءات ولاته المخلصين فأرسل إلى فلسطين أكثر من نجده غير أن هذه التجديدات لم تحسم الموقف، فإن الاضطرابات سرعان ما تتجدد مرة أخرى بعد عودة الحامية المصرية وببدأ الولاة التابعين لمصر بالشكوى من الخابيرى ومن بعضهم البعض وأن كان هذا لا يعنى أن الانهيار كان تاما كما كان فى سوريا الشمالية بل أن نفوذ مصر فى فلسطين إنما ظل باقيا على أيام «اختاتون» فى اجزاء كثيرة من فلسطين. (١)

وفى ظل تلك الظروف السياسية وانشغال «اختاتون» بدعوته معتقدا أن عقيدة التوحيد هى الوسيلة المثلى لتوحيد الامبراطورية المصرية ومع ذلك فإن «اختاتون» قد اتخذ على الاقل زوجتين اجنبيتين الأولى هى الاميرة المتباينة «تاد وخيبا» التى أرسلها «توشراتا» إلى حريم ابيه ثم انضمت إلى حريم «اختاتون» بعد موت امتهنثب الثالث ولعل الدليل على زواج اختاتون من «تاد

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

وكذا :

Goelze, A., CAH, Vol. II, P. 2. P. 8.

وخيبا» ما يمكن أن نستشفه من مخاطبة «توشراتا» لاختاتون في رسائل «تل
العمارنة» أرقام ٢٧، ٢٨، ٢٩ حيث يطلق على الفرعون «اختاتون» لفظ زوج
ابنته . «إلى بنخوريا ملك مصر، أخى زوج ابنتى

الذى (أخيه)

ثم يتبع ذلك بتحياته إلى تاد وخيبا ابنته (رسالة ٢٧)

وفى رسالة رقم (٢٦) إلى الملكة الأم «تى» فإنه :

«... إلى [تى] ملكة مصر، يقول

[توشراتا]، ملك ميتانى، (تحياته)

إليها، وإلى ابنك (اختاتون) أمل أن

يكون بخير مع تاد وخيبا (ابنتى) وابنتك،

أمل أن تكون بخير.....

بل أن «بتري»^١ Petrie, F. يرى أن «المنحطب الثالث» قد أرسل مندوبه
إلى الملك الميتانى «دوشراتا» لكى يطلب زوجة لابنه وليست له وأن الأخير قد
أطلق على نفسه حمى «صهر» المنحطب الرابع «اختاتون» إشارة إلى هذا
الزواج. (١)

وفى السنة الخامسة عشرة من حكم «اختاتون» ثم زواج آخر بينه وبينه
أميرة بابلية، ولقد تم هذا الزواج بين البيت البابلى والفرعون اختاتون حيث
حضرت الأميرة ولم نعد نسمع عنها شئ بعد ذلك، وهو زواج يتضح فيه أيضا
الجانب الاقتصادى بجانب الناحية السياسية لأن الهدايا التى كان الملك البابلى

Petrie , F., Op. Cit., PP. 270 - 271 .

(١)

يرسلها مع رسوله أو مع العروسة وخاصة العربات والجياد فإنه في مقابلها كان ينتظر أن يصدق عليه الفرعون الهدايا الكثيرة ولعل أهمها الذهب .

أيضا وجدنا في حريم اخناتون ابنة الأمير السوري « شاتيجا » "Schatiga" وكذلك ابنة أمير « أميا Ammia » (لبنان حاليا) ، ولعل الدافع إلى هذه الزيجات سياسى ومادى أيضا بالنسبة لحكام المدن السورية الذين اعتادوا منذ عهد والده ان يرسلوا مع الجزية عشرات من الفتيات الجميلات .

وقد عثر في أوجاريت على آنية من الالباستر ونقوش عليها زوجين ، لسيده من البلاط المصرى ، اسمها غير معروف مع « نيقامدو الثانى Niqmaddo ملك أوجاريت الذى كان معاصرا لكل من « امنحتب الثالث » و اخناتون ، والاحتمال الأرجح انها كانت في عهد اخناتون . (١)

وكما يرى البعض فى هذه الزوجة بأنها فتاة من طبقة النبلاء من البلاط الملكى المصرى وأن هذا الزواج قد تم لأسباب سياسية فى العام الثانى عشر من حكم اخناتون لكى يدعم العلاقات بين مصر وأوجاريت ، والمعروف أنه فى خلال حياة « امنحتب الثالث » فإن أوجاريت كانت مخلصه وقد عثر على أحد جماربين زواجه من الملكة « تى » المؤرخة بالسنة الأولى من حكمه فى أوجاريت (رأس شمرا) ، كما وجد خرطوشين للفرعون وزوجه على قطعة من الشقف ، كذلك فى بداية عهد ابنه « اخناتون » وزوجه « نفرتيتى » قد أرسلت الهدية دبلوماسية إلى « نيقامدو » وزوجته الملكة ، التى أرسلت بدورها إلى الملكة نفرتيتى هدية عبارة عن قدر من الروائح العطرية لكن يقف عقبة أمام قبول هذا الرأى رسالة امنحتب الثالث إلى صهره « كادشمان انليل »

Schulman , A. R., Op. Cit., P. 185 .

(١)

« منذ القدم ابنة ملك مصر لم تعطى إلى أى واحد »، وبالرغم من أن « اخناتون » قد غير كثيرا من أساليب ونظم الحياة المصرية .، إلا أنه لا توجد أدلة مؤكدة تجعلنا نقول أن « اخناتون » قد ترك سياسة أبيه بشأن السماح بالزواج من الأسرة الملكية المصرية، وبالتالي فالامر لا يزال فى حاجة إلى أدلة .

ولعل ما يجعل الباحث أن يترىث فى هذا الامر - علاوة على ما سبق - هو ذلك الحادث الغريب فى التاريخ الفرعونى والذى أوردته المصادر الحيثية - ولم نجد له إشارة فى الوثائق المصرية - التى تقدم لنا رسالة هامة مكتوبة باللغة المسمارية عثر عليها فى بوغاز كوى العاصمة الحيثية حررتها إحدى ملكات مصر تطلب الزواج فيها من أمير أجنبى وتمنحه عن طريقها شرعية العرش، الامر الذى جعل الملك الحيثى « مورشيل الثانى » (١٣٦٠ - ١٣٣٠ ق.م.) ابن « شوبيلوليوما » يذكرها فى حولياته .

وتتضح رغبة الملكة الارملة فى الزواج من الامير الحيثى ، الذى تبعاً لرغبتها سوف يكتسب بهذا الزواج الحقوق الوراثية لتولى عرش الفراعين ، كما يتضح أيضاً دهشة الملك الحيثى لهذا التصرف الغريب الذى لم يحدث من قبل ، والمعروف أن هذا الامير الحيثى قتل فى طريقه إلى مصر ، وقبل أن تطأ قدماه أرض مصر ، فى الاراضى السورية ، بواسطة رجال الأمن المصريين الذين وصفوا بأنهم « رجال الأمن المصريين » أو « رجال وخيل مصر » بتعليمات من الأب الالهى « آى » ، وربما هو الأرجح ، بمعرفة « حور محب » الذى كان يتولى قيادة الجيوش المصرية فى تلك الفترة ، وقد أدى هذا إلى أن تتحرك القوات الحيثية إلى سورية وتقبض على القتلة وترسلهم إلى عاصمة الحيثيين حيث حوكموا وعوقبوا ، تبعاً للقانون الدولى ، وتنتهى بذلك تلك المحاولة .^(١)

(١) مرجعيت مرى : مصر ومجدها الغابر ، ص ١٠٠ .

وكذا : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى « اخناتون » ، ص ١٨٥ .

Aldred, C., Op. Cit., PP. 84 - 86 .

هذا وقد اختلفت الآراء بشأن معرفة هذه الملكة الأرملة التي ذكرتها النصوص الحيثية باسم «الدوخا منسو»، التي حاولت القيام بذلك الدور السياسى الخطير، ويعتقد البعض أنها أرملة اخناتون الملكة «نفرتيتى» بينما يرى البعض - وهذا ما أرجحه - أنها «عنخس أن با آمون» أرملة «توت عنخ آمون»، اعتماداً على أن مقارنة اسم الملك المصرى الوارد فى هذا النص وكذا اسم الملك الحيثى ومقارنة عصر كتابة الوثيقة بالتواريخ المعروفة يحتم وضع تاريخ الرسالة عشر سنوات على الأقل بعد موت اخناتون، كما أن صاحبة الرسالة تذكر أنها لم تلد من قبل، فى حين أن «نفرتيتى» انجبت كما أشرنا من قبل، كما أن أية واحدة من بنات «نفرتيتى» كان لها شرعية ولاية العرش شرعية أبيها، كما أنه ليس من المعقول أن تأتى «نفرتيتى» هذا العمل عقب وفاة «سمنخ كارع» و «توت عنخ آمون» أقرب إليها فهو زوج ابنتها الذى شاركها اعتكافها حين غضبت وأثرت أن تبتعد عن اخناتون. (١)

على أن هناك وجهاً آخر للنظر إنما يتشكك فى الرسالة من الأساس ويتساءل هل صحيح أن ما صورته الرسالة التى سجلها «مورسيل الثانى بن شوبيلوليوما» فى حولياته يمثل حقيقة تاريخية، وبخاصة وأنه ليس هنا ما يدعم ما جاء فيها من وجهة نظر المصادر المصرية، بل أن تلك المصادر لم تشر إلى تلك الرسالة أبداً ثم اتنا لا نملك - حتى عن طريق المصادر الحيثية - نص رسالة الملكة المصرية المزعومة هذه.

ويمكن القول أنه فى الاسرة الثامنة عشرة ونتيجة للتفوق المصرى فى ساحات القتال الذى حققه تحوتمس الثالث وخلقائه امنحوتب الثانى، وتحوتمس الرابع، وايضا سياسة الزواج السياسى فإن الفرعون المصرى كان دائماً يامر بارسال أميرات أجنبيات للزواج منهم وكانت مطالبه دائماً تنفذ،

(١) راجع كتابى عن «الدور السياسى لملكات مصر القديمة».

كما يلاحظ أكثر من مرة أن الفرعون المصرى لجأ إلى نوع من تجديد الولاء لمصر مستخدماً إنجاز زواج جديد عند اعتداء الحاكم الأجنبى الجديد لعرشه، والأمثلة عديدة سواء مع بابل أو ميتانى حيث تزوج «امنحوتب الثالث» من ابنة «كادشمان انليل» ملك بابل على الرغم من وجود شقيقة الملك البابلى ضمن حريمه، أى أن الفرعون قد جمع بين الابنة وعمتها، الشئ الذى تكرر مع ميتانى وغيرها.

كذلك نتج عن حالات الزواج السياسى السابقة تقوية الروابط بين الفرعون المصرى ومعاصره الأجنبى، ولكن ليس ما بين دولهم، ومن هنا كانت الضرورة فى حالة وفاة ملك أى من البلدين أن يتم زواج جديد وروابط جديدة، بالإضافة إلى ذلك لجأت مصر إلى نوع من السلام المسلح، والخروج من حين إلى حين إلى أطراف الدولة لطماننة الموالين وتأمين الجانب الاقتصادى والضرب على الطامعين، وعندما تخلت مصر عن اتباع تلك السياسة فى عهد كل من «امنحوتب الثالث» و «امنحوتب الرابع» فإن مشاعر الحكام لم تعد كافية لتأمين الجانب السياسى والاقتصادى وبالتالي اضطربت علاقات مصر الدولية.

نهاية الأسرة الثامنة عشرة :

بوفاة اخناتون وسمنخ كارع والآخر لازلنا نجهل أحداث عهده، وتبعه فى الحكم «توت عنخ آتون» الذى غير اسمه ليكون «توت عنخ آمون» واعتلى العرش وهو حديث السن ولكنه لم يعمر طويلاً إذ أنه مات بعد أن حكم نحو ثمانية أعوام وكان حينئذ فى الثامنة عشرة من عمره، ونال شهرة كبيرة بسبب ذلك الاكتشاف المثير لمقبرته عام ١٩٢٢ بواسطة «هوارد كارتير»، تلك المقبرة التى حوت أثاث وكنوز تعد أثمن كنوز المتحف المصرى بالقاهرة حالياً.

تولى العرش بعد «توت عنخ آمون» آى وهو من رجال الجيش وحمل لقب

«الأب الإلهي» ويرى «جاردنر» أن هناك قرابة بينه وبين يوريا والد الملكة تي، وربما كان صهراً لامنحتب الثالث، ومن المرجح أنه تزوج إحدى أميرات البيت المالِك، أو ربما أرملة توت عنخ آمون وذلك ليدعم شرعيته في إعتلاء العرش الفرعوني، الذي اعتلاه لمدة ثلاث سنوات تقريبا ليخلقه قائد الجيش «حور محب».

حور محب :

تضاءل النفوذ السياسي الخارجي لمصر خلال فترة العمارنة وبرغم المحاولات الجادة التي بذلها «حور محب» من أجل إعادة هيبة مصر ونفوذها في الخارج وخاض في سبيل ذلك معركتين على الأقل في عهد «توت عنخ آمون» وفي عهده، وكان معاصراً لملك الحيثيين «مورسيل (الثالث)» الذي مال إلى السلام فوجدها حور محب فرصة طيبة لاصلاح أمور مصر الداخلية ونشر العدل الاجتماعي بين ربوع مصر، لذلك اصدر مجموعة من التشريعات جعلته من أشهر المصلحين الإداريين والمشرعين، وتضمنت تشريعاته أحوال مصر المتردية قبل عهده، والمواد التي وضعها للقضاء على الفساد، وتوضيح الكثير من القواعد التي تهم المجتمع سواء في علاقتهم بعضهم البعض، أو في علاقة الفرد بالسلطة والحقوق والواجبات، سواء بالنسبة للفرد أو الدولة.

كذلك كان «حور محب» مهتماً بالبناء والتشييد، فأمر بتشييد بهو الأعمدة التي كان اكمالها من نصيب رمسيس الثاني، كما شيد الصرحين التاسع والعاشر بمعبد الكرنك، ايضاً يبدو أن طريق الكباش الممتد من الكرنك إلى الأقصر يرجع تنفيذه إليه، بالإضافة إلى عدة أعمال أخرى في أماكن متفرقة.

وبوفاة «حور محب» الذي لم يترك وريث له للجلوس على عرش مصر تنتهى الأسرة الثامنة عشرة.

عصر الرعامسة

الأسرة التاسعة عشرة ١٣٠٨ - ١١٩٤ ق.م.

ببداية الأسرة التاسعة عشرة التي أسسها رمسيس الأول والذي ثبت أنه لم يكن من أصل ملكي، وإنما ارتقى من خلال سلك الجندية حتى أصبح وزيراً في نهاية حكم حور محب، ولقد كان رجلاً مسناً حين اعتلى العرش ولم يكن مقدراً له أن يستمتع بسلطان الملك طويلاً، فماتتونيون لا يجعل له سوى عام واحد وأربعة شهور كمدة حكم، وخلفه ابنه سيتي الأول.

سيتي الأول :

يرجع إليه الفضل في استرداد الامبراطورية المصرية المفقودة، ويبدو أن سيتي نفسه كان يعد العدة لذلك ولذلك لقب نفسه باللقب الحوري « وحم مسوت » أي عهد تجديد المواليد بما يعنى عهد النهضة، وهي تسمية كانت لها سابقاتها في بداية عصر الأسرة الثانية عشرة في عهد « امنمحات الأول »^(١)، وفي مجال جهوده الخارجية فيبدو أن جزء كبير من المدن السورية والفلسطينية ظلت على ولائها لمصر، ربما بسبب اخلاص ولائها أو نتيجة للجهود التي بذلها حور محب في أعقاب فترة العمارنة، من هذه المدن بيسان، رحوب (إلى الجنوب من بيسان) وربما مجدو أيضاً، وكان هذا عامل مساعد لقيامه بحملاته التي سجلها في العديد من المناظر المصورة على الجدارين الشمالي والشرقي من قاعة الأعمدة لمعبد الكرنك، بالإضافة إلى عدد آخر من اللوحات وجدت في الأراضي السورية.

(١) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق، ص ٢٢٩.

وكذا :

Faulkner, R. O., CAH., Vol. II, P. 2, P. 218.

بدا «سيتى الأول» حملته من قلعة ثارو (تل أبو صيفة بالقرب من القنطرة شرق) وهى بداية الطريق الحربى من مصر إلى فلسطين، وفى الطريق من ثارو حتى رفح، قام بأعداد حصون صغيرة لحماية آبار المياه، ورغم أن الحصون كانت تحمل اسم « من ماعت رع سيتى الأول » فإن ذلك لا يعنى أنها كانت جميعا من انشائه، لأنها كانت موجودة منذ أقدم العصور ولكنه قام بترميم بعضها، فضلا عن انشاء الآخر، ومن رفح تقدم إلى مدينة كنعانية وهى غزة الفلسطينية على بعد يسير من الحدود المصرية، وقبل أن يستولى عليها، أى فى الطريق إليها، اضطر إلى القيام بمذبحة كبيرة بين الثائرين من بدو « الشاسو » ومن غزة أرسل قواته لمساعدة بيسان ورحوب (المواليين لمصر) والذين تعرضوا لهجوم حلف مكون من حماة وبحر، حيث نجح سيتى فى إخضاعهم .

وفى حملته الثانية سجل الملك أنه هجم على قادش وأرض أمور، ثم يتابع « سيتى الأول » سياسته باستعادة الامبراطورية بحملتين أخريين وهناك على تمثال للفرعون على هيئة أبو الهول فى معبد الجنازى بالقرنة، يشير إلى تقدمه فى أراضى أمور واستيلائه على مدن أولازا وسميرا، ويبدو أن حملته الأخيرة قد أدت إلى إثارة الحيثيين الذين حشدوا قواتهم لمواجهة المد المصرى، وفعلا تمت المواجهة بين القوتين ومعلوماتنا ضعيلة بشأن تاريخ تلك الحملة . ومكان المواجهة، ويبدو أنها كانت شمال « قادش » .^(١)

وطبقا لنصوص الكرنك فإن النصر كان من نصيب « سيتى الأول » وأنه نجح فى الحصول على كثير من الأسرى والغنائم، وأجبر الحيثيين على العودة إلى

(١) Gardiner , A., Ancient Egyptian Onomastica, Vol. II, P. 202 .

وكذا :

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

Faulkner, R. O., Op. Cit., P. 219.

بلادهم وأن «بتسينا» ملك أمور قد اعترف بسلطان فرعون، ومع ذلك فيبدو أن النصر لم يكن مؤزرا بدليل أن ابنه فيما بعد اضطران يخوض معركته الشهيرة في قادش، وأن تأثيره المادى لم يكن قويا على الحيثيين، فهناك ما يشير إلى أن المصريين رغم أنهم قد اكتسبوا سلطة مؤقتة على سهل سورية الشمالى، فسرعان ما عاد النفوذ الحيثى اليه من جديد، ويبدو أن حدود امبراطورية «سيتى الاول» فى نهاية حروبه كانت تمتد شرقا من مصب نهر الليطانى وأن مدن صور ومجدو وربما بيسان، قد استمرت حاميات مصرية، وبرغم أنه لم يستطع أن يحرز تقدما بعيدا فى سورية الشمالية، فإنه نجح على الأقل فى أن يفرض هيبة مصر فى كل فلسطين وفى سورية الجنوبية، وأن يهزم الجيش الحيثى، وأن يسيطر على اقليم أمور الموالى للحيثيين، وأن يعيد إلى الازهان مجد مصر العسكرى، وربما حدثت هدنة أو معاهدة بين الفريقين أجلت الصراع إلى حين. (١)

رعمسيس الثانى ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م.

ويخلف «رعمسيس الثانى»، والده بعد أن شاركه فى الحكم لفترة غير محددة ولكنها أكسبته خبرة فى شؤون الدولة الداخلية والخارجية. وفى بداية حكمه واجهته الصعوبات اذ تعرضت الدلتا لهجوم من «الشردان» فيما يعرف بأول موجة من غزوات شعوب البحر ولكنه انتصر عليهم ويأسر عدد كبير منهم بالاضافة إلى الاسرى الليبيين والنوبيين وربما كان هذا اشارة أيضا إلى حملات له ضد الليبيين والنوبيين، غير أن اهتمام «رعمسيس الثانى» إنما كان موجها إلى مملكة «خيتا» فى آسيا. العدو الرئيسى أمام النفوذ المصرى، إذ سعت كل من

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

وكذا :

White, J., Op. Cit., P. 176 .

القوتان أن تكون لها السيادة والتفوق وبالتالي صعب تجنب الصدام بين الامبراطوريتين المتنافستين.

كانت أول حملة لـ «رعمسيس» في السنة الرابعة من حكمه، حيث وصل بقواته إلى منطقة تعرف باسم «نهر الكلب» (شمالى بيروت) الحد الفاصل بين نفوذه ونفوذ خصمه، وهناك أقام لوحة تذكارية لحملته هذه، ولا توجد لدينا تفاصيل عن معارك فى هذه الحملة ويبدو أنها كانت حملة استطلاعية لتأمين طرق مواصلاته. (١)

وفى نفس الوقت كان الملك الحيثى «موتالمى» قد اتم استعداداته وجهاز مواته وقوات المؤيدين له ومعهم رؤساؤهم، ولم يذكر ضمن هذه البلاد أمور التى كانت قد دخلت تحت الولاء لمصر، ولم يترك شئ فى أقاليمه من مؤن وخلافه يمكن أن تساعده ويقال أن الملك الحيثى لم يترك فضة فى بلاده لأنه أعطاها إلى حلفائه لكي يضمن اشتراكهم فى الحرب إلى جانبه وقد عين اخاه «حاتوسيل» قائدا لأحد الفرق، ولم يترك أحد من رجال دولته البارزين فى الحرب دون تجنيد، وفى المقابل، لم تكن استعدادات «رعمسيس الثانى» أقل من استعدادات منافسة الحيثى ويبدو انه احتاج إلى نفقات كثيرة للقوات المصرية التى نظمت فى أربعة فيالق، آمون، ورع ويتاح وست من كل أنحاء مصر بعد أن فرض التجنيد الاجبارى على رعاياه فى فلسطين، والاسرى الشردان، ويتم تجميع الجيوش بقيادة الفرعون فى قلعة «ثارو» وتبدأ فى الاتجاه شمالا فى طريقها إلى قادش لتبدأ حملة السنة الخامسة من حكمه وتدور معركة من أهم معارك التاريخ المصرى سجلت تفاصيلها على كثير من البرديات بالاضافة إلى

(١) عن أدلة اشتراك رمسيس الثانى فى الحكم ، راجع :

Murnane, W., Ancient Egyptian Coregencies, P. 57.

معابد رمسيس الثانى فى أبو سمبل والأقصر والكرنك وإيدوس والرامسيوم وغيرها. (١)

ويرغم اهتمام كل جانب بتصوير انتصاره، فمن الواضح أن انتصار «رمسيس الثانى» لم يكن حاسما على عدوه، وكان فى عودته إلى مصر فرصة لاستجماع قواه، ولكن المدن السورية وجدتها فرصة للعصيان والخروج من النفوذ المصرى ربما بتشجيع من خاتى- مما اضطر الفرعون إلى الخروج إليها فى العام السادس أو السابع من حكمه حيث أخضع عسقلان، وفى العام التالى فى السنة الثامنة وصل إلى شمال فلسطين حيث أخضع عددا من المدن الثائرة فى منطقة الجليل ذكرت اسمائها فى الصرح الأول فى الرامسيوم وفى قاعة الأعمدة بالكرنك، وكذلك مدينة «دبور» فى أمورو التى وصف إخضاعها فى نقوش الرامسيوم، وفيها يظهر أولاد «رمسيس الثانى» مشتركين فى المعركة، ثم عاد فى العام العاشر من حكمه إلى منطقة «نهر الكلب» حيث أقام فيها لوحة تذكارية أخرى، ثم واصل تقدمه فى سوريا كلها حيث أوقع بالحيثيين هزيمة قاسية وأخضع «تونيب» وأقام تمثالا له فيها، ثم اجتاح قطننة، وفى الشمال الغربى أخضع «قود»، واستمر «رمسيس الثانى» يمارس نشاطه فى غربى آسيا، ولدينا من السنة الثامنة عشرة من حكمه لوحة فى بيسان تشير إلى نشاطه المستمر فى هذه المنطقة، بالإضافة إلى حملة أخرى فى عامه الحادى والعشرين مما يدل على أن هذا النشاط العسكرى الدائم قد أعاد لمصر هيبتها تماما، وفى النهاية تروى المصادر المصرية أن «خاتوسيل» قد طلب عقد معاهدة بين مصر وخاتى ربما بسبب أن مملكة آشور قد أخذت فى الظهور على مسرح السياسة الدولية فى غربى آسيا وبدأت تفرض سلطانها على جيرانها وكذا الصراع فى

(١) Gardiner, A., The Kadesh Inscriptions of Ramsess II, Oxford, 1960, PP. 7 - 9.

البيت المالك الحيثى مما يجعل لزاما على دولة الحيثيين أن تكون فى وثام
مع مصر، بالاضافة إلى خطر استمرار تدفق هجرات شعوب البحر الآرية على
حوض البحر المتوسط وشواطئه. (١)

ويصف رعمسيس الثانى مجيئ رسل الملك الحيثى إلى قصره فى
عاصمته :

« العام الحادى والعشرون، اليوم الحادى والعشرين
من الشهر الأول من فصل برت من حكم جلالته
ملك مصر العليا والسفلى وسرماعت رع ستب
إن رع، ابن الشمس، رمسيس محبوب آمون، له
الحياة ويظل خالدا للأبد، محبوب آمون رع
بتاح، سيد (ملك) حياة الأرضين

ثم يمتضى النص فى سرد أنه فى هذا اليوم وبينما جلالته فى قصره
بعاصمته الشمالية جاءه رسولى ملك خيتا معا فى رفقه مندوبين حاملين إلى
الفرعون رسالة خيتا أو مشروع معاهدة بين البلدين ومعهما لوحة من الفضة من
ملكهم « خاتوسيل » .

ولقد قبل « رعمسيس الثانى » المعاهدة من حيث المبدأ، وكتب رجاله
نصا آخر باللغة المصرية على لوح من الفضة أيضا، قد يكون متفقا مع النص
المسمارى والذى حمله رسول خيتا أو معدلا عنه تعديلا يسيرا وبعد اتصالات

(١) عن نصوص هذه المعاهدة بين مصر وخيتا، انظر :

Goetze, A., Treaty between Hattusilis and Ramses II, ANEt, PP. 201
- 203.

أخرى وقع الملكان على المعاهدة حوالى عام ١٢٧٠ ق.م. وربما وقعت الملكتان عليها أيضا وبدأت صفحة جديدة فى العلاقات بين الدولتين .

ويتضح من شكل المعاهدة وطريقة صياغتها مراعاة أنها بين دولتين كل منهما تعتبر دولة عظمى بدون أفضلية لدولة علي حساب الأخرى وهى فيما يعتقد البعض قد عبرت عن سمو فى صياغة العلاقات الدولية بين الدول دون تعصب، ومع ذلك فهناك إشارة فى المعاهدة قد يفهم منها أنها امتياز لمصر على خاتى وهى خاصة برعايا مصر فى املاكها الآسيوية الذين يثورون أو حين التعرض لهجوم من الخارج فإن على ملك خاتى أن يقدم المساعدة بنفسه، وأن حدث ذلك فعلى «رعمسيس» أن يحضر مشاته وفرسانه وإن يرسل ردا لأمير خاتى، وتعهدت كل من الدولتين بعدم الاعتداء على حدود الأخرى، وأن تقوم كل من الدولتين بتقديم المساعدة إذا تعرضت أحدهما لاعتداء خارجى، وأشهدت المعاهدة فى خاتمتها الهة كلا من البلدين عليها وبذلك تمت مباركتها من الالهة فى البلدين وأصبحت مقدسة. (١)

كان من نتائج هذه المعاهدة بين مصر وخاتى إن سادت العلاقات الودية بين الدولتين فلم نعد نسمع عن حروب بينهم، واستمرت الرسائل المعبرة عن هذه العلاقة ومنها الرسالة التى أرسلتها الملكة المصرية .

نفرتارى «نفرتارى محبوبة الالهة» موت «الزوجة الملكية العظمى للفرعون «رعمسيس الثانى»، التى أرسلت إلى ملكة خاتى :

«من نامبنتيرا (نفرتارى) ملكة مصر إلى بودى خيسبا

ملكة أرض خاتى، أختى، أقول لكى ان أختك فى سلام

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، ص ١٨٢ .

وأرضى فى سلام، واليكى يا أختى السلام (ان تكون)
أرضك فى سلام، انظرى (لقد) سمعت أنكى يا أختى
قد كتبت إلى بخصوص السلام والعلاقات الطيبة،
وعلاقات الأخوة بين ملك مصر العظيم وأخيه ملك أرض
خيتا العظيم، (الالهة) شمش وتيشوب سوف
يرفعان رأسك، وسيمنح شمش السلام ليحل
الخير، وسيمنح الأخوة الطيبة للملك العظيم، ملك مصر
وللملك العظيم، ملك خيتا أخيه إلى الأبد»^(١)

كذلك فلقد تدعمت العلاقة بين الدولتين، مصر وخاتى، بذلك الزواج
السياسى فى العام الرابع والثلاثين من حكم «رعمسيس الثانى» الذى تزوج
بالابنة الكبرى للملك الحيثى، خاتوسيل الثالث «واعترزت المصادر المصرية
بهذا الزواج ويذكر هذا الحدث الهام حيث صاحب الملك الحيثى ابنته إلى مصر
ليحضر زفافها إلى الفرعون، ورويت القصة فى نصوص كثيرة فى أبو سمبل،
والكرنك، واليفاتتين وفى إحدى لوحات الزواج التى وجدت فى معبد «أبو
سمبل» فإن النصوص المصرية إنما تعد هذا الزواج وكأنه خضوع الحيثيين
لمصر حيث تصف اللوحة أن الأمراء الكبار من جميع البلاد قد سمعوا بقدرة
جلالته الخارقة، فتملكهم الرعب، فقد مرا له الجزية كل عام بما فى ذلك
أطفالهم، ما عدا أرض خاتى التى لم تفعل ما فعلته هذه البلاد، فأقسم جلالته

(١) Langdom, M., and Gardiner, A., Op. Cit., PP. 204 - 205 .

وكذا :

أرمان و. هـ. رائكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبوبكر
ومحرم كمال ، ص ٧٠ - ٧١ .

باسم رع الذى جعله حاكم الأرضين بأنه سوف يحصل على أرض خاتى وسوف
تجثو تحت قدميه إلى الأبد ومن ثم فقد جهز جلالته مشاته وفرسانه ودفع بهم
فى أرض خاتى فسلبها وجعل اسمه فى كل مكان ثم تلت ذلك سنوات عجاف
قاست خاتى بسببها الكثير، وأخيرا قرر أميرها أن يخضع خضوعا تاما، بعد أن
ظل يستعطف جلالته عاما بعد عام دون جدوى عندئذ قال أمير خاتى لقواده
ومستشاريه ما هذا لقد ضريت بلادنا وآلهنا «ست» غاضب علينا ولا توجد
مياه لدينا، فلنحرم أنفسنا من كل ما نملكه وفى مقدمة ذلك ابنته الكبرى حتى
يعطيهم فرعون السلام، ثم يستطرد النص :

«... حينئذ قرر أن يحضر هو ومعه ابنته الكبرى
مع الجزية الذهب والفضة والخامات الثمينة الكثيرة
والخيل التى لا حصر لها والآلاف من الماشية والماعز
والغنم، وبلا عدد لكى يحسموا أرضهم (بلادهم)
(حينئذ جاء احدهم) ليخبر جلالته قائلا : أنظر
الأمير العظيم الحاتى، ابنته الكبرى قد احضرت،
وتحمل الحاشية معها كل شئ وهم (يغطوا) الوادى
ابنة رئيسى خاتى، الآن بعد (ايام) وصلوا (إلى مدينة)
رمسيس مرى آمون واحتفلت بهذا الحدث العظيم
فى العام الرابع والثلاثون الشهر الثالث من الفصل الثانى
(رمسيس الثانى) حينئذ قدمت إليه
ابنة الأمير العظيم لخيتا، التى كانت قد
سارت إلى مصر لتكون فى حضرة جلالته مع
حاشيتها الكبيرة تتبعها بلا حدود.

حينئذ جلالته رأى وجهها الجميل (مثل)
الالهة، لقد (كان وقمها) طيب فى قلب جلالته
وأحبها أكثر من أى شئ كحظ طيب من الاله بتاح
حينئذ جلالته امر أن يكون اسمها الزوجة
الملكية « معات نفرو رع » ابنة الأمير العظيم
لخيتا (حاتى)

كما مثلت الملكة الحيثية على أحد التماثيل فى عاصمة الملك الجديد
يتانىس ولقد أخذت الاسم المصرى : ماعت نفرو رع

ولقد لقبت الملكة الحيثية بلقب الزوجة الملكية، الزوجة العظمى ووضع
اسمها داخل خرطوش وتبع ذلك دائما - عبارة - ابنة الحاكم العظيم لخيتا

وكما يرى الباحث فإن هذا يعنى أنها حصلت على مكانة رفيعة بالنسبة
لوضعها كزوجة أجنبية وربما كان هذا مرجعه مكانة أبيها ودولته بين دول الشرق
القديم . أيضا يلاحظ أنها لم تأخذ أبدا بين ألقابها لقب :

« سيدة الأرضين »

بمعنى سيدة الأرضين، ربما بسبب أنها لم تكن مصرية وحتى لا يمكنها
أن تنقل حق الارث إلى أولادها. (١)

أيضا شهد عهد « رعمسيس الثانى » بعد ذلك زواجه من الابنة الثانية
للملك الحيثى « حاتوسيل » حيث عثر بترى " Petrie, F. " على لوحة من
الجرانيت الأسود بمبعد « ققط » ودل الجزء الباقي منها على أن « رعمسيس

Gauthier, H., L.R., III, MIFAO, Tome 19 , P. 78 ;
Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 229.

(١)

الثانى» قد كتب نقوشه بعد أن محا نقوش تخص الدولة الوسطى وهى تشير إلى زيارة قام بها بعض الامراء الآسيويين لمصر يحملون هدايا إلى الفرعون والنص يتفق فى مضمونه مع نص لوحات الزواج السابقة حيث تمت الزيجة الأولى وخاصة فى عبارة بنته الأخرى سطر ١٠، ١١ مما يعنى أن أميرة أخرى قد أحضرت لتكون زوجة «رعمسيس الثانى» والنص يبدأ كالتالى مع مراعاة أن النصف الأول من اللوحة قد فقد :

«..... [رؤساء] كل البلاد حاملين جزيتهم

[-] كثير من الذهب، كثير من الفضة،

والأحجار الكريمة من كل نوع [-] كثير جدا

من أسرى بلاد ككشكش، كثيرا جدا من أسرى

[-] كتابات الفرعون «رعمسيس»

[-] كثير جدا من قطعان الماعز، كثير من

الماشية الصغيرة أمام ابنته الثانية، ()

(رعمسيس الثانى) معطى الحياة لمصر للمرة الثانية...»^(١)

ولقد عثر على شقفة أخرى كبيرة بعد ذلك من نفس اللوحة أرسلت للمتحف المصرى بالقاهرة، حتى قام كل من الاستاذ جاب الله وكنتشن «بنشر اللوحة كاملة التى تبدأ بذكر صفات «رعمسيس الثانى» حورس الثور القوى، محبوب ماعت، ملك مصر العليا والسفلى «وسرماعات رع» ستب أن رع، ابن الشمس، رعمسيس محبوب آمون له الحياة، ثم تتحدث عن حضور رؤساء البلاد الاجنبية حاملين الجزية إلى رعمسيس الثانى ومن بينهم رئيس حاتى الذى أحضر الغنائم الثمينة من أرض حاتى، الغنائم الثمينة من ككشكش، الغنائم

Breasted, J. H., ARE, Vol. III, \$ 427 - 28, PP. 187 - 188.

(١)

الشمينة من ارزاوا Arzawa ، ثم الغنائم الشمينة من قد Qode الكثير من الخيل، الكثير من قطعان الماشية، الكثير من قطعان الماعز، كل هذا أمام ابنته الأخرى، التي احضرها لـ «رعمسيس الثانى» مانح الحياة لمصر للمرة الثانية، ثم يمضى النص فى توضيح أنهم لم يحضروا بالقوة وإنما قد حضروا بسبب آلهة مصر وآلهة البلاد الأجنبية لكي يحضروا (الجزية)، وهم الذين حملوها حتى حدود بلاد «رعمسيس الثانى» ولم يذهب أمير أوقات مصحوبة بعجلات حربية لاحضارهم ولكن الاله «بتاح» والد الالهة الذى وضع كل الاراضى وكل البلاد الأجنبية تحت قدمى الاله الطيب». (١)

ويبدو أن لوحة «قفط» تشير إلى زواج الفرعون من الأميرة الحيثية وتدل سطورها الأخيرة على استمرار العلاقات الودية بين الدولتين مع شئ من المبالغة فى تصوير ذلك الزواج على أنه نوع من الخضوع الحيثى لمصر كما حدث تماما فى لوحات الزواج الخاصة بالزيجة الأولى، وطبيعى أن الزيجة الأولى قد أخذت قدر أكبر من الاهتمام وخاصة فيما يتعلق بتصوير هذا الحدث حيث سجل الزواج الأول فيما لا يقل عن ثلاث لوحات زواج، أيضا فيما يتعلق بالزواج الثانى فيبدو أنه قد نقش فى أكثر من نص بدليل العثور على بقايا لوحة أخرى بالقرب من الصرح الأول بمعبد «سيتى الأول» بأبيدوس بمقارنتها بلوحة قفط يتضح أنها لنفس الحدث، كذلك يمكن التدليل على أن الجزية أو المهر المقدم من حاتى سواء فى الزيجة الأولى أو الثانية إنما قد كان كبيرا جدا وهو ما يوضحه النص.

وبينما يرى البعض أن هذا الزواج السياسى إنما يعكس العلاقات الطيبة بين الدولتين والتي تدعمت بعد توقيع المعاهدة فى العام الحادى والعشرين من

Kitchen, K., and Gaballa, G.A., Ramesside Varia II, ZAS, Band (٢) 96, Berlin, 1969, Pp. 15 - 17.

حكم «رعمسيس الثانى» وأن الزواج الأول حدث بعدها بثلاثة عشرة عاما ثم تلاه الزواج الثانى «لرعمسيس» من ابنة الملك الحيثى وهو رواج شائع فى الشرق الأدنى القديم خلال تلك الفترة وما قبلها»

بينما يرى البعض أن هذا الزواج السياسى بين رعمسيس الثانى وبنات الملك الحيثى إنما يوحى بقوة أن القوى الحيثية بدأت فعلا فى التضاؤل، بالإضافة إلى تعاظم قوة آشور التى بدأت حينذاك عصرها الوسيط وبدأت تتطلع إلى نصيب من السيادة بفضل نمو اقتصادياتها وقوتها الحربية، وكفاءة شخصيات ملوكها العظام فى تلك الفترة مثل الملك «دادنيرارى الأول» (١٣٠٧ – ١٢٧٥ ق.م.) وابنة شالمانصر الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق.م.) وخليفته الملك توكولتى – نينورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق.م.)، وهو ما يميل إليه الباحث خاصة إن هذا الزواج حدث من جانب واحد ولم يحدث إن تزوجت أميرة مصرية إلى أى من أمراء الحيثيين وهو ما يعكس قوة مصر فى تلك الفترة التى سعى إليها الجميع من جديد يطلبون صداقتها والارتباط معها، ولذا وجدت عدة زيجات سياسية أخرى ضمن حريم «رعمسيس الثانى» حيث تزوج من إحدى الأميرات البابليات يعتقد أنها ابنة خادشمان أنليل الثانى وأيضا أميرة من سوريا الشمالية ابنة ملك يسمى زلابى *Zulapi†*، وربما كان دافع بابل من هذه الزيجة ضمان حليف قوى، فى مواجهة قوة آشور المتزايدة، بينما كان دافع الأمير السورى دافع مادي.. (١)

Seipel, W., Op. Cit., LÄ, Sp. 1106 .

(١)
وكذا :

Schulman , A.R., Op. Cit., P. 187 .

الملك مرنبتاح :

توفى رمسيس الثانى بعد حكم طويل بلغ نحواً من ٦٧ عاماً، وشهرة لم يحظ بمثلها أى فرعون آخر، وخلفه مرنبتاح الذى كان فى حوالى الستين من عمره حينما اعتلى العرش بدون أى صعوبات على ما يبدو، إذ تم اختياره بمعرفة أبيه، وبذل جهوداً مشكورة فى سبيل المحافظة على الامبراطورية، ففى السنة الثالثة من حكمه هبت ثورة عاتية بمستعمرات مصر الآسيوية، واشترك فى هذه الثورة قبائل بنى إسرائيل وأهالى غربى سورية وفلسطين التى كانت خاضعة لمصر، ولقد نجح «مرنبتاح» فى اخماد الثورة ويبدو أنه قد اشترك بنفسه فى اقناع الثورة، وسجل انتصاره على لوحة ورد بها اسم اسرائيل لأول مرة، مما دعا إلى الاعتقاد بأنه هو الفرعون المعاصر لموسى عليه السلام، ولكن لا يمكن تأييد هذا الاستنتاج أو غيره من الفروض التى رأت فى بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة أمثال : أحمس الأول، امنحوتب الثانى، تحوتمس الثالث وغيرهم من الشخصيات التى ارتبطت بفرعون الخروج، وكل ما نعلمه الآن هو مجرد استنتاجات وافتراضات، والله وحده علام الغيوب .

كذلك نجح «مرنبتاح» فى العام الخامس من حكمه من حماية الحدود المصرية فى غربى الدلتا من الهجوم الخطير الذى شنه عليها الليبيون (التحنو) وحلفاؤهم من الشعوب الهندو أوروبية التى تجمعت على الساحل الليبى ثم اتجهت مع القبائل الليبية فى مسيرة نحو الحدود المصرية غرب الدلتا ، وانتهت تلك المواجهة بانتصار الجيوش المصرية، وقتل عدد كبير من القوات الغازية، وأسر عدد كبير منهم، وبذلك تم وقف كل هجوم من تلك الناحية على مصر فى عهد «مرنبتاح» على الأقل .

ولم يطل حكم مرنبتاح أكثر من عشر سنوات مات بعدها وترك العرش ومصر فى فترة مضطربة بسبب النزاع العائلى الذى ظهر فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة .

الملكة تاوسرت ونهاية الأسرة التاسعة عشرة :

أعقب موت «مرنبتاح» وحتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (١٢١٤ - ١١٨٤ ق.م.) فترة من الاضطرابات ، حدثت فيها منازعات شتى حول العرش، حيث اضطربت الاحوال الداخلية، وتتابع ثلاثة من الملوك وملكة فى نهاية الأسرة ، حكموا جميعا لفترات قصيرة ، وتناول أمر تتابعهم والعلاقة التى تربط بينهم جدل طويل من علماء المصريات حتى نادى البعض بوجود مشكلة وراثية للعرش مثل مشكلة حتشبسوت والتحامسة وذلك بسبب المحو المستمر للخراطيش الملكية والذي استمر حتى بداية الاسرة التالية لهذه الفترة .

وبينما يرى البعض أن ترتيب الملوك فى تلك الفترة المضطربة كان على النحو التالى أمنموس، سيتى الثانى، سخع ان رع رمسيس سبتاح الذى غير اسمه فيما بعد أثناء حكمه إلى أخزح مرنبتاح سبتاح ^(١)، ثم الملكة تاوسرت ^(٢).

غير أن ترتيب الملوك الثلاثة تكتنفه صعوبات وخاصة أن رعمسيس الثالث (١١٨٤ - ١١٥١ ق.م.) ثانى ملوك الأسرة العشرين فى نقشه بمعبد هابو قد حذف اثنتين منهما، حيث تبع رعمسيس الثانى كل من سيتى الثانى، ست نخت ثم رعمسيس الثالث وهذا يعنى أن سيتى الثانى فقط يعتبر من الحكام الشرعيين بينما الاثنى الآخرين غير شرعيين ^(٣).

لذلك يرى البعض فى سيتى الثانى خلف مباشر لآبيه مرنبتاح، وخاصة بعد العثور على تمثال موجود الآن بمتحف القاهرة (رقم ٦٣٣) وفيه مرنبتاح مع ابنه

Von Beckerath, J., "Queen Twosre as Guardian of Siph ", JEA, (١) Vol. 48 , 1962 , P. 70.

Faulkner, R.O., " Egypt From the Ineqation of the Nineteeth (٢) Dynasty to the Death of Ramisscs III, CAh, Vol. II, Part 2 A,P. 235.

Von Becherath, J., Op. Cit., P. 70.

(٣)

سيتى الثانى^(١)، بالإضافة إلى نقش معيدها برزفيه اسم سيتى الثانى تالى لاسم مرتبتاح .

وهناك لوحتان فى القرنة بطيبة الغربية يوجد عليها اسم «امنموسى» ولكنه ازيل بمعرفة «سيبتاح» ووضع اسمه مكانه، مما يبدو أن الأخير قد جاء بعد امنموسى بينما جاءت الملكة «تاوسرت» فى نهاية الاسرة ويعنى هذا أن التعاقب كان على النحو التالى : سيتى الثانى ، امنموسى ، وسيبتاح الملكة تاوسرت^(٢) .

لكن هذا الترتيب لم يقبل به الكثيرون من علماء المصريات حيث أن هناك أدلة أن سيبتاح قد خلف سيتى الثانى، كما أن البعض يعتقد أن «امنموسى» قد سبق سيتى الثانى، اعتمادا على بردية موجودة الآن بالمتحف البريطانى (بردية سولت Salt) تحت رقم ١٠٠٥٥ ، وتبدأ البردية بحديث «آمون نخت» ابن رئيس العمال «نب نفرو» والذي بموته فقد عين أخيه «نفر حتب» مكانه ولكنه قتل بواسطة العدو (يقصد بانب) وهو رئيس عمال كان مؤيدا من الوزير حيث يشير النص .

«... بانب أعطى خمس من تابعى أبى إلى «ب رع أم حاب» الذى كان وزيرا (فوضعه مكان أبى) وعند وفاة الملوك (-) فإن بانب قد سرق أشياء تخص الملك سيتى مرتبتاح (سيتى الثانى) (-)

من مخزن الملك سيتى مرتبتاح، ثم أخذ غطاء ؟ عربته قطع يد (-) الكاتب .

Buttles, J., Op. Cit., P. 158 .

(١)

Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 236 ; Gardiner, A., "Only one King (٢) Siptah and Twosre not his wife ", JEA., Vol., 44 , 1958 , P. 16.

(- خمسة - للباب : ولكن وجدوا أربعة منهم ، وأخذ لنفسه واحدة ...
ثم أخذ لنبيذه وجلس على التابوت الخاص بالفرعون بالرغم من أنه كان مدفونا
بداخله » (١)

ثم يمضى « أمون نخت » فى توجيه اتهاماته إلى « بانب » حيث يتضح أنها
جرائم لا حصر لها من قتل وإنتهاك حرمة معابد الآلهة وثلاثة من مقابر الأفراد
وإنتهاك عرض امرأة ، وهى أدلة على مدى ماوصل إليه الفساد الإدارى والخلقى
فى تلك الفترة ، غير أن ما يهمنا أن « نفر حتب » قبل وفاته قد تقدم بشكوى
حيث يشير النص :

« رئيس العمال « نفر حتب » احضر شكوى ضده (بانب) أمام الوزير
أمنموس ، فأنزل عليه العقاب ثم احضر شكوى ضد الوزير أمام موسى ، الذى
طرده من منصب الوزارة » (٢).

ويتضح من النص أن الوزير قد خلع من منصبه بواسطة موسى ، والوحيد
الذى يستطيع أن يعزل الوزير هو الفرعون نفسه ، فعلى ذلك فإن هذا الشخص
إنما كان اختصار لاسم الفرعون ، ويفترض البعض أن موسى هو (أمنموس) وإن
اسم موسى هو اختصار لاسمه مثلما كان يطلق على « رع مسيس الثانى » اسم
« سسى » ، وهكذا فإن أمنموس قد سبق سيتى الثانى على العرش .

وعلى الرغم من أنه لم يتأكد بصفة نهائية إذا كان « أمنموس » هو موسى
الوارد اسمه فى البردية وبالتالى وضعه كخليفة لمرنبتاح بسبب عقاب منها وجود
نقش على قاعدة تمثال فى « ليفربول » سجل عليه اسم « سيتى الثانى » ثم أزيل

Cerny, J., "Papyrus Salt 124. (brit. Mus 100 55", JEA, VOL. 15, (١)
1929, PP. 244- 245.

Ibid., P. 246 .

(٢)

ووضع مكانه اسم « أمنموس » وفي هذا إشارة إلى أن أمنموس قد جاء بعد سيتي - صاحب الاسم الأصلي .

غير أن هنا قطعة من اللخاف (رقم ٢٥٥١٥) موجودة الآن في المتحف المصري تسجل وفاة « سيتي » وارتقاء سيبتاح بعده ^(١) ، بالإضافة إلى اتفاق علماء المصريين على أن سيبتاح كان ترتيبه بعد سيتي الثاني . وبذلك يكون الترتيب كالتي : أمنموسى ، سيتي الثاني ، سيبتاح ، تاوسرت ^(٢) .

فالبعض يرى أن مصر بعد عهد « مرنبتاح » كانت فى حالة اعياء وفقر شديد ، ربما بسبب الحروب المستمرة التى اضطرت « رعمسيس الثانى » وابنه « مرنبتاح » إلى خوضها بالإضافة إلى أن الأول قد استنفذ موارد البلاد فى انشاءاتها العديدة واستنفاد موارد البلاد الاقتصادية فى تلك الانشاءات ، كل هذه الأمور أدت إلى اضطرابات داخلية شمل منطقة طيبة واستغل « أمنموسى » هذا الوضع ونادى بحقه فى العرش مطلقا على نفسه « آمون موسى » أى مولود آمون مكونا حكومه فى مصر العليا ، اعترف بها أهل طيبة ^(٣) ، وإن كان هذا الكلام يبدو مقبولا بالنسبة لاضطراب الأحوال والصراع على العرش إلا أن الشئ الغير مقبول هو انقسام مصر إلى دولتين ووجود حكومة فى مصر العليا اعترف بها أهل طيبة دون سواهم ، الأمر الذى لم يقل به أحد من المؤرخين لعدم وجود أدلة تدعّمه برغم ضعف ملوك تلك الفترة وقصر مدة حكم كل منهم مما أدى إلى اضطراب الأمور وتعقيدها ^(٤) .

(١) Aldred, C., "The Parentage of King Siptah", JEA, Vol. 49, 1963, P. 44.

(٢) Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 237 .

(٣) ١. شارف : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٤) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

أما عن أول هؤلاء الملوك « أمنموسى » فإن سلسلة نسبة غير مؤكدة وبالتالي علاقته بالأسرة المالكة، أمة « تاخعت » (تاخاعه) ربما ابنة أو صفية لـ « رعمسيس الثانى » حيث حملت لقب الابنة الملكية ، الزوجة الملكية الكبرى، وربما كان هذا هو السبب فى تطلعه للعرش، وفى مقبرته رقم عشرة بوادى الملوك والتي تعرضت للتخريب من جانب أعدائه، يوجد بجانب اسم أمه اسم ملكة يعتقد أنها زوجته تدعى باكت ورل B3kt - wrl ^(١)، وكذلك اسم « تيا » والبعض يرى أن الأخيرة يمكن أن تكون أما لسيبتاح .

حكم أمنموسى لمدة قصيرة وتميز عهده بالاضطراب إذا صح نسب بردية ساليه إليه، وربما يكون قد توفى أو خلع فى السنة الخامسة من حكمه لصالح « سبتى الثانى » ^(٢) .

Faulkner , R.O., Pl. Cit., P. 236 ; (١)

Aldred , C., Op. Cit., PP. 46 - 47 ;

Gauthier , H., L.R., III, P. 130 .

Von Becherath, J., " Amenmesse", LAI, Sp. 201 . (٢)

سيتى مرنبتاح «سيتى الثانى» :

هذا وقد ذكر أبوه مرنبتاح على الآثار باعتباره الملك الشرعى وخاصة بمدينة هابو حيث اعتبره رعمسيس الثالث هو الوريث الشرعى لمرنبتاح ^(١)، وقوى من شرعية اعتلائه العرش بالزواج من تاوسرت التى اعتبرت الورثية الملكية واحتمال انتمائها إلى نفس فرع عائلة زوجها وقد أنجب ابن أطلق عليه «سيتى - مرنبتاح» وكذلك ابنة توفت هى وأخوها أثناء حياة «سيتى الثانى» لذلك لم يترك وريث له ^(٢)، وإن كان البعض يعتقد أن «سيتى الثانى» قد تزوج أولا من «تاخمت» ابنة رعمسيس الثانى من زوجة ثانوية وبوفاتها تزوج من «تاوسرت» وهو رأى لا يعتمد على أدلة واضحة ^(٣).

وكانت مدة حكم «سيتى الثانى» قصيرة إذ توفى فى العام السادس من حكمه طبقا لنص الشقفة رقم ٢٥٥١٥ الموجودة الآن بمتحف القاهرة حيث توفى فى اليوم التاسع عشر من فصل يرت (فصل الشتاء) فى العام السادس ... أن الصقر (الفرعون) قد طار إلى السماء واعتلى آخر عرشه ^(٤).

وبرغم قصر مدة حكمه إلا أنه ترك بعض الآثار منها مقبرته فى وادى الملوك وتحمل رقم ١٥ ، وكذا قام ببناء جنزى له لم يبق منه شئ الآن، كما أنه بنى معبدا صغيرا بالكرنك، كما اكمل معبد الاله «تحت» فى الأشمونيين

(١) Aldred , C., Op. Cit., P. 43 ;

Hall , H.R., The Ancient History of the Near East, London , 1963 , P. 378 .

Aldred, C., Op. Cit., P. 47 . (٢)

Petrie, F., "Notes on the XIXth , and XXth Dynasties", PSBA, (٣) Vol. 26, 1904, P. 37 .

وكذا : عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٧٤٩ .

Gardiner, A.H., "The Delta Residence of the Ramessides", JEA, (٤) Vol. 5, 1919, P. 190 ff.

والذى كان قد بدأ فيه جده «رعمسيس الثانى» بالإضافة إلى بعض آثار أخرى متفرقة (١).

خلف سخع ان رع رمسيس (رمسيس سبتاح) ، الفرعون سبتى الثانى والعلاقة بين هذين الملكين شأنها بين الملوك الاواخر فى الأسرة التاسعة عشرة يكتنفها الغموض ، ولقد بات من المؤكد الآن أن هذا الفرعون وابتداء من العام الثالث قد غير لقبه إلى « اخن رع ستب ان رع مرنبتاح » (مرنبتاح سبتاح) (٢). ربما ليكون ارتباطه أكثر قربا بالسلالة الملكية القديمة (٣).

ومن خلال المحتويات الجنائزية التى عثر عليها فى المقبرة الخاصة بسبتاح بواى الملوك المقبرة رقم ٤٧ ، أمكن التوصل إلى أن أم هذا الملك هى الملكة تيعا ، حيث عثر على شقفة من الألباستر من صندوق أحشاء كانوبى - موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان بنيويورك تخص الزوجة الملكية «تيعا» كذلك عثر على قطعة خشبية موجودة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة « تحت رقم ٣٨٧٧٨ » مرسوم عليها باللون الأزرق لقب الأم الملكية «تيعا» مع ملاحظة تهشم الخرطوش الخاص بها .

Aldred, C., Op. Cit., P. 44.

Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 237. (١)

(٢) عن توحيد اسمى «رعمسيس سبتاح» و «مرنبتاح سبتاح» وتولية بعد «سبتى الثانى» قد أصبح مؤكدا من مقارنة أسماء كبار الموظفين المعاصرين للفراعنة ، فلقد عين نائب الملك فى كوش «سبتى» فى السنة الأولى من عهد «رعمسيس سبتاح» وأنه كان لا يزال فى وظيفته فى السنة الثالثة من حكم «مرنبتاح سبتاح» .

انظر :

Gardiner, A., Only one king sipah and Twosre not his wife, P. 13;

Hayes, W., The Scepter of Egypt, Part II, P. 355 .

Gauthier, H., L.R., P. 148. (٣)

ولقد استنتج «الدرد» نتيجة لذلك أن «تيعا» لم تكن زوجة ملكية فقط وإنما كانت أيضا أم ملكية، وهذا يعنى أنها لم تكن زوجة «لسيبتاح» ولذلك فهي يجب أن تكون أم سبتاح، وخاصة بعد العثور على أشياء تخصها فأنها قد دفنت في مقبرته، وهذا الشرف الكبير لا يمنح لامرأة عادية، وطالما أنها ليست زوجته فهي أمه (١).

أما عن والد «سيبتاح» فيعتقد البعض أنه «أمموس» ، الذى تولى العرش فى الفترة ما بين «مرنبتاح» و «سيتى الثانى» (٢)، ومن الواضح أن اعتلاء سبتاح العرش قد تم فى ظروف لم يكن للفرعون المتوفى «سيتى الثانى» ابن لكى يخلقه، فخلقه «سيبتاح» الذى كان صغيرا فى السن عند اعتلائه العرش بمساعدة من أحد الموظفين ويدعى باى (٣)، الذى ترك أكثر من لوحة تدل على مقدار ما يتمتع به من نفوذ وأنه كان له دور هام فى تثبيت عرش هذا الملك، ففى لوحة أسوان التى تضمنت مديح من حاكم كوش للملك، فإنها أيضا لم تغفل القاب باى فهو :

(١) Aldred , C., Op. Cit., PP. 41 - 42 ;

Breasted , J., ARE., Vol. III, P. 247 .

Aldred, C., Op. Cit., P. 43 . (٢)

(٣) باى :

كان يشمل وظيفة «حامل الختم» وتدل أهميته من اللوحتين اللتين وجدتا فى أسوان ، وفى السلسلة حيث يشاهد فى كل منها الملك «سيبتاح» وخلفه «باى» حامل الختم، وتشير إليه النقوش بأنه «الذى ثبت الملك على عرش والده، ومن يحبه الملك»، كما وجد اسمه على كثير من محتويات المعبد الجنزى للملك سيبتاح، ولعل فى وحود قبر له فى وادى الملوك ما يشير إلى مدى الأهمية التى نالها والحظوة التى جعلته يقيم لنفسه مقبرة مثله مثل الملوك ، ويبدو أنه كان أجنبى انتحل لنفسه اسما مصرى ذلك أنه منذ منتصف الأسرة التاسعة عشر أصبح من الأمور العادية أن يشغل هؤلاء الأجانب الوظائف الكبيرة فى القصر الملكى ، انظر :

Von Bearckerath, J., Queen Twosre as Guardian of Siptah , P. 70 ;

Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 238 .

« حامل الختم الملكي، والسمير الوحيد، البعيد عن الكذب مقدم الحقيقة، الذي ثبت الملك مكان والده، الرئيس العظيم للمالية لكل البلاد رعمسيس « خع تروباى » (رعمسيس المضى بين الالهة) باى» (١).

وفى نقش آخر « بجبل السلسلة » يظهر فيه باى خلف الملك « سيبتاح » الذى يقدم الورود للاله « آمون » ولم يغفل النقش بجانب الدعاء للملك أن يدعو لبأى على عظيم خدماته وتأيده :

والدعاء « لبأى » فى نفس اللوحة :

« ... تقديم الدعاء إلى آمون رع، والطاعة إليه (كآمون) ليحفظ ابنه، ملك الأرضين « اخن رع ستب ان رع » (سيبتاح) ...

« ... ليتهما (آمون والملك) تقديرا للحق يكافئانه (للعادل) الحياة السعيدة والقلب السعيد الملى بالبهجة، والصحة، من أجل (كا) نفس الرئيس العظيم للمالية بكل الأراضى، الذى ثبت الملك على عرش أبيه، ومن يحبه (الملك) باى ... » (٢).

ويتضح من النص الدور الذى لعبه « باى » لتأييد الملك « سيبتاح » الذى تزوج من الوريثة الملكية، أرملة « سيتى الثانى » الملكة « تاوسرت » الشخصية الرئيسية فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (٣).

كذلك فإن نقش باى الذى يصف بأنه أجلس « سيبتاح » محل أبيه تجعل البعض يفترض أن أباه هو الملك « أمنموسى »، لأنه ليس أبنا لآى من « سيتى الثانى » أو « مرنبتاح » بسبب عدم شرعيته هو وأبيه « أمنموس » فى نقوش معبد مدينة هابو لرعمسيس الثالث (٤)، ومن خلال نقوش مقبرة الملكة « تاوسرت »

(١) Breasted, J.H., ARE, II \$ 647, P. 278.

(٢) Ibid., \$ 648, 649, PP. 278 - 279.

(٣) Aldred, C., Op. Cit., P. 43.

(٤) Ibid., P. 45.

يتضح أنها كانت زوجة «لسيبتاح» الذى يبدو أنه قد تزوج أرملة سلفه «سيبي»
 الثانى «لكى يدعم شرعيته للعرش»^(١)، كذلك احتمال أن تكون «تاوسرت»
 وصية على «سيبتاح» وذلك بعد أن نشر «بيقرات» أحد التماثيل للملك
 سيبتاح «التمثال رقم ١٢٢ من مجموعة Munich Glytobhek» نقش عليه
 صورة لملك لا يجلس على العرش وإنما يجلس على حجر وجه آخر وضع ذراعه
 حول ظهر الملك والوجه غير واضحة معالمه بسبب سوء حالة التمثال، ولقد
 أمكن التعرف على اسم الملك (اخن رع ستب ان رع مرتتاح) «سيبتاح» الذى
 كان لا يزال صبي صغير ومثل يجلس على حجر القائمة بالوصاية عليه، والتي
 يعميل الناشر إلى أن تكون الوصية عليه «تاوسرت»، واستبعاد «باى» بسبب
 عدم وجود أدلة على جلوسه على العرش، ويبدو أن الملك «سيبتاح» كان سهل
 الانقياد لصغر سنه لكل من باى وتاوسرت^(١).

ولقد جرت العادة أن وادى الملوك بالبر الغربى من طيبة كان مخصصا لدفن
 فراعنة مصر من الملوك الرجال خلال عصر الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر،
 وحتى نهاية الدولة الحديثة، وكان هناك مكان آخر نطلق عليه وادى الملكات
 عشريه على أغلب مقابر الملكات وبعض الأمراء من البنات والأولاد الذين
 ينتمون للأسرة الملكية الحاكمة.

بالنسبة للملكة تاوسرت^(١) . T3 - Wsrt التى حملت من الألقاب^(٢) :

Von Beacrath, J., Op. Cit., P. 71 . (١)

Ibid., P. 73 (٢)

بينما لا يوافق الدرد Aldred, C. على هذا الرأى ويرى أن الصورة التى محيت لا تخص الملكة
 «تاوسرت»، بسبب أن «تاوسرت» تظهر فى النقوش الخاصة بمقبرتها تتبع الملك «سيبتاح»، وإنما
 يعميل إلى أن صاحب الوجه الجالس على حجر الملك هو والده الملك «أمنموس» أنظر :

Aldred, C., Op. Cit., P. 46 .

Gauthier, H, L. R., III, P. L 46

أنظر :

Ibid., P. 146 ;

(٣)

Buttles, J., Op. Cit., P. 159 .

الزوجة الملكية

الزوجة الملكية العظمى

سيدة الأرضين

كما حملت تاوسرت أيضا لقب الزوجة الالهية (١).

بالإضافة إلى لقب «الأميرة الوراقية» (٢).

وتدل نقوش المقبرة (رقم ١٤) بوادى الملوك أن المقبرة قد أقيمت أصلا للزوجة الملكية العظمى «تاوسرت» حيث كانت الشخصية الرئيسية الممثلة فيها كزوجة ملكية عظمى، كما مثل زوجها على الحائط اليمين من المدخل وبجانبه زوجة الملكة «تاوسرت» يقدمان العطايا لاله الأرض «جب»، وعلى الحائط المقابل فإن هذا الملك يظهر يقدم رمز الالهة «ماعت» آلهة الحق إلى الالهة ايزيس.

ويرى «جاردنر» أن الملك الأول الذي كان ممثلا مع الملكة هو «سيتاح» بينما قام «سيتى الثانى» بمحو صورته وخرائيشه، وأحل محلها النقوش الخاصة به وأضاف غيرها فى المساحات الخالية لنفسه (٣).

بينما يرى «ايرتون» أن الملكة «تاوسرت» قد تزوجت من «سيتى الثانى» باعتبارها الوريثة وبدأت مقبرتها ومعبدتها فى طيبة، وأنها قد حكمت وحدها لمدة قصيرة، استطاع بعدها «أمنموسى» خلعه واعتصاب العرش لنفسه وإلى أن

(١) Sander- Hansen, C.E., Das Gottsweib Des Amun, No 15, P. 7.

(٢) Gardiner, A., "The Tomb of Queen Twosre", JEA, Vol. 40 , 1954 , P. 42 .

(٣) Ibid., PP. 41 - 42 .

استطاع « باى » بمساعدة « تاوسرت » أن يزيحه ويضع مكانه « سيبتاح » الذى يمكن أن يكون أبنا « لتاوسرت » (١).

وبما أن الأدلة المتوافرة ترجح أن « سیتی » كان أسبق من « سيبتاح » فى الجلوس على العرش، فإن إحلال اسمه فى مقبرة الملكة قد يكون بفعل الملكة نفسها التى تفضل أن تمثل مع الملك « سیتی الثانى » زوجها الأول .

كما يرى البعض أن خليفة « سیتی الثانى » هو « سيبتاح » الذى تزوج من أرملة الأول الملكة « تاوسرت » (٢)، وبوفاة « سيبتاح » استطاعت الملكة « تاوسرت » أن تجلس على العرش لتكون رابع ملكة فى تاريخ مصر الطويل تحمل الألقاب الكاملة للملك الحاكم (٣)، وتاريخ حكمها غير محدد وآخر تاريخ معروف لنا هو العام الثامن حيث عثر على اسمها منقوشا على بقايا أوستراكا موجودة الآن بمتحف القاهرة (لخافه رقم ٢٥٢٩٣) ويتفق كثير من علماء المصريات بأن الأعوام الستة لحكم « سيبتاح » كانت ضمنها ، ربما لأنها كانت وصية عليه أثناء حكمه، كما أن نائب الملك فى النوبة والذى كان معاصرا لسيبتاح كان موجودا فى بداية الأسرة العشرين، مما يعنى أن حكمها المنفرد كان قصيرا جدا (٤)، وقد عثر « بترى » على بقايا معبدها الجنزى إلى الشمال من معبد « مرنبتاح » للأسف لا يوجد منه إلا بقايا الأساس، وبعض الجعارين (٥)، التى تحمل اسمها بدون الألقاب ، وبعض الأواني الفخارية،

Ayrton, E.R., "The Position of Tausert in the XIXth Dynasty", (١)
PSBA., Vol. 28, 1906, P. 189 .

Hayes, W., The Scepter of Egypt, Vol. II, P. 356 . (٢)

Von Becherath, J., Handbuch der Agyptischen Konigsnamen, (٣)
P.92 .

Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 239 . (٤)

Petrie, F., Op. Cit., P. 128 ; (٥)

Hayes, W., Op. Cit., P. 358 .

وبعض نماذج من أطعمة مخصصة لموائد القرابين صور بظ مطلية ، رؤس ثيران ، وأزهار لوتس ، بالإضافة إلى ثلاث لوحات حجرية ، نقش على اثنين منها أسماء « تاوسرت » كملك تحكم بمفرها ... « منزل ملايين السنين لملك مصر العليا والسفلى ، ست رع مريت آمون ، ابن رع تاوسرت ستب تن موت فى ممتلكات آمون » .

وفى اللوحة الثالثة يوجد خرطوشان « لتاوسرت » مسبوق كل منهما بعبارة « ملك الأرضين » ، كذلك جاء ذكرها فى مناجم القيروز بسرابيط الخادم مما يشير إلى استمرار حملات البحث عن المعادن فى سيناء (١) .

أما عن مقبرتها بوادى الملوك فقد اعتصبها « ست نخت » مؤسس الأسرة العشرين ، حيث قام باستبدال الخراطيش الموجودة بالمقبرة بخراطيشه ، ومن الواضح أنه قد دفن بها وخاصة بعد العثور على خرطوشه الموجودة على تابوته المهشم - ربما بفعل اللصوص فيما بعد - فى مقبرة « تاوسرت » (٢) .

أما عن نهاية الملكة « تاوسرت » فلا زالت الأدلة غير مؤكدة ، ويبدو أن حالة من الاضطرابات والفوضى والتنازع على العرش أعقبت « تاوسرت » مما أدى إلى فوضى شاملة وصفتها بردية « هاريس » التى تؤرخ نهاية الأسرة التاسعة عشرة ومجئ الأسرة العشرين حتى نهاية حكم رمسيس الثالث ، والموجودة الآن بالمتحف البريطانى (تحت رقم ١٠٠٥٣) ، وبرغم المبالغة التقليدية ، إلا أنها تعكس حالة عدم الاستقرار التى سادت مصر ، حيث يشير النص :

« أرض مصر قد اضطربت ، وأصبح كل رجل يعتقد أنه على صواب ، ولم يكن لهم حاكم لعدة سنين يتحدث باسمهم وأصبحت البلاد فى أيدي الأمراء وحكام المدن ، (أصبح) الرجل يذبح صاحبه (ايرسو) سورى ، معهم جعل

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٥١ .

Gardiner, A., Op. Cit., P. 41 .

(٢)

نفسه أميرا ، وأرغم البلاد أن تدفع له الجزية ، وسمح لأصدقائه بأن ينهبوا ممتلكات المصريين، وعامل الآلهة كما يعامل الناس ، ولم يقدم أى هبات للمعابد^(١).

وقد استنتج المؤرخون من هذا النص أن «أرسو» السوري قد حكم البلاد فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة، وإن اختلفوا فى وضعه فهناك من يراه ملكا وهناك من يراه مجرد حاكم وليس ملك، بل أن هناك من ينكر وجود «أرسو» لأن كلمة «أرسو» إنما تعنى «الذى صنع نفسه» وبالتالي فهي صفة لأحد الحكام الأواخر فى الأسرة التاسعة عشرة^(٢)، واحتمال كونه الملك «سيبتاح» الذى يبدو أن اسمه الاصلى «أرسو»^(٣)، وربما كان «باى» الشخصية المؤثرة فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة بدليل مقبرته فى وادى الملوك، وإحتمال أنه من أصل سوري انتحل الاسم المصرى، وتشير نصوصه إلى أنه كان صاحب اليد العليا فى إحلال «سيبتاح» على العرش، وربما إنتهز اضطراب الأحوال بعد وفاة الملكة الفرعون «تاوسرت» واغتصب العرش ، حتى استطاع الفرعون «ست نخت» حوالى (١١٩٧ ق.م.) أن يعيد الأمور إلى نصابها وأن يعتلى العرش مؤسساً أسرة جديدة ويعيد تنظيم البلاد من جديد وهو ما صورته بردية هاريس :

«... ولكن عندما التفتت الآلهة إلى نفسها لكى يظهروا الرحمة ويصححوا الأوضاع فى البلاد كما كانت من قبل، نصبوا أبنتهم الذى جاء من صلبهم ليكون حاكما - له الحياة والسيادة والصحة - على جميع البلاد ، على عرشهم الكبير وسر - خنو - رع ستب ان رع مري آمون (الملك ست نخت) ... لقد أعاد البلاد الشائرة كلها إلى النظام، وقتل الذين كانوا فى مصر وطهر عرش فيصر العظيم^(٤).

Wilson, J., "A Syrian Linterregnum", ANET, P. 260 . (١)

Hayes, W., Op. Cit., P. 363 . (٢)

Von Beckerath, Wueen Twosre as Gardian of Siptah, P. 71 . (٣)

Wilson , J., Op. Cit., P. 260; (٤)

Breasted, J., ARE, IV, \$ 398 - 99. PP. 198 - 199.

الأسرة العشرون

استطاع الفرعون «ست نخت» حوالي ١١٩٧ ق.م. أن يعتلى العرش مؤسساً للأسرة العشرين، متولياً عرش مصر لفترة قصيرة، اختلف عليها العلماء، فمنهم من يرى أنه قد تولى لفترة قصيرة لا تزيد عن بضعة شهور، بينما يرى «برستد» عام واحد فقط، بينما يرى «جاردنر» أنها كانت أقل من عامين، بينما هناك عدد من العلماء يرى أنه استمر في الحكم لمدة ثلاث سنوات، وقبل وفاته عين ابنه رمسيس الثالث شريكاً له في الحكم.

رمسيس الثالث (١١٨٦ - ١١٥٤ ق.م.)

حكم حوالي ٣٢ عاماً، واعتبره «مانيتون» المؤسس الحقيقي للأسرة العشرين، وهو آخر الفراعنة العظام أمثال تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني في عصر الدولة الحديثة، الأربع سنوات الأولى من حكمه غير واضحة وتنقصنا المعلومات، ولكن ابتداءً من العام الخامس وحتى العام الحادي عشر كانت هناك ثلاثة من الحروب الرئيسية، مصدرنا عنها الأول مناظر ونقوش معبدته الشهير في غرب طيبة (معبد مدينة هابو) الذي قام ببنائه في السنة الثانية عشرة من حكمه.

حيث واجه في العام الخامس من حكمه خطر جيش من الليبيين وحلفائهم الذين سبق وهزمهم مرتين من قبل، وهدفهم الحقيقي الإستيلاء على الأراضي الغنية في الدلتا والطمع في خيرات مصر، لكن رمسيس الثالث نجح في إيقاع الهزيمة بهم.

وفي العام الثامن من حكمه واجهت مصر خطر شديد داهم آت عن طريق سورية، من تلك العناصر المسماة شعوب البحر، التي تتحدث عنهم النقوش المصرية «...» (دبروا مكيدة في جزرهم، لم تستطيع البلاد (الأخرى) التصدي

لهم، قاموا بغزو بلاد خاتى وقرقميش وأرازوا وبعض البلاد الأخرى»

وتكونت شعوب البحر من عناصر عدة منها : البلست (الفلسطينيون)،
والثيكل (صقلية)، والشكلش، دنان، المشواش وغيرهم، وقد اتت تلك
العناصر من جزرهم فى وسط المتوسط، ولقد نجحوا فى زحفهم فى تحطيم
الدولة الحيثية، بعد ذلك وصلوا إلى بلاد أمور (سورية) وضربوا خيامهم ولبثوا
هناك فترة ومعهم نسائهم واطفالهم راغبين فى الاستقرار فى مصر وسورية، وكان
الهجوم على مصر بطريق البر والبحر، لكن رمسيس الثالث نجح فى كسر
شوكتهم وهزيمتهم حيث قتل منهم أعداد كبيرة بلغت اثنى عشرة ألفا
وخمسائة نسمة، واسر عدد كبير واستولى على كثير من السفن والمؤن ثم
سجل الملك هذا الانتصار الكبير على جدران معبده فى مدينة هابو وفى العام
الحادى عشر من حكم رمسيس الثالث ظهرت مشاكل الليبيين الذين اتحدوا
بزعامة اميرهم «مششر»، ابن ملك المشواشين «كبر»، وكان هدفهم الانتقام لما
حل بهم من هزيمة من قبل - فى العام الخامس من حكم رمسيس الثالث -
والهجرة والاستيطان بالدلتا.

وتصدى لهم رمسيس الثالث «مع جيشه، وبمساعدة الحاميات والحصون
المصرية الامامية، انزل بهم الهزيمة وتعقبهم بجيوشه حتى تأكد من خروجهم
تماما من أرض مصر، وانتهت هذه المعركة بقتل «مششر» وأسر والده، وقتل
واسر عدد كبير من هؤلاء المتطفلين مثيرى الشغب، ولم يعد هناك بعد ذلك
مجال للخوف من جهة الغرب.

هذه الانتصارات جعلت من رمسيس الثالث فى نظر معظم المؤرخين آخر
فراعنة الدولة الحديثة العظام، وجعلت مصر بعد العام الحادى عشر من حكمه
تنعم بفترة من السلام والاستقرار تحدثت عنها بردية هاريس.

غير أن هناك اشارات فى السنين الأخيرة من حكم هذا الفرعون العظيم يبدو أنها قد هددت حكمه ، وربما كان مرجعها أسباب اقتصادية، ذلك أن النصف الثانى من عهده إنما كان أقل رخاء من النصف الأول بسبب الحروب المتكررة ومشاريع البناء الكثيرة ذلك أن العالم كان يشرف على عصر اقتصادى جديد بسبب انتهاء عصر البرونز وبدأ عصر استخدام الحديد الذى لم تكن مصر تملك مصادره، ومن ثم كان عليها أن تشتريه من الخارج الأمر الذى أرقى ماليات البلاد^(١) ، بدرجة شديدة جداً، بالإضافة إلى المنح الهائلة والهدايا التى ذكرتها بردية هاريس والتى اصدقها الفرعون على جميع المعابد المختلفة والتى خص الآلهة آمون ومعابده فيها نصيب هائل بحكم كونه الآلهة الرسمية للدولة، مما كان له الأثر السيئ على اقتصاد مصر، وربما تسببت الازمة الاقتصادية وسوء الإدارة، وكذا المنازعات السياسية التى بدأت تظهر فى اخريات عهد هذا الفرعون بقيام عمال الجبانة الملكية فى دير المدينة بالقيام بأول اضراب وصلتنا اخباره فى التاريخ من خلال بردية (موجودة الآن فى متحف برلين) وكذلك شقيقه من دير المدينة : ذلك أنه فى العام ٢٩ من حكم رمسيس الثالث اضطر العمال بعد أن مضى شهر أن دون أن ترفع لهم مخصصاتهم التموينية أن يتجمعوا خلف معبد « تحوتمس الثالث » الجنائزى وأخذوا فى الصباح مطالبين بمخصصاتهم ورغم أن البعض قد عملوا على تهدئتهم فإن العمال قد استمروا فى اضرابهم حتى نهاية اليوم الثانى، ويذكر لهم عدم خروجهم على النظام ورغم الظروف الصعبة التى يواجهونها هم وعائلاتهم، واضطر الوزير « تو » أن يصرف لهم نصف المطلوب، ولكن العمال اصرروا على أن تصرف لهم كذلك مخصصات كاملة وفعلاً تم الصرف فى اليوم الثامن للاضراب .

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

وكذا :

Faulkner, R.O., Op. Cit., P. 246.

Wente, E., JNES, Vol. 20, 1961 , PP. 252 - 257.

وتكررت مسألة عدم صرف المخصصات للعمال فى الشهور التالية ويتكرر اضرابهم، وفى إحدى هذه الاضرابات يحضر اليهم عمدة طيبة الغربية ويعمل على تهدئتهم ويضطر اخر الامر ان يصرف لهم خمسين مكيالاً من الحبوب .

وهناك مثال آخر على الاضطراب السياسى فى تلك الفترة قيام أحد الوزراء بشورة فى الدلتا ضد الفرعون، كان مركزها «اتريب (بنها الحالية)» ، لكن رمسيس الثالث نجح فى القضاء عليها .

على أن هناك مثال سياسى آخر دل على الاضطراب السائد، حيث قامت بإحدى زوجات رمسيس الثالث بمؤامرة هددت حياة الملك والمعروفة «بمؤامرة الحريم» حيث لجأت الزوجة الثانوية «تى» لتعيين ابنها بدلا من الوريث صاحب الحق الشرعى. (١)

وربما كان هناك سبب دينى آخر للمؤامرة خلافا لتولى «بنتاؤر» للعرش، فقد كان توقيت المؤامرة مع وصول سفينة آمون إلى البر الغربى فى عيد الوادى، حيث كان الفرعون فى هذا اليوم يتمتع نفسه مع حريمه الخاص بدلا من الاشتراك فى الاحتفالات الدينية، فإن صح ذلك فربما كان ذلك العمل من جانب «رعمسيس الثالث» يعنى أن هناك محاولة للتقليل من شأن آمون، مما يفسر اغتياله بسبب الغضب للاساءة إلى الاله آمون، ورغم أنه لم يثبت اشتراك احد من كهان آمون، فلقد كان لدى كهانة آمون استياء من حكام الدلتا، ومن ثم فربما كان رجال آمون قد اشتركوا فى المؤامرة روحيا وماديا، أو كان ينتظر منهم تأييد المؤامرة لو قدر لها النجاح وخاصة أن توقيت المؤامرة يتفق مع الوقت الذى يجتمع فيه أنصار آمون الذين يمكن أن يكونوا سندا قويا فى الهجوم على

(١) تناولت أحداث هذه المؤامرة عدة برديات هى : بردية تورين القضائية وبرديتى رولين ولى Lee والأولى محفوظة بمتحف تورين ، أنظر :

Wilson, J., ANET, PP. 214 - 216.

«رعمسيس الثالث»، وهناك ما يشير إلى توتر في العلاقات بين البيت المالئ وكهنة آمون بدليل أن كاهن آمون الأول لم يشهد نهاية حكم «رعمسيس الثالث» (ربما وفاته)، بل لم يشهد ذلك أحد من أصغر الرتب الكهنوتية، كما أن الهبات الكثيرة التي خصصت لآمون في بردية «هاريس» وصلاة الملك لا تشير إلى تناسق كبير بينهما. (١)

كما أن توقيت تنفيذ المؤامرة قد اختير بدقة ليتناسب مع وصول سفينة الاله إلى طيبة في منتصف الشهر الثاني من فصل الصيف حيث تبدأ الاحتفالات بعيد الوادي مما يتأكد معه حالة من الزحام الطبيعي تجعل المنوطين بحراسة البوابات أقل قدرة على مواجهة أى اضطراب مقصود، بل أن التوقيت قد اعتمد على تدبير مسبق من المتآمرين الذين اتفقوا مع الشخص المنوط به تسليم مخصصات العمال ويدعى (با أن نشن الغرض من ذلك أحد أمرين أولهما كسب تأييد هؤلاء العمال كجزء من الخطة، وثانيهما، إذا تعذر ذلك أن يجذب انتباههم لمسألة مخصصاتهم بعيد عن المؤامرة، ولعل هذا الموقف يدل على دلالة واضحة على مدى أحكام التدبير من ناحية ومن ناحية أخرى على كبر حجم المؤامرة والمشاركين فيها، ويبدو أن المتآمرين لكي يتأكدوا من انضمام العمال إلى المؤامرة، فإنهم أرسلوا شخصا آخر يدعى «ختي» وقد اعتبر ذلك كمكافأة للعمال على تصرفاتهم أثناء الساعات الحرجة.

وخطط المتآمرون بعد دراسة للقصر الملكي البوابة التي سيدخلون منها وهو باب جانبي يفتح على جناح الحرير روعي فيه أن يكون بعيدا بقدر الامكان عن أعين الحراس، حتى السحر كان له نصيب في تخطيط المتآمرين وهو ما تشير إليه بردية «تي» حينما أخذ أحد المتآمرين ويدعى «بن حاوي بن» الذي كان يشغل وظيفة مشرف على الماشية حيث أعطى كتابة تمنحه القوة والنفوذ،

Goedicke, H., JEA, Vol. 49 , 1963, PP. 86 - 91 .

(١)

لم تكن تعطى إلا للفرعون نفسه، ويبدو أن المتآمرين قد نجحوا فى استمالة أحد الرجال المهمين ذو علم كبير بالسحر أمكن ضمه إلى صفوفهم وطلب منه أن يحضر كتاب خاص بذلك من مكتبة الملك وبذلك استخدم السحر كتعويذة للمتآمرين، ومن ناحية أخرى استخدم لاضعاف المناصرين للفرعون من رعاياه المخلصين وشل حركتهم ازاء المؤامرة، وكذلك لجأوا إلى عمل تماثيل من الشمع صنعوها على هيئة الحراس وتلوا عليها سحرهم، أملين أن تبعث فى أصحابها الحقيقيين النوم واضعاف عزيمتهم، ويبدو أن سيدات القصر نجحن فى اكتساب قادة الحراس حيث انتقلت الرسائل بحرية بين القصر وخارجه بين المتآمرين وحرضت الرسائل الشعب على عصيان سيدهم حيث ثبت أن سيدة فى القصر كانت أخت لقائد القوات المصرية فى النوبة قد أرسلت إليه لكى يستخدم قواته ضد الملك .

وبرغم كل هذه التدابير من اختيار مناسب لخطه المؤامرة واستمالة العمال بدفع أجورهم، واستخدام السحر والدور الذى لعبته سيدات القصر أثناء تلك المؤامرة ومدى تأثيرهن على المحيطين بهن، ووجود قوات تحت امره أحد المتآمرين فإن المؤامرة قد فشلت وانكشف أمرها، ويصدر الفرعون أمره بتكوين المحكمة من موظفين مختلفين من موظفى القصر، ولكنهم جميعا محل ثقته، وكانت هيئة المحكمة تضم بين أعضائها : المشرف على الخزانة (منتومتاوى)، والمشرف على الخزانة (نفروى) وحامل العلم (كارا)، والساقى (بى ايرش)، والساقى (حجوت رخ نفر) ومساعد الملك (بن رنوت) والكاتب (مساي)، وكاتب السجلات (بى رع ما جاب) وحامل علم المشاة (حورى)

وهذه المحكمة قسمت إلى ثلاث مجموعات، ويلاحظ أن ثلاثة من الموظفين الكبار تحولوا إلى متهمين فى الجزء الرابع والخامس من المحاكمة لانهم تقابلوا مع بعض المتهمين وانهمكوا معهم فى الشراب الامر الذى لا يتفق

ومهام الامانة المكلفين بالتحقيق فيها، وتم التحقيق معهم وتوقعت عليهم عقوبة جدع الأنف وصلم أذنيهم لانهم أهملوا التعليمات التي تلقوها . وتصدر تعليمات الفرعون بإن يبدأوا في مهمتهم الموكل إليهم تنفيذها حيث أمرهم :

« اذهبوا إليهم وافحصوهم، والمذنب يموت

بما اقترف من ذنب، وإن كنت لا اعرف من هم»

وهذا يعنى أن الفرعون لم يكن يعرف بعد أبعاد المؤامرة ضد عرشه ومن المذنب الذى سينزل به العقاب، كما أنه يعلن صراحة أن مسئولية عقاب هؤلاء المتأمرين تقع على رؤوس القضاة.

ويستمر الملك فى تعليماته قائلا :

« ... احذروا من أن توقع العقوبة على أحد بغير وجه

حق من موظف لا يراسه، هكذا قلت لهم (للقضاة)

وكسرت القول مرارا، واما ما تم فانهم هم الذين قاموا به

ليقع عبء ما قاموا به على رؤوسهم، فلأننى معفى ومحمى إلى

أبد الأبدى بوصفى واحد من الملوك العدول فى حضرة

آمون رع ملك الآلهة، وفى حضرة اوزير حاكم الأبدية» .

ويرى البعض أن هذه التعليمات تعكس وفاة الملك والاصرار على القاء مسئولية توقيع العقاب العادل على عاتق هيئة المحكمة بدلا من ترك الانتقام لابنه وخليفته على العرش، كما أنها تدل على تدهور مكانة الملك وسلطاته، فى نفس الوقت الذى تعكس فيه تقدير هذا الفرعون ودولته لقيمة العدالة وخاصة أن المقصود بتلك المؤامرة هو شخص الفرعون نفسه .

ويجئ بالاشخاص المتهمون بعد أن أقرؤا بجريمتهم إلى مكان المحاكمة في حضرة المحكمين ليتم مناقشتهم وفحص جرائمهم ويلاحظ أن كل الاسماء قد جردت من ألقابها واستبدلت الاسماء الحقيقية بأسماء أخرى، ووضعت حيثيات اتهام كل مذنب والجرم الذي ارتكبه ومن أمثلة ذلك العدو الأكبر «مسد سورع» الساقى أحضر بسبب اتهامه بالتآمر مع «باى - باك - كامن» (باى يكامون) الذى كان كبيرا للأمناء ووجهت إليه تهمة الاتصال بالملكة «تى» والتآمر معها وأيضا مع الحريم لجمع الأعداء من أجل عصيان الملك، وقد سبق أمام أعضاء هيئة المحكمة ووجد أنه مذنب، وهناك أيضا موظفان آخران من الحريم الملكى انطبق عليهم نفس الوضع.

كذلك العدو الأكبر «با - تى - أم دى - آمون» الذى كان مبعوث الحريم فى الرتنو، أحضر إلى قاعة المحكمة بسبب استماعه إلى الكلمات التى تأمر بها الرجال مع الحريم ولم يخبر أحد بما سمع، وقد أحضر إلى المحكمة ومعه تسعة من موظفى القصر أدينوا جميعا بسبب معرفتهم بالمؤامرة وعدم الاخبار عنها، ونفس الشئ بالنسبة لزوجات رجال بوابات قصر الحريم الذين انضموا إلى الرجال المشتركين فى المؤامرة وعددهم ستة سيدات، وكذلك العدو الأكبر «با ايرى» بسبب اتصاله مع «بن حاوى» بن المتآمر، وغيرهم قائد القوات المصرية فى التوبة التى كتبت إليه اخته قائلة :

« أجمع الشعب، كون الأعداء (للملك) ثم أعلن

العصيان ضد الملك ... »

ثم (موساى) كاتب بيت الحياة أى الارشيف حيث يحتفظ بالكتابات السحرية السرية، «بارع كمنوف» الذى كان رئيسا للكهنة المختصين بأمور السحر، ثم رئيس كهنة سخمت هذا بالإضافة إلى الشخصيتين الرئيسيتين بأمور

السحر، ثم رئيس كهنة سخمت هذا بالإضافة إلى الشخصيتين الرئيسيتين فى المؤامرة - « بنتاؤور » - الاسم لا يمثل اسمه الحقيقى - احضر بسبب تأمره مع تى « امه » التى اتفقت مع الحريم للقيام بثورة ضد الملك ومصيره كان السماح له بالانتحار .

أما عن الشخصية الرئيسية فى المؤامرة الملكة « تى » فلقد أغفلت البردية العقاب الذى حل بها أو مثولها امام هيئة المحكمة، وربما شكلت لها محاكمة خاصة مثلما كان الحال فى نهاية الاسرة السادسة مع الملكة « ايمتس » .

أما عن مصير الفرعون « رعمسيس الثالث » من جراء تلك المؤامرة، فلقد اعتقد البعض أن المؤامرة قد نجحت فى القضاء عليه وأن المحاكمة ونتيجتها قد تمت بمعرفة ابنه وخليفته بعد وفاته بينما يرى البعض أنه قد عاش بعد المؤامرة وهو الذى أمر باقامة المحاكمة وتوجيه قضائه للتعامل معها تبعاً للعدالة .

ويذهب « ويلسون » إلى أن الملك قد مات من جراء تلك المؤامرة ويؤكد رأيه بأن نصوص محاكمة المتهمين تدل فى فقرات كثيرة على ذلك، حيث أن الفرعون يرفض أن يكون مسئولاً فى حضرة الآلهة عن حياة هؤلاء الجناة، ويرى « برستد » أن الفرعون قد أصيب اصابة خطيرة ولكنه عاش فترة قصيرة شكلت اثناءها المحاكمة وأن المؤامرة عجلت بنهاية الملك المسن الذى وصف « بالاله العظيم » وهو لقب أطلقه الفراعنة على الملوك المتوفين، أما « جودكة » فيرى أن المؤامرة قد وصلت إلى هدفها بشأن اغتيال « رعمسيس الثالث » ولكنها فشلت فى تنصيب « بنتاؤور » على العرش ربما بسبب نجاح خليفته (رمسيس الرابع) فى القضاء على المؤامرة وهى ما زالت فى البداية، وقد قام « دى بيك » باعادة فحص بردية تورين، وانتهى إلى نتيجة أن « رعمسيس الثالث » قد توفى نتيجة لهذه المؤامرة وإن خليفته « رعمسيس الرابع » هو الذى أوصى بكتابه تلك

الرثيقة على لسان أبيه وإن العقوبات التي أنزلت على المتأمرين كانت نتيجة تلك المحاكمة التي لم تكن له يد فيها.

بينما يرى جاردنر أن النصوص التاريخية الخاصة بتلك المؤامرة لا يوجد فيها ما يشير إلى أن الفرعون قد لاقى حتفه بسببها.

وارجح إلى أن الملك «رعمسيس الثالث» قد كتب له أن ينجو فعلا من تلك المؤامرة، بدليل العثور على موميأه في خبيثة الدير البحري خالية من أى جروح، ووفاته بعدها بفترة قليلة، حيث خلقه ابنه «رعمسيس الرابع» الذى يؤكد شرعيته وحقه فى الوراثة فى لوحة «رعمسيس الرابع» الموجودة فى بيدوس حيث يشير النص :

« أنا الملك الشرعى لم أغتصب العرش، أنا فى مكان الذى
أنجبنى كما كان ابن أريس » .

بعد رمسيس الثالث، تولى عدد من الملوك الضعاف لم يحكموا إلا حوالى ٧٥ عاماً، ظلت الأمور تسير من سئ إلى أسوأ، وكثرت حوادث السرقة والرشوة، وابتداء عن عهد رمسيس الرابع إلى عهد رمسيس الحادى آخر ملوك الأسرة واصبحوا العوبة فى يد كهنة آمون وفى النهاية فقد اضطر آخر ملوك هذه الأسرة - رعمسيس الحادى عشر- إلى الفرار من مقر مملكته فى الشمال والالتجاء إلى كبير الكهنة فى طيبة.

نهاية الأسرة ونهاية عصر الدولة الحديثة :

حينما توفي رعمسيس الثالث فى اليوم الخامس عشر فى الشهر الثالث من فصل الصيف حوالى العام الثانى والثلاثين من حكمه لم يكن أحد يتصور أن برحيل هذا الفرعون العظيم سوف تنتهى فى مصر سلسلة من القراعين العظام للامبراطورية المصرية، وفى الحقيقة فقد بدأت أيام تلك الامبراطورية فى الذهاب بدون عودة، حيث تبعه فى الحكم ثمانية ملوك ضعاف حملوا كلهم اسم رعمسيس لكنهم لم يستحقوا ذلك الاسم العظيم .

الملك رعمسيس الرابع احتمال قرابته لرعمسيس الثالث لكن درجة قرابته غير واضحة ، والكثير من أعماله تتعلق بارتضاء المعبودات وبنشاط ملحوظ فى وادى الحمامات خلال الأعوام الثلاثة الأولى من حكمه ، وفى البعثة الأولى إلى محاجر وادى الحمامات التى كان الهدف منها البحث عن أحجار جيدة لتشييد معبده، والثانية لاحتضار حجارة لتمثال الملك، ثم حملة ثالثة بواسطة الكاهن الأعظم «لمونت» تكونت من ٨٣٦٨ من الأفراد ، ومع الاحتياطات الكبيرة لهذا العدد الكبير واستعمال عشر عجالات يجر كل منها ستة ثيران فقد توفي من أفراد الحملة ما يزيد على تسعمائه نسمة من شدة القيظ والظروف الطبيعية، ولم نهتد للآن إلى السبب الذى استعملت فيه الأحجار المقطوعة من وادى الحمامات ، وكل مابقى من آثار رعمسيس الرابع هو امتداد الحجرات الخلفية لمعبد «خونسو» بالكرنك ، كما ترك لوحة فى أبيدوس تقديراً للإله «أوزير» أيضاً عشر على اسمه منقوشا على عدد من اثار مناجم الفيروز فى سربيط الخادم فى شبه جزيرة سيناء ، كما عشر على خريطة مصرية قديمة لمنطقة وادى الحمامات محفوظة بمتحف تورين (بردية تؤرخ بحكم رعمسيس الرابع) ، كما عشر على اسمه شمال قلعة بوهن فى الجنوب وفى أماكن عدة بجانب أسماء

اسلافه من الملوك العظام (١).

ب وفاة رعمسيس الرابع تبعه فى الحكم رعمسيس الخامس وهناك وثيقة هامة تؤرخ بالعام الرابع من حكمه تحتويها بردية ويلبور (Wilbour) طولها حوالى ١٠ أمتار ، وتنصها الرئيسى فى اربع مجموعات متتالية تشغل المجموعة منها عدة صفوف رصدت بها مقاييس وضرائب الحقول الممتدة من مدينة الفيوم إلى الجنوب على بعد قليل من المنيا (الحالية) أى مسافة تبلغ ٩٠ ميلا تقريبا (٢).

تبع رعمسيس الخامس الملك رعمسيس السادس (تب ماعت رع مريت آمون) وصلتهما برمسيس الثالث غير مؤكدة فبينما يرى عدد من المؤرخين أن الأول كان ابنا له، والثانى كان حفيداً له من ابن لم يلى العرش (٣)، فإن «تشرنى» يرى أنهما من أبناءه (٤).

تبع رمسيس السادس رمسيس السابع ثم الثامن وهى فترات غامضة جداً، بينما تولى رمسيس التاسع لمدة ١٧ عام، تلاه رمسيس العاشر (خنر ماع رع ستب ان رع) الذى استمر فى الحكم ثلاث سنوات .

آخر الرعامسة فى الأسرة رمسيس الحادى عشر (ماع رع ستب ان بتاح) والذى حكم نحو من سبع وعشرين عاما زادت فيه مظاهر اضطراب الأمور

(١) Cerny, J., Egypt From The Death of Ramesse III to the Twenty First Dynasty, CAH, Vo., 2, P. 2 , P. 606.
Ibid., P. 611 .

(٢)

وكلا :

Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, P. 296 .

(٣) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٥٠ .

Cerny, J., Op. Cit., P. 611.

(٤)

وتدهور الأحوال الاقتصادية ، وتعددت أضرابات العمال (عهد رمسيس التاسع) وسرقات المقابر، بالرغم من استمرار بذخ الملوك وتشبيدهم لمقابرهم فى وادى الملوك بغرب طيبة، وظهر من أصحاب النفوذ كاهن آمون رع فى طيبة « أمنحوتب » الذى دخل فى صراع مع « بانحسى » نائب الملك فى كوش ، واستمر هذا الصراع المدعوم من اتباعهما حيث تشير النصوص إلى وجود اسم « بانحسى » فى طيبة حتى العام السابع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر ولكن ليس أبعد من العام التاسع عشر حيث بدأ اسم الكاهن الأكبر لآمون رع « حريحور » فى الظهور .

غير معروف أصل حريحور وتاريخه المبكر ، حيث ظهر فى النقوش ككاهن أول لآمون رع، لم يذكر أبدا اسم والديه مما يعنى أنه لم يكن من أسرة كبيرة، اسمه يعنى حور هو الرئيس، وهو من الاسماء النادرة ويبدو أنه كان له وظيفة عسكرية قبل تقلده الوظائف الدينية، واحتمال كونه ابن « أمنحوتب » الكاهن الأعظم لآمون رع الذى سبق الإشارة إليه ^(١).

تعاضم نفوذ « حريحور » الدينى والمدنى وخاصة بعد أن حمل بجانب القابه لقب « نائب الملك فى النوبة » حتى يتقى أن يشغله من يقضى على آماله، كما اتخذ لقب وزير طيبة لبعض الوقت، ظهر إلى جانب الفرعون فى عدد من المناظر والنصوص فى المباني التى اشرف على تنفيذها فى معبد الإله « خنسو » فى الكرنك ^(٢)، فى ستة مناظر وحمل لقب « الكاهن الأول لآمون فى المقدمة، ابن آمون حريحور »، ثم تمادى وسجل اسمه فى القاعة وحده يحمل الألقاب الملكية بالرغم من وجود الملك الضعيف على قيد الحياة، وحينما توفى « حريحور » حمل ابنه « بى عنخ » القاب « قائد القوات، الكاهن الأكبر لآمون رع »

Ibid., PP. 635 - 636.

(١)

(٢) عبد العزيز صالح : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

وكان ذلك فى العام الخامس والعشرين من حكم رمسيس الحادى عشر الذى انتهت معه أيام الامبراطورية .

صحيح أنه بعد وفاة رمسيس الثالث فقدت مصر نفوذها فى فلسطين وسورية بالرغم من وجود بعض البقايا الأثرية تحمل أسماء رمسيس الرابع والسادس فى عدة أماكن ، والعلاقة تنطبق تماما على الحالة المتردية التى وضحت فى قصة «ون آمون» عند مقابله لحاكم بيلوس بكل ما تحمله من معانى متعددة ^(١)، تمثلت فى تلك الرحلة التى بدأها الكاهن «ون آمون» من طيبة بناء على أوامر من كاهن آمون الأكبر لجلب أخشاب من لبنان لتجديد مركب الاله المقدس، وتدل القصة على مدى ضعف النفوذ المصرى فى سورية فى تلك الفترة مع نهاية عصر الامبراطورية فى مصر القديمة .

Cemy, J., Op. Cit., PP. 637 - 638.

(١)

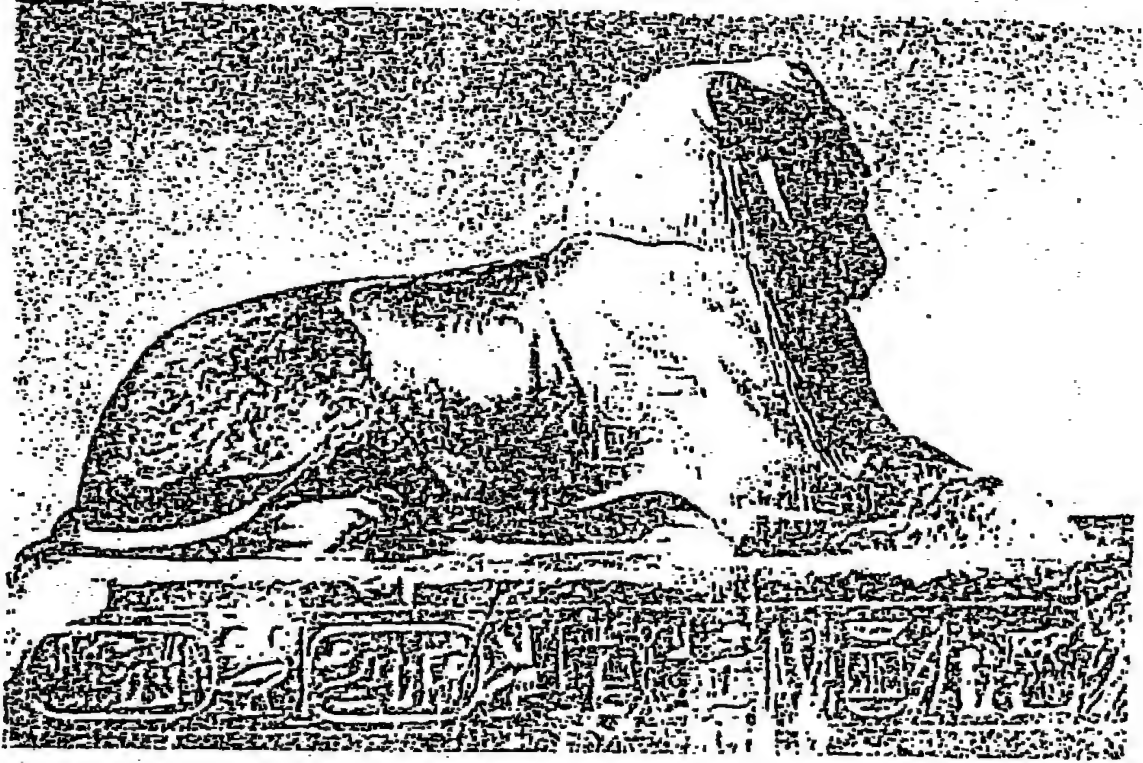


(شكل ١٧-أ)



(شكل ١٧-ب)

رأس الملك «ستوسرت الثالث» وعبرت ملامح وجه الملك عن
الأحوال السياسية والاجتماعية التي سادت في عصر الدولة الوسطى .
(نقلا عن : المتحف المصري بالقاهرة)



(شكل ١٨)

تمثال للملك « أمنمحات الثالث » عثر عليه في تانيس بشرق الدلتا
وصور فيه على هيئة أبو الهول بجسم أسد ورأس انسان .
(نقلا عن : المتحف المصرى القاهرة)



(شكل ١٩)

وجه تمثال الملك هـ أمتمحات الثالث، على هيئة أبو الهول ويلاحظ
فيه تمثيل معرفة الأسد والشعر الكثيف حول الرقبة كناية عن البطش
والقوة والجبروت لصاحب التمثال.
(نقلا عن : المتحف المصري القاهرة)

أولا: المراجع العربية

أولا : المراجع العربية :

- أحمد أمين سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٨٩ .
- أحمد بسدوى : فى موكب الشمس ، ج ٢ ، ١٩٥٠ .
- أحمد فخرى : مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٥٧ .
- _____ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، طبعة ثانية، القاهرة، ١٩٦٣ .
- _____ : الاهرامات المصرية، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- _____ : الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول .
- رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا، ج١، بيروت، ١٩٦٨ .
- _____ : التطور التاريخى للفكر الدينى، بيروت ، ١٩٦٩ .
- سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- _____ : مصر القديمة، ج٥، القاهرة، ١٩٤٨ .
- _____ : مصر القديمة، ج٦، القاهرة، ١٩٤٩ .
- سليمان حزين : حضارة مصر أرض الكنانة، القاهرة، ١٩٩١ .
- سيد توفيق : سيد أحمد على الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٨٠ .
- سيد توفيق : تاريخ القرن فى الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، القاهرة، ١٩٨٧ .
- ضحى محمود مصطفى : دراسة تاريخية وأثرية لمنطقة مدينة هابو، رسالة دكتوراه غير منشورة، الاسكندرية، ١٩٨٥ .
- عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦ .
- _____ : التسجيلات المصرية القديمة، وثائق تاريخية، عرض وتحليل لبعض الفقرات ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، القاهرة، ١٩٦١ .

- _____ : الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ، ج١ ، القاهرة، ١٩٦٧ .
- _____ : حضارة مصر القديمة وآثارها، ج١ ، القاهرة، ١٩٨٠ .
- محمد أنور شكرى : نفرتارى الملكة المؤهلة الجميلة، مجلة المجلة، العدد ٧٣، القاهرة، ١٩٦٣ .
- _____ : العمارة فى مصر القديمة، القاهرة، ١٩٧٠ .
- محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ، ١٩٨٤ .
- محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية (حركات التحرير) الاسكندرية، ١٩٨١ .
- _____ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج١، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٢ .
- _____ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٤ .
- _____ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٤، اخناتون، الاسكندرية، ١٩٧٩ .
- _____ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٥، الحضارة المصرية، الاسكندرية، ١٩٨٤ .
- محمد جمال الدين مختار : لمحة فى تاريخ مصر السياسى والحضارى، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة .
- مصطفى عامر : حضارات عصر ما قبل التاريخ، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، القاهرة .
- نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية القديمة، ج٤، الاسكندرية، ١٩٥٩ .
- _____ : مصر ، الجزء الثانى ، الاسكندرية، ١٩٦٦ .
- _____ : مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، الاسكندرية، ١٩٦٦ .

ثانيا: المراجع المترجمة

ثانيا : المراجع المترجمة

- السكندر شارف : تاريخ مصر، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٠ .
١. أرمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، مراجعة محمد أنور شكرى ، القاهرة، ١٩٥٢ .
- _____ : هـ. رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، ١٩٥٣ .
- جان يويوت : مصر الفرعونية، ترجمة زهران، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٦ .
- جورج بوزنر وآخرون : معجم الحضارة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٢ .
- جيمس ، جـ، هـ : كنوز الفراعنة، ترجمة د. أحمد زهير، مراجعة د. محمود ماهر، القاهرة، ١٩٩٥ .
- سيريل آلدريد : الحضارة المصرية ، ترجمة مختار السويفى ، مراجعة د. أحمد قدرى، القاهرة، ١٩٨٩ .
- كريستيان ذ، نويلكور : توت عنخ آمون، ترجمة أحمد رضا، محمود خليل النحاس-مراجعة أحمد عبد الحميد يوسف، القاهرة، ١٩٧٤ .
- مرجريت مري : مصر ومجدها الغابر، ترجمة محرم كمال، مراجعة نجيب ميخائيل، القاهرة، ١٩٥٧ .
- نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويحاتى، مراجعة د. زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣ .

ثالثاً: المراجع الأجنبية

ثالثا : المراجع الأجنبية

- Albright, W.F., "Cuneiform Material for Egyptian Prosopography 1500-1200B.C.", JNES Vol. 5, No. 1, 1946 , pp.7-25.
- , "The Amarna Letters form Palestine, in CAH, Vol. II, Part 2 A.
- Aldred, C., "The End of the El-Amarna Period, The Family of Yuya" JEA, Vol 43, 1957, 30 - 41.
- , New Kingdom Art in Ancient Egypt, London, 1961.
- , "The Parentage of King Siptah", JEA, Vol 49, 1963, pp.41-48.
- , "Two Monuments of the reign of Horemheb" JEA, 44, 1968, pp. 100-106.
- , Akhenaten, Pharaoh of Egypt, London, 1968.
- , Akhenaten and Nefertiti, London, 1973.
- , "The Amarna Period and the End of the Eighteenth dynasty", in CAH, Vol. II, part II A.
- Ayrton, E.R., "The position of Tausert in the XIX th Dynasty", PSBA, Vol. 28, 1906, pp. 185 - 187.
- Baikie, J., Egyptian Papyri and Papyrus Hunting, London 1925.
- Von Beckerath, J., "Queen Tworse as Guradian of Siptah", JEA, Vol. 48, 1962, pp. 70-47.
- , "Amenmesse", LA I, sp. 201.

- Brunton, G., Mostagedda and the Tasian Culture, London, 1937 .
- , "Handbuch der Agyptischen Königsnamen, Munster, 1984.
- Blackman, A. H., On the Position of Women in the Ancient Egyptian Hierarchy" JEA, Vol. 7, 1921, pp. 8-30.
- Blankenberg-Von Delden, C., The Large commemorative Scarabs of Amenhotep III, Leiden, 1969.
- , C., "Additional remarks on Queen Ah-hotep" GM, 49, 1981, P. 17-25.
- , " A Genealogical Reconstruction of the Kings and Queens of the Late 17 th and Early 18 th Dynasties ", GM, 54, 1982, PP. 31 - 45 .
- Breasted, J. H., A History of Egypt, London, 1905.
- Bruyere, B., Meret Seger a Deir El Medineh, MIFAO, 58, 1930.
- De Buck, A., "The Judicial Papyrus of Turin", JEA, Vol. 23, 1937, pp. 152-164.
- Budge, E, Book of the Kings, Vol. I, London, 1910.
- , "The Dwellers on the Nile Valley, London, 1926.
- Buttles, J., The Queens of Egypt, London, 1908.
- Casson., L., Great ages of Man, Ancient Egypt, Nederland, 1978.
- Carter, H., " Report on the Tomb of Zeser-Ka-Ra Amenhetep I, Discovered by the Earl of Carnarvon in 1914", JEA, III, 1916, pp. 147-154.

Cerny, J., "Papyrus Salt 124. (Brit. Mus. 10055)", JEA, Vol. 15,
1929, pp. 243-248.

-----, *Ancient Egyptian Religion*, London, 1951.

Cerny, J., "Consanguineous Marriage in Pharaonic Egypt", JEA,
Vol. 40, 1954, pp. 23-29.

Charles Cornell, V.S., "A Ramesside Ostrakon of Queen Isis",
JNES, Vol. 33, 1974, pp. 149-153.

Christophe, L., "Les Temples d'Abou-Simbel et la Famille de
Ramses II, "BIE, 38, 1965, pp. 1-138.

Cruz-Wibe, E., "The father of Ramses I", JNES, vol. 37, 1978,
pp.237-244.

Dareddy, G., "Sur la reine A Ahmes Henttamahou", ASAE, 9,
1908, pp. 95-96.

-----, "Les Parents de la Reine Teta-Chera", ASAE, Vol. 9,
1908, pp. 137-138.

-----, "Le Carcueil de Khu-N- Aten", BIFAO, 12, 1916,
PP.61-63.

Davies, N. de G., *Rock Tombs of El Amarna, Part I, The Tomb of
Meryra*, London, 1903, *Part II. The Tombs of
Panehesy and Meryra II*, London, 1905. *Part III,
The Tomb of Huya and Ahmes, with Appendix
by De Riccl, S.*, London, 1905.

Davis, T., *The Tomb of Queen Tiye*, Cairo, 1908.

- Drioton, E, "Cryptogrammes de La Reine Nefertari", ASAE, 39, 1939, pp. 133-144.
- , "Notes Diverses, ASAE, 45, 1947, pp. 53-92.
- Drioton, E et Vandire, J., L'Egypte, Paris, 1938.
- Drower, M.S., "Syria 1550-1400 B.C.", "CAH, Vol. II, Part I.
- Eedgerton, W.F., "The Thutmosid Succession", SAOC, 8, Chicago, 1933, pp. 1-43.
- , "The Strikesin Ramses III,'s Twentieth year", JNES, Vol. 10, 1951, pp. 137-145.
- Edwards I.E.S., The Pyramids of Egypt, London, 1947.
- , "The Early Dynastic Period in Egypt", CAH, Vol. I, Part,2.
- El Amir, M. , "Monodomy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage" BIFAO, 62,1964, pp. 103-107.
- Eleonore Bilde, Mot, The age of Akhenaten, London, 1965.
- Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty, Part II, London,1945
- , Archaic Egypt, London, 1967.
- Engelbach, R., "Material for Arvission of the Heresy Period of the XVIII th Dynasty", ASAE, 40, 1940, pp. 133-164.

Fairman, H.W., and Gradseloff, E., "Texts of Hatshepsut and Sethos
Inside Speos Artemidos", JEA, Vol. 33, 1947, pp.
12-33.

Fakhry , A ., "A New Speos from the Regin of Hatshepsut and
Tuthmosis III at Beni Hassan" ASAE,
39,1939,pp.709-723

Faulkner, R.O., The Wars of Sethos I" JEA, Vol. 33, 1947, pp.34-39

-----, Egypt from the Incqation of the "ninetenth Dynasty to
the Death of Ramisses III" CAH, Vol. II,Part 2 A.

Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

-----, Ancient Egyptian Religion, New York, 1961.

Gardiner, A.H., "The Delta Residence of the Ramessides", JEA,
Vol. 5, 1919, pp. 127, 179, 242.

-----, Egyptian Grammar, Oxford, 1927.

-----, " The Graffite from Tomb of Pere", JEA, 14, 1928,
pp.10-17.

-----, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, I, II, Oxford, 1947.

-----, "The Tomb of Queen Twosre", JEA, Vol. 40, 1954,
pp.40-44.

-----, Peet E. and Cerny, J., Inscription of Sinai, Part II, Lon-
don, 1955.

-----, "The So-Called Tomb of Queen Tiye", JEA, Vol. 43,
1957, pp. 10-25.

- , " Only one King Siptah and Twosre not his wife", JEA,
Vol. 44, 1958, pp. 12-22.
- , "The Kadesh Inscriptions of Ramsess II, Oxford, 1960.
- , " Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.
- Gasson, T., Treasures of the World, The Pharaohs, New York, 1982
- Gauthier, H., " La Titulature des Reines des Dynasties Memphites"
ASAE, 24, 1924, pp. 198-209.
- Gitton, M., L'epouse du Dieu Ahmes Nefertary, Paris, 1975.
- , " Variation sur Le theme des Titulatures Reines"
BIFAO, 78, 1978, pp. 389-403.
- Gitton, M., and Leclant, J., "Gottesgemahlin", La II, Sp. 793.
- Glanville, S.R.K., Great Ones of Ancient Egypt, London 1931.
- Goedicke, H., "Was Magic used in the Harem Conspiracy against
Ramses II", JEA, Vol. 49, 1963, pp. 86-91.
- , " Considerations on the Battle of Qadesh ", JEA, Vol.
52, 1966, pp. 71-80.
- , and Thausing, G., Nofrtari, Graz, 1971.
- Goetze , A . , " The Kassites and Near Eastern Chronology",
JCS, 18, 1964.
- Goetze, A., " Hitte Historical Texts, Supplilutiumas and the Eryp-
tian Queen", ANET.
- , "The Struggle for the Domination of Syria (1400-1300
B.C.,)", CHA, Vol. II, Part 2, A.

- , "Suppiluliumas and the Egyptian Queen", ANET"
- , "Treaty between Hattusilis and Ramses II", ANET.
- Goetze, A., "The Hittites and Syria (1300-1200 B.C.)", CAH, Vo.,
II, Part 2. A.
- Griffith, F. L., "Stela in Honour of Amenphis III and Taya From
Tell El-Amarna", JEA, Vol. 21, 1926, pp. 1-2.
- Grist, J., "The Identity of Queen Tyti" JEA, Vol. 71, 1985, pp. 71-82
- Gundlach, R., "Mutemwia", LA IV, Sp. 252.
- Gunn, B., "Notes on Ammenemes I", JEA, Vol. 27, 1941, pp. 2-6.
- Gurney, O. R., "Anatolia, 1750- 1600 B.C.", CAH, Vol. II, Part I.
- Habachi, L., "Khatana-Qantir : Importance " ASAE, 52, 1954,
pp. 444-479.
- Hall, H.R., The Ancient History of the Near East, London, 1963.
- Harri, R., Horemheb et la reine Mutnedjemet au la fin d'une dynas-
tie, Geneva, 1965.
- Harries, J., "Nefertiti Rediviva ", Acta Orientalia, 36, 1974, pp. 16-22.
- , and Wente, E., An x-Ray Atlas of the Royal Mummies,
Chicago, 1980.
- Hassan, S., Excavations at Giza, IV, Cairo, 1943.
- Hawkes, J., First Great Civilization, London, 1973.
- Hayes, W.C., Royal Sarcophagie of the XVIII Dynasty, New
York, 1935

-----, "Varia from the Time of "Hatshepsout", MDAIK, 15,
1957, pp. 78-90.

-----, The Scepter of Egypt, Part II, New York, 1959.

-----, "Egypt from the Death of Ammenemes III to Sequenre
II", CAH. Vol. II, Part I.

-----, Egypt : Internal affairs from Tuthmosis I, to the death of
Amenophis III, "CAH. Vol. II, Part I".

Helck, H.W., "Eine Stile des Vizekonigs Wsr. St", JNES, Vol.
XIV, 1955 pp. 27-29.

-----, " Probleme der Zeit Haremhebs", Cde, 46, No. 96, 1973,
pp. 251-255.

Hornung, E., Amenophis III" LA I, Sp. 206-210.

James, T.G.H., "Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amen-
ophis I", CAH, Vol. II, Part I.

Junker, H., "Die Gtabungen Der Universitat Cairo Auf Pyramiden
Feld Von Giza, MDAIK, III, 1932, pp. 129-130.

-----, Giza II, Wien und Leipzig, 1934.

Kamil, J., The Ancient Egyptians, How They Lived and Worked,
Canada, 1976.

Kaplen, H., "Problem of the Dynastic Position of Meryet-Nit"
JNES, Vol. 38, 1979, pp. 23-27.

Kitchen, K.A., Suppiluliuma and the Amarana Pharaohs,
Liverpool, 1962.

- , and Gaballa, G.A., "Ramesside Varia II, The Second Hittite Marriage of Ramesses II", ZAS, 96, 1969, pp. 14-28.
- , *Ramsside Inscriptions, Historical and Biographical*, II, Oxford, 1971.
- , *The Third Intermediate Period in Egypt*, Oxford, 1973.
- Kuentz, C., "La Stele de Mariage de Ramses II", ASAE, 25, 1925, pp. 181-238.
- Lamberg, C.C. & Sabloff, J., *Ancient Civilization*, London, 1979.
- Langdon, M.A. and Gardiner, A.H., "The Treaty of Alliance between Hattusili, King of the Hittites and the Pharaoh Ramesses II of Egypt", JEA, Vol. VI, 1920, pp. 179-205.
- Lefebvre, G., *Histoire de Grands Pretres d'Amon de Karnak Jusqu'a l'XXI Dynastie*, Paris, 1929.
- Legrain, G., "Second Rapport Sur Les Travaux Exeutees a Karnak, Fouilles a La Face Sud Du VIII Pylone", ASAE, 4, 1903, pp. 25-32.
- Leibovitch, J., "Une Nouvelle representation d'une Sphinge de La Reine Tiy" ASAE, 42, 1943, pp. 93-105.
- Martin, G. T., "The Royal Tomb at El Amarna I", ASE, 35, London, 1974, pp. 6-22.
- , "Queen Mutnodjmet at Memphis and El-Amarna", *L'Egyptologie en 1979. Tome 2*, Paris, 1982, pp.277-278.

Maspero, G.; Les Momies Royales de Deir El-Bahari,
MMAF,4,1979.

Maspero, G., Histoire de L'Egypte, II, Paris, 1897.

Mespero, G., New Light on Ancient Egypt, Translated by Lee, E.,
London, 1909.

Menu, B., "La Stele D'Ahmes Neferary dans Son Contexte Historique et Juridique" BIFAO, 77, 1977, pp. 89-99

Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablets, I, Tronto, 1939.

Middleton, R., "Brother, Sister and Father Daughter Marriage in Ancinet Egypt", ASR., Vol. 27, 1962, pp. 603-612.

Monnet, J., Qui etaient Les pere et Mere de Ramses IV", BIFAO,
Vol. 63, 1963, pp. 217-227.

Moret, A., The Nile and Egyptian Civilization, London, 1927.

Munn-Rankin, J.M., "Assyrian Military Power 1300-1200 B.C.",
CAH Vol. II, Part, 2 A.

Murnane, W., Ancient Egyptian Coregencies, Chicago, 1977.

Murray, M.A., Index of Names and Titles of the Old Kingdom,
London, 1908.

-----, "Royal Inheritance in the XIX Dynasty", AE, Part IV,
1925, pp. 100-104.

Murray, M.A., "Queen Taty-Shery", AE, No. 19, Part 2, 1934,
pp.6-7, 65-69.

Naville, E., The Temple of Deir El-Bahari, II, London, 1896.

- , The Temple of Deir El-Bahari, III, London, 1898.
- Newberry, P. E., Scarabs, an Introduction to the Study of Egyptian
Seals and Signet Rignet Rings, London, 1908.
- , "The Mother of Hatshepsut", A.E., Part, III, 1915,
pp.101-109.
- , "King Ay, The Successor of Tutankh-Amun" JEA, Vol.
18, 1932, pp. 50-53.
- Newby, P.H., Warrior Pharaohs, London, 1980.
- Nur El Din, M.A., Some Remarks on the Title hmt nsw
(Unpublished).
- Peet, T.E., Akhenaten, Ty, Neferete and Mutnezement, in "Kings
and Queens of Ancient Egypt".
- , and Woolley, L. , The City of Akhenaten , Wol . I,
London, 1923.
- , "The Chronological Problems of the Twentieth
Dynasty" JEA, Vol. 14, 1928, pp. 52-73.
- Pendlebury, J., "Preliminary Report Excavation at Tell
el-Amanah", JEA, 17, 1931, pp. 233-244.
- Petrie, F.W., Tell El-Amarna, London, 1894, Reprinted, 1974.
- , Researches in Sinai,
- , The Royal Tombs of the First Dynasty, II, EEF 21, 1901.
- , "Notes on the XIXth, and XXth Dynasties", PSBA,
Vol.26, 1904, pp. 36-41.

- , Abydos, III, London, 1904.
- Pirenne, J., La Religion et la Morale dans L'Egypte Antique, Paris, 1962.
- Radwan, A., Die Darstellungen de Regierenden Konigs und Seiner Familienan Gehorigen in den Privatgrabern, der 18. Dynastie, Munchner Agyptologische Studen 21, 1969.
- Ratie, S., Un Personnage Enigmatique Le reine Hatchepsout, Societe D'Egyptologic, Bull. 5, 1981, pp. 69-72.
- Redford, D.E., History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt, Toronto, 1967.
- , "Reconstructing the Temples of Heretical Pharaoh", Archaeology, 28, 1975, p. 16.
- Reeves, C.V., "A Further Occurrence of Nefertiti as hmt nsw c3t" GM, 30, 1978, pp. 61-69.
- Robins, G., "The Relationship Specified by Egyptian Kingship terms of the Middle and Newkingdoms", CdE, Tome 54, 1979, pp.197-217.
- , "Ah Hotpe I, II and III", GM, 56, 1982, pp. 71-77.
- , "Meritamun, Daughtter of Ahmose, and Meritamun Daughter of Thutomse III", GM, 56, 1982, pp.79-87.
- , A Critical Examination of the Theory that the right to the Throne in Ancient Egypt passed through the Female Line" GM, 62, 1983, pp. 67-77.
- Samson, J., "The History of the Myster Akhenaten's Successor", in

- L'Egyptologie en 1979, Paris, 1982.
- Sander - Hansen , C . E . , Das Gottesweib des Amun ,
Kobenhavn , 1940.
- Sauneron, S., La Tradition Officielle Relative a La XVIII dynastie
d'apres un Ostracon de La Vallee de Rois, Paris,
1951.
- Sayce, A.H., "What Happend After the Death of Tutankhamun",
JEA, Vol. 26, 1912, pp. 168-170.
- Schmitz, B., "Une Tersuchungen Zur Zwei Koniginnen der Fruher
18 Dynastie Ah-Hotep und Ahmose", CdE 53,
1978, pp. 207-220.
- Schulman, A., "Diplomatic Marriage in Egyptian New Kingdom",
JNES, 28, No. 3, 1979, pp. 177-193.
- Selle, K., The Coregency of Ramses II With Seti I and the date the
Great Hypostyle Hall at Kmnk, Chicago, 1910.
- , :King Ay and the Close of the Amarna Age" JNES,
XIV, 1955, pp. 168-176.
- Seipel, W., "Ah-hotep I" LA I, Sp. 09-99.
- , "Heiratspolitck" LA II, Sp. 1105.
- , "Heiratspolitck" LA II, Sp. 1052.
- , "Konigsmutter" LA III, Sp. 1105.
- Sherry, I. M., "Kia the Second Pharaoh", in Egyptologie en 1979,
Paris 1982.
- Smith, C.E., "Report on the Physical Character", ASAE, IV, 1903,

pp. 156-160.

Smith, W.S., Interconnections in the Near East, London, 1965.

-----, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom , London, 1946 .

Steindorff, G. & Seel, K., When Egypt Ruled the East, London, 1942.

Tanner, R., "Bemerkungen Zur Sukzession der Pharaonen in der 12, 17. und 18 Dynastie", Zs, Vol. 102, 1975, pp. 50-58.

Tawfik, S., "The Reversed Aton in the Long Name of Nefertite" MDAIK, 29, 1973, pp. 77-86.

Tefnin, R. "L'an 7 de Tauthmosis III er d'Hatshepsout", CdE, Tome XL VIII, No 96, 1973, pp. 232-242.

Vandier, J., La Religion Egyptienne, Paris, 1949.

-----, Manuel d'archeologie Egyptienne, Tome II, Paris, 1955.

Vercoutter, J., "New Egyptian Texts From the Sudan", Kush, 4, 1959, pp. 77-78.

-----, The Near East : The Early Civilization, London, 1967.

Weddel, W.G., Manetho, English Translation, London, 1940.

-----, Herodotus , London, 1939 .

Weigall, R.E., "A Resport on Some Report on some objects Recently found in Sebakh and other Diggings", ASAE, 8 , 1909, pp. 46 - 47.

-----, A History of the Pharaohs, London, 1927.

- , *Historie de L'Egypte Ancienne*, Paris, 1968.
- Weill, R., "The Problem of the Site of Avaris, Translated by Burny, E.V., "JEA, Vol. 21, 1935, pp. 10-25.
- Wenig, S., *The Wamen in Egyptian Art*, Translated by Fisher, B., Leipzig, 1969.
- Wente, E., "A Letter of Complaint to the Vizier To", JNES, Vol. 20, 1961, pp. 252-257.
- , "Thutmose III, Succession and the Beginning of the New Kingdom" , JNES , Vol . 34 , 1975 , pp.265-272.
- , *Some Graffiti from The Reign of Hatshepsut*, JNES, Vol. 43, No. I, 1984, pp. 47-54.
- White, J.E.M., *Ancient Egypt, Its Culture and History*, New York, 1970.
- Wilkenson, G., *Manners and Customs of the Ancient Egyptians*, London, 1878.
- Wilson, J., *The Burden of Egypt*, Chicago, 1951.
- , *The Culture of Ancient Egypt*, Chicago, 1962.
- , "Peace Between Egypt And Hatti", ANET.
- , "Results of Atrail for Conspiracy", ANET.
- , "A Syrian Interregnum", ANET.
- Winlock, H.E., "On Queen Tetisheri, Grandmother of Ahmose I", A.E., No. 6, Part I, 1921, pp 14-16.

- , Kings and Queens of Egypt, London, 1924.
- , "The Tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes", JEA, Vol. 10, 1924, pp. 217-277.
- , "Notes on the reburial of Tuthmosis I" JEA, Vol. 15, 1929, pp. 60-66.
- Wittmann, G., "Was there a Coregency of Ahmose With Amenophis I", JEA, Vol. 60, 1974, pp. 250- 51.
- Yoyotte, J., Annuaire de L'Ecole pratique des Hautes Etudes Paris, 1965.

قائمة الاختصارات

List of Abbreviations of Periodicals and Collections

AE	=	Ancient Egypt, London.
ASAE	=	Annales du Service des Antiquites de Egypte, Le Caire.
ASE	=	Archaeological Survey of Egypt, London.
ASR	=	American Sociological Review .
Breasted, J., ARE.	=	Breasted J.H., Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1906-1907.
BIE	=	Bulletin de L'Institut d'Egypte, a 1920, Bulletin de L'Institut Egyptien, Le Caire.
BIFAO	=	Bulletin de L'Institute Francais d'Archeologie Orientale , Le Caire.
CAH	=	Cambridge Ancient History, Cambridge.
CdE	=	Chronique d'Egypte, Brussel .
C.G.	=	Catalogue General des Antiquites Egyptiennes du Musee du Caire, Le Caire.
EEF	=	Egypt Exploration Fund, London.
Gauthier, H., L.R.	=	Gauthier, H., Livre de Rois d'Egypte, 5 Tompes, MIFAO 17-21, 1907-17 . Gottinger Miszellen, Gottengen.
GM	=	Journal of Cuneiform Studies .
JCS	=	The Journal of Egyptian Archaeology, London .
JEA	=	Journal of Near Eastern Studies, Chicago .
JNES	=	Lexikon der Agyptologie, Wiesbaden.

- L.D.** = Lepsius, R, Denkmaler aus Agypten, Berlin, 1849 - 1859.
- MDAIK** = Mitteilungen des deutschen Instituts für Ägyptische Altertumskunde in Cairo, Berlin.
- MIFAO** = Memoires Publies par les Membres de L'Institut Francaise d'Archeologie Orientale du Caire, Le Caire.
- MIMAF** = Memories Publies par le Membres de la Mission Archeologie Francaise au Caire, Paris.
- PM** = Potter, B, and Moss, R.L.B., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7 Vols., Oxford, 1927 - 1957.
- PSBA** = Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, 40 Vols., London, 1879 - 1918.
- Urk.** = Steindoreff (editor), Urkunden des Ägyptischen Altertums, Leipzig:
 1 : Sethe, K., Urkunden des alten Reiches, 4 Bde., 1904 - 1919.
 Sethe, K., and Helck, W., Urkunden der 18. Dynastie, 22 Bde., 1906 - 1909.
- Wb** = Erman, A. und Grapow, H., Wörterbuch der Ägyptischen Sprache, 5 Vols Leipzig, 1926 - 1931.
- ZAS** = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig und Berlin.

الفهارس

قائمة الخرائط

رقم الخريطة	صفحة
١ - أهم مواقع العصر الحجري القديم فى مصر	٥٠
٢ - أهم مواقع العصر الحجري الحديث فى مصر	٥١
٣ - خريطة مصر فى عصرى الدولتين القديمة والوسطى .	٣٢٣
٤ - خريطة للمنطقة فيما بين النوبة السفلى والعليا .	٣٢٤

قائمة الأشكال

صفحة	
١٣	١ بطاقات صغيرة من العاج
١٤	٢ حجر بالرمو
١٦	٣ قائمة أبيدوس
١٩	٤ حجر رشيد
٢٥	٥ تمثالا ممنون
٣٤	٦ فأس يدوية
٣٤	١٧ قبضة يد شيلية
٤٧	٧ ب سكين من الصوان ذو مقبض من العاج
٤٧	٧ ج صلاية من حجر الاردواز
٥٨	١٨ وجه صلاية الملك نعرمر
٥٩	٨ ب ظهر صلاية الملك نعرمر
٧٨	٨ ج بطاقة من العاج للملك جر
٨٢	١٩ آنية من الجرانيت للملك خع سخم
٨٢	٩ ب آنية من الالباستر
٩٤	١١٠ الهرم المدرج
٩٤	١٠ ب السور الخارجى حول الهرم المدرج
٩٧	١١ الهرم المنحنى
٩٩	١٢ هرم ميدوم
١٠٤	١٣ رسم توضيحي لهرم «خوفو»

١٠٨	١١٤	قطاع فى اتجاه الناحية الغربية (الهرم الأكبر)
١٠٩	١٤ ب	أهرامات الجيزة
١١٠	١٤ ج	الملك خفرع (الأسرة الرابعة)
١٢٠	١٥	أهرام أبو صير
١٢٠	١٦	معبد الشمس للملك نى أوسرع
٣٢٠	١٧ أ ، ب	رأس الملك سوسرت الثالث
٣٢١	١٨	تمثال للملك « أمنمحات الثالث » على هيئة « أبو الهول »
٣٢٢	١٩	وجه تمثال الملك « أمنمحات الثالث »

فهرس المحتويات

صفحة

الموضوع

٧

تقديم

الفصل الاول

٢٨ - ٩

مصادر التاريخ الفرعونى

علم المصريات

المصادر المعاصرة فى الشرق الأدنى القديم

الكتب الدينية

الفصل الثانى

٥١ - ٢٦

عصور ما قبل التاريخ

العصر الحجري القديم

العصر الحجري الوسيط

العصر الحجري الحديث

حضارات عصر ما قبل الاسرات

الفصل الثالث

٨٦ - ٥٢

عصور بداية الأسرات

مؤسس العصر

القاب الملك المتعددة .

واجبات الملك .

ترتيب ملوك الأسرة الأولى .

أهم أعمال ملوك عصر التأسيس .

ترتيب ملوك الأسرة الثانية .
العلاقات بين مصر والدول المجاورة .

الفصل الرابع عصر الدولة القديمة

١٣١-٨٧

الأسرة الثالثة
الأسرة الرابعة
مغزى الشكل الهرمى
أبو الهول
كلمة موجزة عن الأسرة الرابعة
الأسرة الخامسة
كلمة موجزة عن البناء السياسى والإدارى فى عصر الدولة القديمة
الأسرة السادسة ونهاية عصر الدولة القديمة .

الفصل الخامس عصر الفترة المتوسطة الأولى

٢٠٠-١٣٣

عصر الثورة الاجتماعية الأولى
الحوادث التاريخية والاجتماعية
ملوك أماسيا
نصوص عصر الانتقال الأول
الأسرة العاشرة
الأسرة الحادية عشرة

الفصل السادس عصر الدولة الوسطى

٢٢٨-٢٠١

الأسرة الثانية عشرة
نصوص عصر الدولة الوسطى

الفصل السابع عصر الدولة الحديثة

٣١٩-٢٢٩

استيلاء الهكسوس على مصر
حروب التحرير وطرد الهكسوس
ملوك الأسرة الثامنة عشرة
نهاية الأسرة الثامنة عشرة
عصر الرعامسة (عصر الامبراطورية)
الأسرة التاسعة عشر
نهاية الأسرة التاسعة عشرة
الملكة تاوسرت
الأسرة العشرون
رمسيس الثالث
نهاية الأسرة ونهاية عصر الدولة الحديثة

٣٥٠-٣٢٥

قائمة المراجع

٣٥٤-٣٥١

قائمة الاختصارات

٣٦٢-٣٥٥

الفهارس :

٣٥٧-٣٥٧

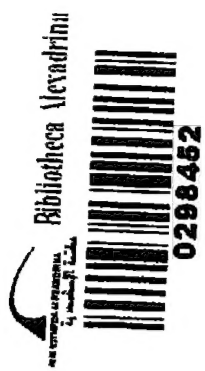
قائمة الخرائط

٣٥٩-٣٥٨

قائمة الأشكال

٣٦٢-٣٦٠

فهرس المحتويات



Biblioteca Alessandrina



0298452

To: www.al-mostafa.com